رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه
2009-11-26
www.alukah.net

الأدب المثمن

أحمد عبد الله الدامغ

الجزء السابع



مركز سعود البابطين الخيري للتراث والثقافة
قسم الدراسات والبحوث والنشر
الرياض ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

ح احمد عبدالله الدامغ، ١٤٢٤ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الدامغ ، احمد بن عبدالله
الادب المثمن / احمد بن عبدالله الدامغ - الرياض، ١٤٢٤ هـ
١٦ مج. ، ٣٣٦ ص ، ١٧ x ٢٤ سم
ردمك: ٥-٣٣١-١٠-٩٩٦٠ (مجموعة)
٣-٣٣٢-١٠-٩٩٦٠ (ج ١)
١- الادب العربي - مجموعات أ- العنوان
ديوي ٨، ٨١٠ ١٤٢٤/٢٧٧٣

رقم الإيداع: ١٤٢٤/٢٧٧٣
ردمك: ٥-٣٣١-١٠-٩٩٦٠ (مجموعة)
٣-٣٣٢-١٠-٩٩٦٠ (ج ١)

الحقوق محفوظة لمركز سعود البابطين الخيري للتراث والثقافة

المملكة العربية السعودية ص.ب ٩٣٩٢٧ الرياض ١١٦٨٣ هاتف ٤٨٧٠٥١٣
فاكس ٤٨٧١٤٢٧ / ٣٦
الموقع على الأنترنت
www.albabtain-center.com
البريد الألكتروني:
E-mail: info@albabtain-center.com

رفع
المسيء همام

بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
المسهم

تنويه!!

أيها القارئ الكريم: هذا هو الجزء السابع أضعه أمام أنظارك بكل تواضع ولطف. مع الإشارة إلى أنه ليس فيه ما يميزه عما سبقه من أجزاء؛ من حيث تنوع الموضوعات التي كانت وليدة خواطر تجلَّت لي أثناء قراءتي لكتاب من كتب الأدب. أو ديوان من دواوين الشعر فأصبحت بها كسلَّة بها من كل شجرة ثمرة، وإن كان لهذا الجزء ميزة تذكر عن سائر الأجزاء التي سبقته؛ فلأنه قد وقع في نهايته الموضوع المتمم للألف. وهو موضوع أعتز به كثيراً، حيث جعلته علامة ناطقة تدل على أنه تقدمه ٩٩٩ موضوعاً موزعة على الأجزاء السبعة. والتي سيليها أجزاء وأجزاء إن شاء الله. والله المستعان في كل أمر وعليه الاتكال في كل عمل.

المؤلف
أحمد عبد الله الدامغ
ص. ب: ٤٠١٣٨ الرياض ١١٤٩٩

رفع
المسيّهم

رفع
المسهم

الراعي لقبٌ لعبيد بن حصين النميري!!

ذكر ابن الكلبي في «جمهرته» نسب النميري فقال: هو عبيد بن حصين بن جندل بن قطن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، ويكنى بأبي جندل، وقيل: بأبي نوح.

أما سبب تلقيبه بالراعي ففيه قولان: أحدهما يعزى لكثرة وصفه الإبل، وهو الراجح. والآخر بسبب أبيات شعرية له في هذا المعنى.

وتذكر المصادر التي حاولت ذكر شيء عن حياة الراعي النميري وصفته بأنه كان أعوراً وأنه سيد بني نمير. وأنه خال الشاعر المعروف ذي الرمة الذي سبقت له ترجمة في الجزء الرابع من هذا الكتاب.

ولم تذكر المصادر تاريخاً لمولده أما وفاته فقد أشير إليها بروايتين أحدهما أنه توفي متأثراً من هجاء جرير الذي أذله، والأخرى أنه قتل. والذي قتله بني الهجيم وذلك سنة ٩٧ هـ على وجه التقريب هكذا جاء في مقدمة «ديوان الراعي النميري» الذي جمعه وحققه رانهرت فاييرت والنميري يعد واحداً من كبار الشعراء الذين مدحوا بني أمية وأظهروا الولاء لهم.

ويروى أن النميري وقف ذات يوم مع ركب في فيفاء قفر وكانوا يريدون استقصاد رئيس من بني تميم إذ سنحت لهم ظباء سنوحاً منكراً ثم اعترضت الركب مقصرة في حُضرها واقفة على شأوها فأنكر ذلك النميري ولم يأبه له أصحابه. فقال قصيدة منها قوله:

رفع المسهم

ألم تدر ما قال الظباء السوانح
مَرَرْن أمام الركب والركب رائحُ

فسبح من لم يزجر الطير منهم
وأيقن قلبي أنهنّ نواجح

فأول ما مرّت به الطير نعمة
لنا ومبيت عند لهوة صالح

سَبتْك بعَينَيْ جوذرٍ حَفَلَتْهما
رِعاثُ وبرّاق من اللون واضح

وأسود ميّال عَلى جيد مُغْزِلٍ
دعاها طلى أحوى برمّان راشح

وعذب الكرى يشفي الصدى بَعد هجعةٍ
له من عروق المستظلة مائح

غَداه وحَوليّ الثرى فوق متنه
مَدَبُّ الأتيّ والأراكُ الدَوائح

فلما انجلى عنه السيول بدالها
سقيّ خريف شُقَّ عنه الأباطح

والقصيدة أطول من ذلك بكثير إذ تبلغ نحواً من ٤٦ بيتاً.



الدهر في الشعر

لقد اجتهد علماء اللغة في تعريف الدهر وقياسه. ففي لسان العرب مادة (دهر) روى عن الزهري قوله: الدهر عند العرب يقع على بعض الدهر الأطول. ويقع على مدة الدنيا كلها.

ومن أهل اللغة من يرى أن الدهر أطول من الزمن. ولهذا فهم يقولون حينما يريدون الحديث عن شيء ذي متانة ومقاومة وقوة: هو باق مدى الدهر.

ويستدل مما جاء في الآية الكريمة على لسان الملاحدة الدهريين: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤]. إن الدهر أطول شيء لقياس الدنيا. وإنه هو السبب في هلاكهم جحوداً منهم بأن الله ليس هو رب كل شيء فلعنهم الله على كفرهم وإلحادهم.

وإذا ما نظرنا إلى مفهوم الدهر كتعبير قياسي للدنيا أدركنا أنه زمن يطويه تعاقب الليل والنهار لكنه لم يستطع أحد تحديد طوله كتحديدهم للقرن بمائة سنة وللعصر بثلاثة وثلاثين سنة وللسنة باثني عشر شهراً. وهكذا حتى تعريف الجزء من الدقيقة بالثانية وضبطه بتحرك عقارب الساعة.

ولقد استخدم الشعراء كلمة الدهر في كثير من أشعارهم لأغراض متعددة وعبروا بها عن أشياء كانت تخالج نفوسهم. فأمية ابن أبي الصلت، وهو شاعر جاهلي يرى أن الدهر يبتلى بالنائبات:

ومن يبتليه الدهر منه بعثرة
سيكبو لها والنائبات تردّدُ

رفع المسامر

ويقول عدي بن زيد مذكراً بأن أيام الدهر كلها مواعظ:

كفى زاجراً للمرء أيام دهره
تروح له بالواعظات وتغتدى

ويقول دريد بن أبي الصمة مشيراً إلى أن الدهر لا يحدُّ بطول:

ما زلت أبصر حبل الدهر أرقبه
حتى فنيت وحبل الدهر ممدودُ

ويقول حاتم الطائي: ما الدهر إلا حصيلة الأمس واليوم والغد، وأنه تتابع أيام وليالي لا تنفد أبداً:

هل الدهر إلّا اليوم أو أمس أو غد
كذاك الزمان بيننا يترددُ

يردُ علينا ليلة بعد يومها
فلا نحن نبقى ولا الدهر ينفد

ويقول أبو العلاء المعري مقومات الدهر - أو عناصره - ثلاثة: الأمس واليوم والغد:

ثلاثة أيام هي الدهر كله
وما هي غير الأمس واليوم والغد

ويقول عنتره بن شداد في أحوال الدهر بين الناس وتقلباته:

يسرّ الفتى دهرٌ وقد كان ساءه
وتخدمه الأيام وهو لها عبدُ

ولا مال إلّا ما أفادك نيله
ثناء ولا مال لمنْ لا له مجدُ



الشعر العربي يواكب التطور الصناعي

والشاعر العربي لا يتوقف عن وصف ما تقع عليه عينه من مخترع جديد أو منظر بديع أو حادث مؤلم أو مناسبة مفرحة؛ لأنه بشاعريته وإحساسه وذكائه وبلغته العربية التي تسعفه باشتقاقاتها ومرادفاتها وتصريفاتها مهيأ للإبداع في وصف ما يراه بكل دقة وتفصيل ولهذه المقدرة اللغوية والشاعرية المتقدة نراه يساير بشعره التطور الحضاري بكل ما يصاحبه من علوم، فلا يدع إبداعاً جديداً إلّا ويقف أمامه وقفة الرسام الذي ينقل الصورة بريشته من أصلها بكل براعة وإتقان.

ومثل ما كان جدّهُ وأبوه يصف الصقر والسيف والفرس والكر والفر في ساحة القتال، نراه اليوم يصف بكل دقة الآلة المصنوعة سواء كانت عربة أو طائرة أو جهازاً إلكترونياً أو أي مخترع تكنلوجياً.

ولعلي لا أكون مجانفاً للصواب إن أنا قلت إن الشاعر العربي هو وحده الذي يواكب التطور الصناعي والتكنلوجي بشعره. ولا أريد هنا أن أستعرض ما قيل من أشعار في الآلة المصنوعة كآلة التصوير والمذياع وجهاز الأشعة والتلفاز والقطار وأجهزة الإنذار والطائرة والقنبلة وآله تنظيف الصحون والحاسب الآلي. كل هذه وغيرها قد قيل فيها أشعار أتمنى على الأدباء المؤلفين أن يجمعوها في ملف نعرضه على من يرمي شعراء عصرنا ولغتنا بالقصور. أقول: لا أريد أن أستعرض ذلك بقدر ما أؤكد بأن الشاعر العربي يثري المكتبة بشعر عصري يتحدث فيه عن مظاهر حضارة عصره بجميع ما فيه من مقومات الحضارة التي لم يشهدها آباؤه وأجداده، وإذا كان لا بد من شاهد على

رفع المسهم

ما أقول. فهذه أبيات أقتطفها من قصيدة طويلة للشاعر حلمي دموس عنوانها «العرب والإذاعة» وقد ألقاها في حفل تكريمي أقيم بعد الحرب العالمية الأولى في القدس. منها قوله:

حنّ الفؤاد إلى الإذاعة
وإلى المذيع وما أذاعه

آمنت بالفن الذي
ألقى على الدنيا شعاعه

كشف الخفي من الوجـ
ـود مزحزحاً عنه قناعه

اتخذ الأثير بريده
ونفوسنا تهوى اتباعه

تلك الإذاعة بيننا
نعم الصنيعة والصناعة

صلة لنا وطنية
كالموج مدّاً وارتجاعه

في مصر - في - بغداد - في
- لبنان - تزداد اتساعه

نصغي إلى القدس الشريف
لسمع آيات مذاعه

○ ○ ○ ○ ○

الزواج بالإكراه!!

والزواج بالإكراه هو عنوان اختاره الشاعر علي حسين الفيفي لقصيدة له ضمها ديوانه «أزهار» وفيها صوّر مشكلة فتاة أكرهت على الزواج من شخص لا ترغب في الزواج منه.

والإكراه على الزواج كثيراً ما يكون عنواناً للفشل. أما بروزه، أو ممارسته بالأصح، فيكون من عدة أسباب منها أن يكون والد البنت ذا نفس ضعيفة تركع للمادة، فمتى ما ملىء جيبه نقوداً أرغم ابنته على الزواج من ذلك الذي أغرقه بالمادة حتى وإن كان شيخاً يدب دبيباً. ومنها أن تكون نتيجة لعادات وتقاليد ترتكز على تفضيل والد الفتاة ابن عمه أو خالته أو أي قريب له يتكافأ معه من حيث السن أو الفهم أو الثقافة على غيره ممن تتوفر فيه صورة التكافؤ مع ابنته سناً وأدباً وثقافة.

ومنها أن يكون وليد مبادئ سلوكية لا يأبه الأب بممارسة زوج ابنته لها لأنه هو نفسه واقع فيها. ولعل أبسطها عدم البقاء في البيت وتفضيل السهر مع ـ الشلة ـ على البقاء مع زوجته.

والشاعر علي حسين الفيفي قد نظر إلى هذه المشكلة. وأجاد في تصوير حالة آلت إليها بنت أكرهت على الزواج من شخص لا ترغب في الزواج منه لتوفر أحد الأسباب التي تقدم ذكرها فيه، لكن الشاعر الفيفي لم يبين ذلك الإكراه الذي تطرق له في قصيدته المشار إليها بقدر ما ذكر أنها حالة اجتماعية يعاني منها بعض أسر مجتمعنا. والضحية هي تلك الفتاة المكرهة. من تلك القصيدة قوله:

رفع المسهم

أيها السائل عنها إنها
أصبحت مثل المريض الصائم

وجهها المشرق يبدو غائماً
وبعينيها ظنون الواهم

طالما نامت على أحلامها
وأمانيها بقلب هائم

ترقص الأحلام في مهجتها
حين تأوي للفراش الناعم

وقوله:

فإذا ما أشرق الصبح رأت
حلم الأمس كوهم الواهم

ورأت أحلامها مذعورة
ورأتها بين موج غاشم

وأقام الأهل أفراحاً لها
وهي في حزن وبؤس دائم

وإذا الزوج يرى أحلامه
وهي في ثوب حداد قاتم



رفع المسهم

تحاور في.. العمى!!

قرأت مناظرة رصدها الجاحظ في رسائله. وقد جرت بين أبي الخطاب الأعمى، وأبي دلف، وجعفر بن أبي زهير منها أن أبا الخطاب الأعمى، الذي ترجم له الأستاذ عبد السلام محمد هارون وهو يحقق ويشرح رسائل الجاحظ. بقوله: هو أبو الخطاب محمد بن سواد بن عنبر السدوسي العنبري البصري. روى عن سعيد بن أبي عروبة، وشعبة وأبي معشر وغيرهم. وروى له البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة توفي سنة ١٨٧هـ. وكان قد وقف على قول أبي دلف(١):

وليس لمكفوف خواطرُ مُبْصر
وذو العين والتمييز جمُّ الخواطِر

فقال أبو الخطاب:

وليس العَمَى في كل حالٍ نقيصة
ونقص العَمَى أجدى عليك من البصرْ

فسائل بغال الطحن إن كنت جاهلاً
ولو حجبوا تلك العيون عن النظرْ

---

(١) أبو دلف: هو القاسم بن عيسى بن إدريس العجلي، نسبة إلى عجل بن لجيم بن مصعب، وهو أحد قواد المأمون ثم المعتصم من بعده، وكان كريماً جواداً ممدوحاً شجاعاً ذا وقائع مشهورة، وقد توفي سنة ٢٢٥هـ كما جاء في «وفيات الأعيان»، و«تاريخ بغداد».

رفع عبد الرحمن النجدي - المسيّر هما

ولولا انطباق العين ما كان طاحن
ولا كان مطحونٌ بصخر ولا مَدَرْ

ولأن أبا الخطاب قد فخر بذلك بجودة حفظ العميان فقد قال جعفر بن وهب بن أبي زهير:

هل الحفظ إلا للصبيّ وذو النهى
يمارسُ أشغالاً تشرَدُ بالذكر

فإن كان قلب الغمر للحفظ فارغاً
تناول أقصاهُ وإن كان لا يدري

يهذ أموراً ليس يعْرفُ قدرها
وهل يَعرِفُ الأقدار غير ذوي القدر

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فإن سيد العميان في زمانه وشاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء أبو العلاء المعري (١).

قد عبر مفتخراً بالعمى بقوله:

سواد العين زاد سواد قلبي
ليتفقا على فهم الأمور



(١) أبو العلاء هو أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد، يرجع نسبه إلى تنوخ من عرب الجنوب ممن هاجروا إلى الشام بعد انفجار سد مأرب في اليمن. أما مولده فقد قيل: إنه ولد يوم الجمعة عند المغيب في ٢٨ ربيع الأول ٣٦٣هـ وأنه لما بلغ ثلاث سنوات ونصف أصيب بالجدري فذهبت يسرى عينيه وغشى اليمنى بياض وقبل أن يتم السادسة فقد بصره جملة واحدة. أما وفاته فقد توفي يوم الجمعة في النصف الأول من ربيع الأول سنة ٤٤٩هـ.

صريع الغواني.. هو محمد بن عبد الواحد

ومسلم بن الوليد مولى الأنصار الذي لقب بـ «صريع الغواني» وعرف به في الوسط الأدبي.. والذي سبق أن نقلت ترجمة له في الجزء الرابع من كتابي «الأدب المثمن». هو غير صريع الغواني الذي أتحدث عنه في هذا الموضوع. فصريع الغواني هذا هو محمد بن عبد الواحد ـ هكذا ذكره حسين كمال في الجزء الأول من كتابه «الفكاهة والمجون في الوطن العربي» ولم يشر إلى سبب تلقيبه بصريع الغواني.

ولكنه لقب مكشوف المعنى. ويقوي مطابقة هذا اللقب بالواقع قول حسين كمال عن محمد بن عبد الواحد بأنه كان شاعراً ماجناً غلب على شعره الهزل والمجون.

ولم أجد لمحمد عبد الواحد هذا ترجمة فيما لدي من مراجع كأعلام النبلاء، ووفيات الأعيان، والأعلام للزركلي. ولعله وأعني محمد عبد الواحد «صريع الغواني» كان شاعراً متأخراً ولم يحظ بعد بمكان في كتب التراجم.

والذي حملني على الإشارة إليه في هذا الموضوع بصورة مستقلة هو تلك القصيدة الفكهة التي عارض بها مقصورة ابن دريد المشهورة والتي منها قوله في النعال:

من لم يُردْ أن تنتقب نعاله
يحملها في كفه إذا مشى

ومن أراد أن يصون رجله
فلبسه خير له من الحفا

رفع المسهم

وهذا التخيير له فلسفته في اللئامة والبخل. وفي الكرم والشهامة، ومثل هذا قول بعضهم.. من الناس من يكون نعالاً لنعاله. ودابة لدابته. أي أنه يحمل نعاله خوفاً أن تتقطع سيورها وتبلى. ويترك ركوب دابته ويتعب نفسه خوفاً على دابته من التعب. ثم ينتقل إلى استعراض مواضيع أخرى بأسلوب فكه:

من دخلت في عينه مسله
فاسأله من ساعته عن العمى

من أكل الفحم تسوّدْ فمه
وراح صحن خده مثل الدجى

من صفع الناس ولم يدعهم
أن يصفعوه فعليهم اعتدى

من ناطح الكبش يفجر رأسه
وسال من مفرقه شبه الدما

من طبخ الديك ولم يذبحه
طار من القدر إلى حيث يشا

من شرب السهل في فعل الدوا
أطال تردداً إلى بيت الخلا

ونلاحظ كيف أنه جعل من هذا الشعر الفكاهي ملاحظات وتوجيهات ذات معنى اجتماعي هادف.



رفع المسهم

مما حصر في السبعة من أقوال!!

وبما أن هذا الموضوع هو الموضوع السابع من الجزء السابع من «الأدب المثمن» فقد رأيت أن أنقل فيه شيئاً مما قرأته. من الأقوال المقيدة بالأعداد. ففيما جاء في العدد سبعة قول سهل بن عبد الله: لا يصح الإخلاص إلا بترك سبعة: الزندقة والشرك، والكفر، والنفاق، والبدعة، والريا، والوعيد.

وقول إبراهيم الهروي عن أبيه: من أراد أن يبلغ الشرف كل الشرف فليختر سبعاً على سبع، فإن الصالحين اختاروها حتى بلغوا أسنام الخير: أولها: أن يختار الفقر على الغنى، والجوع على الشبع، والدون على المرتفع، والذل على العز، والتواضع على الكبر، والحزن على الفرح، والموت على الحياة.

وقول أحد حكماء الهند: سبعة لا ينامون: الذي يهم بسفك دم، وذو المال الكثير الحريص الخائف عليه، والمديون الفقير المأخوذ بما لا يقدر عليه، والمريض المدنف الذي لا طبيب له، وصاحب الزوجة الفاسدة، والجار السوء الحاسد لجاره، والمفارق للألف الذي كان أحب الخلق إليه.

وقول أكثم بن صيفي: العيش في سبعة: الزوجة الصالحة والولد البار، والأخ المساعد، والخادم العامل، والعافية السابغة، والقوت الكافي، والأمن الشامل.

وقول جالينوس: سبعة تجلب النسيان: استماع الكلام الخشن، والحجامة على خرز العنق والبول في الماء الراكد، وأكل الحوامص،

رفع المسهم

والنظر في وجه الميت، والنوم الكثير، وطول النظر في الأماكن الخراب.

وقول الإمام فخر الدين في أسرار التنزيل: لا إلٰه إلّا الله محمد رسول الله، سبع كلمات، وللعبد سبعة أعضاء، وللنار سبعة أبواب، وكل كلمة من هذه الكلمات تغلق باباً من الأبواب السبعة عن عضو من الأعضاء السبعة.

وقول بزرجمهر: سبع خصال من طباع الجهال: الغضب في غير شيء، والإعطاء في غير حق، وقلة المعروف بأنفسهم، ولا يفرقون بين عدوهم وصديقهم، والتصنع للأشرار، وكثرة الكلام في غير نفع، وحسن الظن بمن ليس لذلك بأهل.

وذكر أبو العلاء المعري مما صادف السبعة في بعض أحوال النبي ﷺ فقال:

وإنـي وإن كـنـت الأخـيـر زمـانـه
لآتٍ بـمـا لـم تـسـتـطـعـه الأوائـل

فـمـن أجـلـه الـسـبـع الـمـثـانـي تبينتْ
وفاخرتْ الـشـهـب الـحـصـا والـجـنـادل

مـنـائـحـه سـبـع فـلـلـه درّهـا
فـكـم رضـعـت ألـبـانـهـن الأرامـل

وأولاده سـبـع كـذا صـح عـنـهـم
وفـي ثـامـن خـلـف حـكـتـه الأفـاضـل

وحـراسـه سـبـع إذا جـن لـيـلـه
حـمـوه ولـو أن الـظـلام جـحـافـل

وضـاهـاه سـبـع فـي مـحـاسـن وجـهـه
فـأوجـهـهـم مـثـل الـبـدور كـوامـل

رفع عبد الرحمن النجدي المسلم

ومدحي له في عام سبع وهذه
بيوتى سبع في الطويل طوائل
علوت بها فخراً ولم أشك فاقة
على أنني بين المساكين نازل



التاريخ يلزم نفسه بتسجيل الحكايات ذات الأبيات!!

إن جاز لي أن أشبه أي مؤلف أدبي أو غير أدبي بالمائدة الشهية التي تقبل عليها النفس منقادة لشم رائحتها. وتمتد إليه اليد المعبرة عن الجوع الدافع لصاحبها إلى تناولها. فإن الشعر في ذلك المؤلف يكون بمثابة الملح لتلك المائدة التي يسيل لشمها ورؤيتها اللعاب، حتى وإن زاد مقدار الملح فيها فإنها لا تتأثر بزيادته تأثراً يحد من الإقبال عليها، بل ربما جعلها أكثر استمراء في حلاقيم أكلتها.

لكنه متى ما قلّت نسبة الملح فيها فلا استمراء لها، بل ربما جعل منها مائدة معافةً وغير مستساغة إن لم تكن غير مقبولة على الإطلاق. أما إذا فقد الملح منها فإنها بالطبع سوف لن تكون مشتهاةً حتى وإن كانت منوعة المأكولات.

ولنلقِ نظرة عابرة على ما يلقى في مجالس السمر ومحاضرات الأدباء والملوك والأمراء لندرك بها أن الحكاية المطعمة بالشعر هي التي تتسرّب إلى الذهن وتتسرّب فيه. وذلك بفعل وقع نظم الأبيات التي تضمنتها الحكاية، أما إذا كانت الحكاية خالية من شاهد من الشعر فكأنما هي خبر عادي لا يستحق مكاناً في صفحة التاريخ. ومما احتفظ التاريخ به من الحكايات ذات الأبيات ما ذكره ابن رشيق القيرواني في «العمدة» من أن بعض العمال حمل إلى يزيد بن معاوية مالاً جليلاً فقطع عليه قسيم الغنوي فأخذه. وأمر يزيد بطلبه، فلما حصل بين يديه قال: ما حملك على الخروج علينا، وأخذ مالٍ يُحمل إلينا؟ قال: إذْنُك يا أمير المؤمنين أعزك الله. قال: ومتى أذنت لك؟ قال: حين قلت وأنا أسمعك:

رفع المسهم

اعِصِ العواذل وارم الليل عن عرض

بذي سبيب يقاسى ليله خببا

كالسّيد لم ينقب البيطار سرّته

ولم يدجه ولم يقطع له لببا

حتى تصادف مالاً أو يقال فتى

لاقى التي تشعب الفتيان فانشعبا

فعصيت عواذلي وأسهرت ليلي، وأعملت جوادي، فأصبت مالاً. قال: قد سو غناكه فلا تعد. ويروى أن سليمان بن عبد الملك غضب على الشاعر الفرزدق حينما استنشده لينشده فيه أو في أبيه فأنشده مفتخراً عليه بقوله:

وركب كأن الريح تطلب عندهم

لها ترةً من جذبها بالعصائب

إذا استوضحوا ناراً يقولون: ليتها

وقد خصرت أيديهم نار غالب

فتبين غضب سليمان. وكان نصيب حاضراً فأنشده:

أقول لركب قافلين رأيتهم

قفاذات أوشال ومولاك قاربُ

قفوا خبروني عن سليمان إنني

لمعروفه من أهل ودّانَ طالب

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله

ولو سكتوا أثْنَتْ عليك الحقائب

فقال: يا غلام أعط نصيباً خمسمائة دينار، وألحق الفرزدق بنار أبيه، فخرج الفرزدق مغضباً، وعلى هذا نقيس مكانة الشعر في الحكاية.

رفع المسهم

ذكريات الصف الأول الابتدائي!!

قد ينسى الإنسان ما يمر به من أحداث في مراحل التعليم وما يصادفه من مواقف مع زملائه أو معلميه أو حتى مع نفسه. لكن ذكريات اليوم الأول. بل السنة الأولى التي يلتحق بها التلميذ بالمدرسة لا تنسى أبداً إذ أن فيها ما فيها من التغير البيئي ما يثير الدهشة فبيئة المدرسة ومظهرها المتمثل في تجمع الصبية بالكم الذي لم يعهده التلميذ المستجد يوجد في نفسه تغيراً ملحوظاً فهو في الأيام الأولى يعيش بين حلم وواقع، ولكنه مع مرور الأيام يتبلد الشعور لديه ويصبح ذلك الذي هزّ كيانه وبهره شيئاً مألوفاً وطبيعياً.

ومع الاستقرار النفسي وتأقلمها مع جو المدرسة والاندماج مع الزملاء وأسرة المدرسة جميعاً تبدأ الحركات الصبيانية. ويبدأ المزاح بين الزملاء وترتفع، الأصوات بصورة غير طبيعية في بعض الأحيان ويبدأ التعبير عما في النفس بالحركة وبالكلام.

والمعلم الذي لا يحتمل عبث الصبية الصغار وما يرتكبونه من أخطاء عفوية هو الذي يشقى في تهذيبهم وتأديبهم بالعصا حيناً، وبرفع الصوت والتوعد بالعقاب حيناً آخر.

ثم تسير قافلة التعليم فإذا الذي كان بالأمس في الصف الأول الابتدائي ومتخوفاً من المدرسة يصبح طبيباً أو معلماً أو تاجراً أو شاعراً أو مهندساً، لكنه لا ينسى ذكريات الأيام الأولى من التحاقه بالمدرسة.

ولهذا فإن الكثير من أولئك قد سجل تلك الذكريات في أسلوب أشبه ما يكون بالشريط السينمائي. والشاعر له نصيب وافر في تصوير

رفع المسَاهِم

ذلك الشريط كيف لا وهذا الشاعر إبراهيم عبد الله عبد الفتاح قد سجل الطفولة التي قضاها في مقعد الدرس في الصف الأول الابتدائي في قصيدة قوامها سبعة عشر بيتاً، استعرض فيها سذاجة الطفولة وبراءتها. منها قوله:

في مقعد الدرس كنا
سعادة حين نشقى

هذا يدغدغ هذا
وذاك نؤذيه رشقاً

وذاك نسمع منه
على المقاعد طرقاً

حتى إذا ما أثرنا
ما يشعل الغيظ عمقاً

ألقى المعلم صوتاً
يفور سخطاً وحمقاً

وهزّ سوطاً رشيقاً
فوق الرؤوس وألقى

عينا على وجه طفل
تحت المقاعد ملقى

وآخر كان يلهو
بثالث منه أشقى



السبورة السوداء[1]

والسبورة كما يعرفها الجميع هي لوح خشبي مطلى باللون الأسود، ولا يتجاوز حجمها المساحي في الغالب ١×٢م ومكانها في صدر حجرة الدراسة. وهي من أهم وسائل التعليم إذ بواسطتها يعتمد المعلم على تثبيت المعلومات التي شرحها وناقشها في أذهان تلاميذه. وذلك بكتابة العناصر المهمة في الدرس بمادة الطباشير الملون الذي يساعد المعلم بألوانه على كتابة العناوين التي يتميز بعضها عن الآخر بالأهمية والخصوصية فترسخ بذلك التميز في أذهان التلاميذ فلا يلتبس عليهم الأمر.

والطباشير بطبيعته سهل المحو من على السبورة فهو يزول بمجرد تمرير الممحاة التي هي عبارة عن فرشة ناعمة أو قطعة قماش أو إسفنج أو غير ذلك. ولمحو السبورة عند التلاميذ معان تبين الكسول والمثالي والمتفوق فالكسول من التلاميذ يحرص على القيام بمحو السبورة ليستعطف به معلمه، فيتجاوز عن بعض كسله على اعتبار أن ذلك عملاً يوجب على المعلم مكافأته بشيء من الدرجات المكتسبة من الامتحان. أما المثالي: فهو ذلك الطالب الذي يحترم معلمه ويرى أن في القيام بمحوها واجباً يمليه عليه الأدب مع معلمه. أما المتفوق فيدفعه الحرص على محو السبورة والمحافظة على الوقت فهو يقوم بمحوها على وجه

---

(١) كتبت هذا الموضوع وأنا في مدينة الطائف حيث قضيت بها طرفاً من إجازتي، وقد كان تحريره بعد صلاة الفجر من يوم الاثنين ٢٣ صفر ١٤١٢هـ. والجدير ذكره أن تسجيل هذا الهامش إنما للذكرى ليس إلّا.

رفع المسهم

السرعة ليستأنف المعلم الدرس والمناقشة ولكن الكسول يتباطأ في محوها ويتأنى بقصد تضييع وقت الدرس.

ولقد ورد ذكر السّبورة ومالها من دور في التعليم الحديث وذكريات مع طلاب العلم في موضوعات نثرية وشعرية في كتب الأدب. ولعل أجمل ما قرأته عن السبورة تلك القصيدة التي نشرتها مجلة «الفيصل» في عددها ١٧٦ صفر ١٤١٢هـ، للشاعر ياسر فتو أقتطف منها قوله:

على سوادك كم بيضت أخيلتي
يوماً بيوم وكم لوّنت من صوري

وكم رشفت ائتلاق النور من وهجي
وما تزالين تقتاتين من شجري

وأنت محض عطائي لا ينازعه
بذل وأنت حقول العلم والفكر

سلختِ مني الصبا والعمر أكثره
وأنت «سبورتي» في رحلتي قدري

ويوم أن كنت طفلاً كنت منتجعي
به أعزز من قوسي ومن وتري

وأعين الجيل إثر الجيل شاخصة
إليك تجلو عظيم الآي والعبر

فما عرفت لغوباً أو شكوتِ ضنىً
أو اعتراك على الأيام من خور

هذا وقد لفنا «سبورتى» زمن
فما كبرتِ. وقد عانيتُ من كبر

رفع المسبح

اللغة العربية جمال وجلال ومنطق[1]

والحديث عن اللغة العربية لا ينتهي ولا ينقطع، والبحث في أسرارها لا يُفَقّط فهي لغة الجمال، والجلال، والمنطق. وهي التي أخذت في الأصالة مكانة لا تضاهيها مكانة، وملكت قوة على احتواء اللغات لايماثلها قوة، ولهذا فهي مهما تُشبّه بشيء فهي أكبر منه شأناً، وأعظم منه قدراً، وأعمق منه بعداً، لا يقف الواصف لجمالها عند حد، ولا يصل المتحدث عن بلاغتها وبديعها وقوة أسلوبها، وحسن تركيبها وعذوبة معانيها إلى نهاية. هي بحر ولغات العالم جداول وأفلاج تغرق في أعماق محيطها العظيم. امتازت بـ «ضادها» التي يصعب على أي لسان غير عربي أصيل أن ينطق بها. كما امتازت على سائر لغات العالم بالمرادفات التي تسعف لسان المتحدث بها أو الكاتب بها.

فإذا تعسر عليه أو غاب عن ذهنه لفظة وجد لها مرادفاً يأتي بمعناها ومفهومها.

ولو لم تكن اللغة العربية ذات شأن لما كانت لغة آخر الرسالات السماوية إلى الأرض فاستحقت بذلك الخلود.

وأبناء اللغة العربية يجدون في مديحها آفاقاً واسعة تمدهم برؤية حقيقية لواقعها. ولهذا جدّت الأقلام في وصفها، وتمجيدها، وذكر مآثرها، والافتخار بتكريمها بالقرآن العظيم الذي نزل بلسانها لتبقى على

---

(١) كتبت هذا الموضوع في صبح يوم الاثنين ١ ربيع الأول سنة ١٤١٢هـ بمدينة الباحة.

رفع عبد الرحمن الهيثمي

الأرض ما بقي القرآن الذي تولت العناية الإلٰهية حفظه قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٦].

وعن حياة اللغة العربية وسمو قدرها قال محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر المتوفى سنة ١٣٧٧هـ قصيدة طويلة قوامها ثلاثة وثلاثين بيتاً تضمنها ديوانه «خواطر الحياة» أقتطف منها قوله:

أبدع القول وقد أسعده
لهجة فصحى وجأش مُسْتَقِرْ

لغة أُودِعَ في أصدافها
من قوانين الهدى أبهى دُرَر

لغة تقطف من أغصانها
زَهْرَ آداب وأخلاق غرر

أقلم تَنسُج في منوالها
كَلِمُ التنزيل في أسمى سور

ضربت في كل فن ساحر
من فنون القول بالسهم الأغر

لفظها الجزل له وقع كما
يقعُ السيف إذا السيف خَطَر

فاسأل التاريخ ينبئك بما
أنجبتْ أرضُ قريش ومضر

من خطيب مصقع أو شاعر
مُفلقٍ يسحب أذيال الفخر



رفع المسهما

ابن الدمينة. هو عبد الله بن عبيد الله

ذكر الأستاذ أحمد راتب النفاخ محقق ديوان ابن الدمينة الذي هو صنعة أبي العباس ثعلب. ومحمد بن رجب. أن هناك شبه إجماع لدى من ترجموا لابن الدمينة. على أن اسمه: عبد الله بن عبيد الله بن عمر بن مالك، ولم يرفع نسبه فوق ذلك. أما كنيته فهو يكنى أبا السرّى. ونصوا على أن «الدمينة» أمه، وهي الدمينة بنت حذيفة من بني سلول، غلبت عليه فاشتهر بنسبته إليها، وما يعلم عن أسرته شيئاً وراء هذا.

ومعنى الدمنة: وتصغيرها الدمينة، يأتي على ثلاثة أشياء كما قال علماء اللغة. فالدمنة: المنزل بعينه لأنه يُدمن، أي يؤثر فيه والدمن: البعر والرماد ومصب اللبن. والدمنة: الحقد. وعلى الرغم من وصف المترجمين لابن الدمينة بأنه قد اجتمع له مع رقة المعاني الفصاحة ومع العذوبة الجزالة. وأنه كان مقدَّماً في المتغزلين، وأنه كان نقيَّ الكلم بعيداً عن التكلف، فإن حياته مليئة بالمشكلات التي أهمها خيانة زوجته له، وارتكابها الفجور بابتذالها لشخص يدعى مزاحم بن عمرو السلولي. الأمر الذي حمله على قتل مزاحم وزوجته (أم أبان) وابنته فأصبح خائفاً يترقب حتى أصبح يخيفه منزله بعد قتل زوجته وابنته ففضل التشرد الذي انتهى بقتله على يد شخص يدعى معصباً وهو أخ لمزاحم بن عمرو السلولي، المقتول.

ومن أشهر قصائد ابن الدمينة، قصيدته التي مطلعها:

ألا هل من البين المفرّق من بُدِّ
وهل لليالي قد تسلّفن من ردّ

ومنها يقول:

وقد زعموا أن المحب إذا دنا
يَمَلُّ وأن النأيَ يشفى من الوجد

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا
على أن قرب الدار خير من البعد

هوايَ بهذا الغوْر غور تهامة
وليس بهذا الحي من مستوى نجد

ومنها يقول:

فمن حبها أحببتُ من لايحبني
وصانعت من قد كنت أُبعده جهدي

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
لقد زادني مسراك وجداً على وجدي

أأن هتفت ورقاء في رونق الضحى
على فنن غض النبات من الرند

بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن
جليداً وأبديت الذي لم تكن تبدي[1]



(١) ديوان ابن الدمينة.

رفع المسأهمل

الإماء الشواعر

و«الإماء الشواعر» هو عنوان كتاب ألفه أبو الفرج الأصبهاني. جاء في مقدمته ما نصه: كان الوزير، أطال الله بقاءه ذاكرني منذ أيام فيمن قال الشعر من الإماء المماليك، وأمرني أن أجمع له ما وقع إليّ من أخبارهم في الدولتين الأموية والعباسية، ولم أجد في الدولة الأموية منهن شاعرة مذكورة، ولا خاملة، لأن القوم لم يكونوا يختارون من في شعره لين ولا يرضون إلّا بما يجري مجرى الشعر الجزل المختار الفصيح، وإنما شاع هذا في دولة بني هاشم فذكرت منهن ما وقع إليّ من شعر مستحسن صالح، ورسمت ذلك على قدر مراتبهن في اشتهارهن وأزمانهن وبدأت منهن جارية الناطفي فإنها كانت أشعرهن وأقدمهن. وبالله التوفيق وهو حسبى ونعم الوكيل وصلى الله على محمد النبي وأهل بيته الطيبين. انتهى.

ولقد كان عدد الإماء الشواعر التي ذكرها أبو الفرج اثنتين وثلاثين أمة شاعرة. ومن تلك الإماء الشواعر الشاعرة عريب جارية المأمون التي قال عنها أبو إسحاق: ما رأيت امرأة قط أحسن وجهاً وأدباً وغناء وشعراً وضرباً ولعباً بالشطرنج والنرد من عريب. وما تشاء أن تجد خصلة حسنة ظريفة بارعة في امرأة إلّا وجدتها فيها.

وفيما يروى عن عبد الله بن المعتز أن عريباً كان لها مكاتبات نثرية بالإضافة إلى مكاتباتها الشعرية.

وفيما دونه لها أبو الفرج الأصبهاني في كتابه آنف الذكر أبيات امتدحت بها المعتز وأمه قبيحة، وذلك بقولها:

رفع المستهم

أســـلـــمـــي يـــا دار ذات الـ
عـــزّ لـــلـــمـــعـــتـــزّ دارا

ثـــمّ كـــونـــي لـــولـــيّ الـــد
هـــر خـــلـــداً وقـــرارا

أبـــداً مـــعـــمـــورة مـــا
طـــرد الـــلـــيـــلُ الـــنـــهـــارا

ويـــكـــون الـــلّـــه لـــلـــد
يـــن ولـــلإســـلام جـــارا

ووَلـــيـــاً ونـــصـــيـــراً
حـــيـــث مـــا حـــلّ وســـارا

يـــا أمـــيـــر الـــمـــؤمـــنـــيـــن أخـــ
تـــارك الـــلّـــه اخـــتـــيـــارا

وولاة الـــعـــهـــد لـــلـــد
يـــن صـــغـــاراً وكـــبـــارا

فـــدم الـــدهـــر لـــنـــا مـــا
طـــلـــع الـــنـــجـــم وغـــارا



نبذة عن أبي جلدة!!

وأبو جلدة هو ابن عبيد بن منقذ بن حجر بن عبيد الله بن مسلمة بن حبيب اليشكري ترجم له الدكتور نوري حمودي القيسي في كتابه «شعراء أمويون» ترجمة استقطبت حياته وشعره. ملخصها قوله: عُرفت صلة ابن جلدة بالحجاج حيث كان من أخص الناس به، لكنه تحول فصار من أشد الناس تحريضاً على الحجاج، وخرج مع عبد الرحمٰن بن محمد الأشعث الذي صار ألد خصوم الحجاج. ومن استغراب الحجاج لمعاداته إياه قوله عندما وضع بين يديه رأس ابن جلدة: كم من سر أودعته في هذا الرأس فلم يخرج حتى أتيت به مقطوعاً، كما حصل بينه وبين القعقاع بن سويد المنقري جفوة فهجاه هجاء فاحشاً، لكن القعقاع حمله على أنه قال ذلك وهو في حالة سكر فعفا عنه. وخروجه على الحجاج وهجائه للقعقاع وغيره أوجد في نفسه خيفة فأخذ يستنجد مسمع بن مالك. ولكن هيهات ينجو من الموت وقد اجتمع عليه سوء سلوكه ومطاردة الحجاج له الذي طوى جميع طموحاته وأحلامه التي تمده بوهمية الزعامة.

وتشير دراسة القيسي إلى أن أوليات حياة أبي جلدة لم تُعرف. وقد طويت صفحته بالقتل سنة ٨٤ هـ فترك تراثاً احتفظ به كتاب «الأغاني». وذكر بعض قصائده (الشجري) في حماسته و (الطبري) في تاريخه. ولم تحفل بأخباره أو أشعاره كتب الأدب الأخرى.

أما شعره فهو خليط من الرثاء والمديح والهجاء والغزل، لكنه شعر ممتلئ بقوة التعبير وجزالة المعنى.

رفع المسهم

والنقاد يرون أن أبا جلدة امتداد للأعشى في شعره لأنه يبدع في كل فن يطرقه من فنون الشعر.

قال ابن حبيب: وكان أبو جلدة قد استعمله القعقاع بن سويد حين تولى سجستان على بُست والرخج فأرجف الناس بالقعقاع وأرجف به أبو جلدة معهم. وكتب القعقاع إليه يتهدده فكتب إليه أبو جلدة قصيدة منها قوله:

يهددني القعقاع غير كُنهه
فقلت له بكرٌ إذا رمتني تُرسى

لعمري إذا أوعدتني ما ذعرتني
فدونك فاغضب إن غضبت على الشمس

كأنا وإياكم إذا الحرب بيننا
أسود عليها الزعفران مع الورس

هناك السعود السانحات جرت لنا
وتجري لكم طير البوارح بالنحس

وما أنت يا قعقاع إلّا كمن مضى
كأنك يوماً قد نقلت إلى الرمس

أظن بغال البُرد تسري إليكم
به غطفانياً وإلّا فمن عبس

وإلّا فبالبسّال يا لك إن سرت
به غير مغمور القناة ولا نكس

فعمالنا أوفى وخير بقيّة
وعمّالكم أهل الخيانة واللبس



رفع المسهما

عيون من عيون الشعر عن العيون

والحديث عن العيون يطول ويتسع اتساعاً ما تدركه العين نفسها من رؤية لها، والدليل على ذلك أن القارئ لو ألقى نظرة على أي عمل أدبي ناهيك عن دواوين الشعر فإنه لا بد واجداً للعين حضوراً فيها على أي صورة وبأي مفهوم، لأن أهل الأدب وأرباب الشعر والكُتَّاب يجعلون لكل شيء عيناً مبصرة أو عيناً معنوية يستخدمونها كرمز لإبراز ما يصفونه من الأشياء التي تخطر لهم فيها خواطر تُلزمهم بالكتابة عنها.

ولا أريد هنا أن أذكر شيئاً من النماذج التي يكون للعين حضور فيه فقد سبق هذا الموضوع عدة موضوعات تناولت فيها العين بشيء من التفصيل عن تأثيرها في بعض جوانب الحياة وذكرت الشيء الكثير عن ذاتها، وسيلحق هذا الموضوع إن شاء الله موضوعات أخرى أتطرق فيها للعين من زوايا أخرى ومن جوانب لها فيها أثر وتأثير.

ولا بأس أن أكتفي في هذا الموضوع بذكر شيء من عيون الشعر في العيون مقتصراً على ذكر ما قيل في وصفها وتأثيرها وما لها من هيبة وما فيها من رقة تجلب الهوى وتفتح باب الغزل. يقول أحد الشعراء معبراً عن هيبة العين:

أفكر ما أقول إذا التقينا
وأحكم دائباً حجج المقال

فترتعد الفرائص حين تبدو
وأنطق حين أنطق بالمحال

أما عن البكاء وتأثير الدموع على الكحل فيقول أحدهم:

رفع المسهم

فيا حسنها إذ يغسل الدمع كحلها
وإذ هي تذري الدمع منها الأنامل

عشية قالت في العتاب قتلتني
وقتلي بما قالت هناك تحاول

أما تأثيرها على من تصوب نحوه فيظهر في قول الشاعر:

وتنال إن نظرت إليك بطرفها
ما لا ينال بحده النصل

ويقول أحدهم، وأحسبه امرئ القيس:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي
بسهمك في أعشار قلب مقتل

وقد تفوق العين بنظرتها ما يفعله السيف والسنان يقول الشاعر:

شبه السيف والسنان بعيني
من لقتلي بين الأنام استحلا

فأتى السيف والسنان فقالا
حدنا دون ذاك حاشا وكلا



رفع المسبهم

الإنسان يكتسب من طبيعة أرضه بعض صفاتها

وإذا كانت طبيعة كل أرض تؤثر في كل من يعيش عليها من حيث اللون فإنه من الطبيعى أن تؤثر فيه من حيث الطبع أيضاً. ومن المعروف بل من المشاهد أن طبيعة أهل السواحل تختلف عن طبيعة أهل الصحراء لأن كلاً منهم قد اكتسب من طبيعة أرضه بعض صفاتها، كقسوتها ولونها ووعورتها وسهولتها وهدوئها وعنفها وما إلى ذلك من تضاريسها ومناخها. ولا أريد هنا أن أضع مقارنة أو مفاضلة بين الإنسان الصحراوي، والساحلي بقدر ما أريد وقفية الحديث على صحراوي، الجزيرة العربية بالذات الذي اكتسب من شموخ جبالها همته ومن سهولها دماثة أخلاقه، ومن صفا جوها كرم طبعه، ومن اتساع أفقها سعة خياله، ومن زرقة سمائها هدوء نفسه، ومن نسيمها وتغريد طيورها وأريج خزاماها وعبير عرارها ونشر عرفجها وروائح جثجاثها وقيصومها شاعريته التي تتدفق أصالة لا تضاهيها شاعرية ليست من بنات أفكار الصحراوي.

وإذا كان كلٌّ يمجد وطنه ويُعلي شأنه ويجلو محاسنه بذكر مآثره التي تميزه عما سواه فإن إنسان الصحراء يجد في صحرائه ما يشبع نهمه في الوصف والتصوير والخيال.

يقول أحد الشعراء المعاصرين وهو الشاعر محمد راجح الأبرش واصفاً الصحراء وعلاقة إنسانها بها في قصيدة طويلة نشرتها له «المجلة العربية» في عددها ١٦٩ صفر سنة ١٤١٢هـ أقتطف منها قوله:

على آفاقها عُرف الإباءُ

وفي ساحاتها برز الوفاءُ

رفع المسهم

وفي جنباتها الفرسان تترى
ومن أخلاق فتيتها الفداءُ

هي الصحراء كم ربَّتْ رجالاً
وأشبالاً تباركها السماء

بطولات وإقدام وعزم
مزايا في طليعتها الإباء

ونألفها وتألفنا زماناً
أجل في حبنا يبدو الصفاء

وكثبان الرمال على امتداد
توضّح في شوامخها الإباء

صحارينا تعلمنا دروساً
فبعد الصبر يبتدر الجزاء

أحب مكارم الصحراء وإني
فخور كلما ذكر المضاء

أما جملة أبيات القصيدة المنشورة فهي ثلاثة وأربعين بيتاً.



المثقّب.. لقب لعائذ بن محصن وليس اسماً له

وتكاد تجمع الرواة على أن اسم الشاعر الجاهلي هو عائذ بن محصن بن ثعلبة بن وائلة بن عدي بن عوف بن دُهن بن عذرة بن منبّه بن نُكْرَة بن لكيز بن أقصى بن عبد القيس (وعبد القيس) هو ابن أقصى بن دُعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وإنما لقب بالمثقب وعرف به لقوله هذا البيت من قصيدة له قوامها ٤٧ بيتاً:

أرَيْــنَ مــحــاســنــاً وكــنَــنّ أخــرى

وثــقــبــن الــوصــاوص لــلــعــيــون

ويروى أنه ولد بالقطيف لكنه لا يعرف تاريخ مولده شأنه في ذلك شأن الكثير من الجاهليين الذين لا يعرف تاريخ ولادتهم ولا وفاتهم، إلا باستقراء ومقارنة الحوادث بحياتهم أما المثقب فيرجح بعض دارسي حياته ومتتبعي أخباره أنه ولد عام ٥٥٠م أو ٥٣٥م لأنه قال قصيدة خاطب فيها عمرو بن هند الذي انتهى حكمه ٥٧٨م بقتله على يد عمرو بن كلثوم. كما يرجح أن حياته انتهت خلال حكم النعمان بن المنذر حوالي ٥٨٧م، ويقع قبل البيت السابق ذكره بيت. يقول فيه:

ظــهــرن بــكــلّــه وســدلــن رقــمــاً

مــن الــديــبــاج والــبــشــر الــمــصــون

ومن تلك القصيدة قوله مخاطباً ناقته:

تـقـول إذا درأتُ لـهـا وضـيـنـي
أهـذا ديـنـه أبـداً وديـنـي؟[1]

قال الأستاذ حسن كامل الصيرفي الذي عني بالتحقيق والشرح والتعليق على ديوان المثقب المعبدي في تعليق له على هذا البيت: حسبنا من شعر المثقب دليلاً على ذيوعه أن يتردد هذا البيت في قرابة ٤٠ مرجعاً وأن يظفر بصفة خاصة بحظ وافر من الرواة والاستشهاد به عند مفسّري القرآن ومن عالجوا غريبه وإعجازه. قال: والقصيدة التي منها هذا البيت كان يستجيدها أبو عمرو بن العلاء ويقول: لو كان الشعر مثلها لوجب على الناس أن يتعلموه.. ويلي هذا البيت بيت لا يقل عنه جودة وهو:

أكـل الـدهـر حـل وارتـحـال
أمـا يـبـقـى عـلّـي ومـا يـقـيـنـي

وبعد مخاطبته لناقته ووصوله لعمرو بن هند ينقل الخطاب لعمرو، لكن الأصمعي شك في أن يخاطب المثقب الملك عمرو بن هند بهذا الأسلوب:

فـإمـا أن تـكـون أخـي بـحـق
فـأعـرف مـنـك غـثـي مـن سـمـيـنـي

وإلّا فـاطـرحـنـي واتـخـذنـي
عـدواً أتـقـيـك وتـتـقـيـنـي

ومـا أدري إذا يـمـمـت وجـهـاً
أريـد الـخـيـر أيـهـمـا يـلـيـنـي

أألـخـيـر الـذي أنـا أبـتـغـيـه
أم الـشـر الـذي هـو يـبـتـغـيـنـي

---

(١) هذا البيت دار حوله أقوال وشروحات، واتخذ شاهداً من شواهد اللغة. لذا سأخصه بموضوع يلي هذا الموضوع إن شاء الله تعالى.

رفع المسهما

بيت المثقّب!!

والمثقب هو عائذ بن محصن بن ثعلبة بن وائلة بن عديّ بن عوف وقد سبقت له ترجمة في هذا الجزء تحت عنوان «المثقب.. لقب لعائذ بن محصن وليس اسماً» وذيلته بشرح وعدت فيه بأني سأخص البيت التالي بموضوع مستقل نظراً لما دار حوله من شروح وتعليقات ـ البيت:

تـقـول إذا درأت لـهـا وضـيـنـي
أهـذا ديـنـه أبـداً وديـنـي؟!

وهو من قصيدة للمثقب تبلغ أبياتها ٤٧ بيتاً. استهلها بهذه الأبيات:

أفـاطـم قـبـل بَـيـنـكِ مـتـعـيـنـي
ومَـنْـعُـكِ مـا سـألـتـك أن تـبـيـنـي

فـلا تَـعِـدِي مـواعـد كـاذبـات
تـمـرُّ بـهـا ريـاح الـصـيـف دُونـي

فـإنـي لـو تـخـالـفـني شـمـالـي
خـلافـك مـا وصـلـت بـهـا يـمـيـنـي

إذاً لـقـطـعـتـهـا. ولـقـلـتُ بِيْـنـى
كـذلـك أجـتـوي مـن يـجـتـويـنـي

ومنها قوله:

لـعّـلـكِ إن صـرمـت الـحـبـل مـنـيّ
أكـون كـذاكِ مُـصْـحِـبـتـي قَـرُونـي

رفع المسهم

فسَلِّ الهمّ عنك بذات لَوْثٍ
عذافِرَةٍ كمطرقةِ القيون

بصادقة الوجيف كأن هراً
يباريها ويأخذ بالوضين

وأعود إلى البيت «تقول إذا درأتُ لها وضيني.. البيت» لنعرف أن المثقب كان يخاطب ناقته. وإن معنى (درأتُ) أزلته عن موضعه ونحيته ودفعته كما قال الأنباري في شرحه. وإن الوضين للرحل بمنزلة الحزام للسرج.

أما الشروح والتعليقات التي دارت حول هذا البيت فهي كثيرة جداً. ووفقاً لما جاء في تعليق الأستاذ حسن كامل الصيرفي عند شرحه للبيت المذكور: أنقل باختصار ذكر علماء اللغة لهذا البيت. فحول ذيوعه، قالوا: هو أكثر أبيات المثقب دوراناً على الأقلام وبخاصة أقلام مفسري القرآن أو من عالجوا غريبه ومجازه، وقالوا: إنه تردد في قرابة ٤٠ مرجعاً.

أما معنى البيت فقد قال صاحب تهذيب الألفاظ: إن المثقب يريد أن ناقته سئمت من كثرة ما يرحلها فإذا شد عليها الوضين (والوضين إنما يشد عليها مع الرحل) ضجت فكأنها في حالة الذي لو تكلم لنطق بهذا القول وشكا حاله. وفي معنى: درأت. ذكر الطبرى البيت عند تفسيره قوله تعالى: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ١٦٨﴾ [آل عمران: ١٦٨]. وقال ابن فارس في المجمل: درأت الشيء: دفعته. قال الله جل ثناؤه: ﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ [النور: ٨].

وفي اللسان (درأ) يقال: درأت له وسادة: إذا بسطتها - ودرأت - وضين البعير: إذا بسطته على الأرض ثم أبركته عليه لتشدّه به وقد درأت فلاناً الوضين على البعير وداريته. ومنه قول المثقب العبدي: وذكر البيت.

رفع
المسهم

القصة المثيرة للأشهب بن رميلة[1]

والأشهب هو أحد الأخوة الأربعة أبناء ثور بن حارثة، ينتهي نسبه بنهشل بن دارم وهم زباب، وحجناء والأشهب، وسويد. وقد كان للأشهب تهاجٍ مع الفرزدق ويذكر أن الفرزدق كان يخشى من زباب لأنه من أشدِّ الناس وأخبثهم، أما الأشهب فكان يكنى بأبي ثور ويعرف بابن رميلة التي ابتاعها أبوه في الجاهلية، وولدت له جميع إخوته في الجاهلية. أما قصته المثيرة فتتلخص في أنه كان وإخوته إذا وردوا ماء من مياه الصمان حظروا على الناس ما يريدونه منه وقد قيل: إنه كانت لأمهم رميلة قطيفة حمراء فكانوا يأخذون الهدب من تلك القطيفة فيلقونها على الماء أي: قد سبقنا إلى هذا فلا يرده أحد لعزهم فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه ويدعون ما يستغنون عنه. فوردوا في بعض السنين ماء فأورد بشر بن صبيح من بني قطن بن نهيك بعيره حَوضاً فضربه (زباب) بعصا فشجه فكانت بين بني رميلة وبين بني قطن حرب فأسر بنو قطن أبي بن أشيم النهشلي حيث كان مع بني رميلة.

فقال نهشل بن حري: يا بني قطن إن هذا لم يشهد شركم فخذوا عليه أن ينصرف عنكم بقومه وأطلقوه. ففعلوا فذهب من قومه بسبعين رجلاً. فلما رأى الأشهب ذلك أصلح بينهم ودفع أخاه زباب إليهم وأخذ منهم الفتى المضروب فلم يلبث أن مات. فأرسل إلى

(١) كتبت هذا الموضوع فجر يوم الجمعة ٢٧ صفر سنة ١٤١٢هـ بمكة المكرمة حيث أمضيت أيامات هناك.

رفع المستهمر

بني قطن يعرض عليهم الديّة. فقالوا: لا نرضى إلّا بقتل قاتله، وأرادوا الزباب. فقال لهم: دعوني أصلي ركعتين فصلى وقال: أما والله إني إلى ربي لذو حاجة، وما منعني أن أزيد في صلاتي إلّا أن يروا أن ذلك فرقٌ من الموت، فدفعوه إلى والد المقتول واسمه خزيمة فضرب عنقه. وكان ذلك بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، فندم الأشهب على ذلك وظهر ندمه في شعره حيث بث فيه أحزانه على الزباب. ولقد ضحى الأشهب في هذه القصة تضحية نادرة تمثلت في تقديم أخاه الزباب للقصاص من أجل إنهاء الحرب وحقن الدماء ودفن الأحقاد.

وأما تاريخ وفاة الأشهب فلم أقف له على ذكر ولعل أحدث قصيدة قالها هي مدحه للحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وهو والي الكوفة سنة ٦٧هـ. ومن شعر الأشهب بن رميلة النهشلي الدارمي قوله:

أرى العين من ذكرى زباب كأنها
بها رمد لا يقبلُ الكحل عائره

جزى اللّه قومي من شفيع وطالب
جزاء مسئ حين تُبلى سرائره

هُمُ فقؤوا عيْنيّ لا العَرْي آمر
بخير ولا ذو الذّنب إذ كان غافره

ولو رهط مرداس بن حيان أحدثوا
وعى العظمُ وانضمتْ عليه جبائره

فما كنت فيما نابني أول امرئ
جنى حدثاً أو أسلمته عشائره

دعا إذْ دعا قومٌ عليه أخاهم
تماضر إذ أسلمته تماضره

ألا طالما رجيتكم وامتدحتكم
فهذا أوان الشتم أشأم طائره

فلم يشقني ربي ولم يجزني أخي
إذ غار نجم من تهامة غائره



رفع
المسهم

مفاهمة مع طبيب عيون(١)

قال الشاعر سيد خضر محمد حسن مقدماً لقصيدة له جعل عنوانها: «نقل يديك» في زيارة مفاجئة إلى طبيب العيون أخبرني أني في حاجة إلى إجراء عملية جراحة، ثم أورد القصيدة.

وقبل أن أستعرض شيئاً من أبيات تلك القصيدة، أجد الإشارة مناسبة إلى أنَّ أيَّ كاتب أو شاعر تصدف له حالة مرضية أو تفاجئه مشكلة يكون له ارتباط بها فإنه يدخل بها في دائرة الأدب، ويجعل منها موضوعاً طريفاً يكون له عشاق يدرسونه ويستمتعون بما يحتويه من جدّ أو مداعبة.

أما سيد خضر فقد طلب إلى طبيبه أن يرفق وأن لا يطلق العنان لمبضعه على صفحة عينه التي قرر إجراء عملية لها:

نقل يديك برفق فوق صفحتها
والجم هوى مبضع إذْ راح يغشاني

كما طلب إليه أن يبعد بخفة يده وبراعة خبرته، ومهارة جراحته كلمة الآه من لسانه أثناء إجراء العملية:

وانزع إن اسطعت وشم الآه من مقل
هل يحتوي الوشم هذا المبضع الحاني

ما أجهد العين غيرُ الآه أكتمها
إذا تأوه طفل أوكبا ثان

---

(١) كتبت هذا الموضوع بعد صلاة الفجر من يوم الثلاثاء ٢٤ صفر سنة ١٤١٢هـ بمدينة الطائف.

رفع المسهم

أو غيب الدرب درباً ساق أمنية
وضلل الليل سُفْناً صوب شطاني

ويخبر طبيبه بأن عينه ما دمعت لحادث مثل ما دمعت لإجراء العملية ويحذره من الإهمال لأن داء عينه قد أقلقه وأرّقه وجلب له الخوف من ابتعاد أصحابه منه:

فكم صُلبت وعيني قط ما دمعت
أنا الذي إن شجى لحنٌ لأبكاني

فحذر تدافع عبرات لها حمم
كيلا تراقب (مذهولاً) فتنساني

مُذ قيل داء سرى بالعين أرّقني
بُعد الصحاب وكانوا طي أحضاني

ويختمها بقوله:

فا نقل يديك برفق فوق صفحتها
أو شئت عَجّلْ فملئ القلب إيماني

والقصيدة أطول من ذلك فهي تبلغ عشرين بيتاً وقد نشرتها (المجلة العربية) في عددها ١٦٩ لشهر صفر سنة ١٤١٢هـ.



رفع المسيهم

الحياة في نظر الطفل[1]

والطفل حينما يفتح عينيه على الحياة لا يبصرها إلّا مجرد مجموعة من الأشياء المتحركة التي لا يعرف كنه تحركها. والثابتة التي لا يعرف سر ثبوتها، وجل ما يعرفه أن جميع أشياء الحياة لا تكلف شيئاً، بل يعتبرها أموراً بسيطة كبساطة نفسه التي ما زالت متسربلة بأثواب براءة الطفولة وطهارتها، فلا يعرف معنى العبء الذي أثقل كاهل والده، ولا مكابدة الحياة التي يكد ويكدح أبوه للحصول على رخائها.

ولقد صور الشاعر محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر المتوفى سنة ١٣٧٧هـ حياة الطفل الذي لم يدرك واقع الحياة في قصيدة من إحدى قصائده التي ضمها ديوانه «خواطر الحياة» منها قوله مخاطباً الفتى بقوله:

وقضيت حيناً لا تُسر ضغينة
يوماً ولا تبدي الرضا تدليسا

ثم يصور الطفل عندما تبدأ مرحلة الإحساس عنده ببعض جوانب الحياة عن طريق المشاهدة ومعرفة أسرارها وكنه وجود الأشياء القريبة منه:

وشعرتَ من رُعيا أبيك بأن في
أبناء قومك سائساً ومسوسا

لكن هذا الإدراك البدائي لا يعطي الفقه التام لمعنى ما يحدث

---

(١) كتبت هذا الموضوع بعد فجر يوم السبت ٢٨ صفر سنة ١٤١٢هـ بمكة المكرمة.

رفع المسلم

فوق الأرض من مخالفات ذات صبغة غير مألوفة وتأثيرٍ سيءٍ يصدر من بعض الناس إلى الناس وإنما يظن الحياة فردوس ونعيم مقيم:

ما كنت تفقه إن فوق الأرض مجـ
روماً عـلـيـه وجـارمـاً غـطـريـسـاً

ولهذا فقد ظننتها أيها الطفل البريء فردوساً حتى بلغ بك الإدراك ظلم بعض لبعض وهضم حق الضعيف فيها:

فظننتها الفردوس حتى أبصرت
عيناك حق ضعيفهم منحوساً

ثم ينقل محمد حسين الصورة إلى تصوير ما يحدث من تغيرات أثناء الحياة وكيف أن الأمر يكون لمن يملك القوة وأن الضعيف متى ما قوي سلب ممن كان قوياً قوته وأصبح الآمر الناهي عليه:

يسطو القوي على الضيف وربما
صار الضعيف على القوي رئيسا

وفي أسلوب توجيهي يحث الطفل على أن يستمر على براءته وطهارته التي ولد عليها:

أُعطيت مطلع أسعد فحذار أن
يضع الهوى بدل السعود نحوسا

هي فطرة الخلاق كالمرآة لا
تلقى بها عوجاً ولا تدنيسا

ثم يحقق أن الشهامة في مواجهة الخطوب وترويضها:

والشهم من عانى الخطوب وراضها
فغدت أرق من النسيم مسيسا

رفع
المسهما

ديك الجن. هو عبد السلام بن رغبان

وديك الجن الحمصي هو أبو محمد عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن يزيد بن تميم الكلبي الحمصي، هكذا عرفه محققا ديوانه الدكتور أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري نقلاً عن الأغاني.

وفي معنى ديك الجن وسبب تلقيب عبد السلام به أقوال كثيرة منها: ما نقله الدميري عن القزويني صاحب كتاب «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» وفيه: ديك الجن: دويبة توجد في البساتين إذا ألقيت في خمر عتيق حتى تموت وتترك في محارة تسد رأسها وتدفن في وسط الدار فإنه لا يرى فيها شيء من الأرضة.

وفي تاج العروس: قال الزبيدي: الديك في كلام أهل اليمن الرجل المشفق الرؤوف، والديك أيضاً: الربيع في تلون نباته. وقال خير الدين الزركلي: «سمي عبد السلام بديك الجن لأن عينيه كانتا خضراوان.

وقال الدميري: سمي بديك الجن لخروجه إلى البساتين كثيراً ومعاقرة الخمر.

أما محمد السماوي فيعزو تسميته بديك الجن إلى قصيدة قالها في رثاء ديك عمير. وكان هذا قد ذبحه وعمل عليه دعوة. والقصيدة هي:

دعانا أبو عمرو عمير بن جعفر
على لحم ديك دعوة بعد دعوة

رفع المسامهم

فـقـدم ديـكـاً عُـدّ دهـراً ذمـلّـقـاً
مـؤنــس أبـيـات مـؤذن مــسـجـد

يـحـدثـنـا عـن قـوم هـودٍ وصـالـح
وأغـرب مـا لاقـاه عـمـرو بـن مـرشـد

وقـال: لـقـد سـبـحـت دهـراً مـهـلـلاً
وأسـهـرت بـالـتـأذيـن أعـيـن هُـجّـد

أيـذبـح بـيـن الـمـسـلـمـيـن مـؤذن
مـقـيـم عـلـى ديـن الـنـبـي مـحـمـد

فـقـلـت لـه: يـا ديـك إنـك صـادق
وإنـك فـيـمـا قـلـت غـيـر مـفـنـد

ولا ذنـب لـلأضـيـاف أن نـالـك الـردى
فـإن الـمـنـايـا لـلـديـوك بـمـرصـد

وعن شاعرية ديك الجن روى أن الأصبهاني قال في الأغاني:

إن أبا تمام قبل أن يشتهر شعره دخل على ديك الجن فقال له: أنا ابن أخيك حبيب بن أوس، وقد ألهمت الشعر، وأحب أن أعرض عليك بعض ما قلته. ثم أنشده فلما فرغ من إنشاده أخرج أبو محمد من تحت مصلاه درجاً كبيراً من أشعاره فأعطاه أبا تمام وقال: «تكسب بهذه فأخذها أبو تمام وخرج». أما عن مولده ووفاته فقد أشارت بعض المصادر إلى أنه ولد في حمص سنة ١٦١هـ وتوفي سنة ٢٣٥ وقيل: ٢٣٦ في أيام المتوكل. ولم يرثه أحد من الشعراء.

وقرأت في ديوانه منسوباً له بالنقل عن صاحب كتاب محاضرات الأدباء هذا البيت المتداول:

رفع المسيهما

جسّ الطبيب يدي جهلاً فقلت له
إن المحبة في قلبي فخلّ يدي

والذين يتغنون بهذا البيت يقولون: «إن التألم في قلبي إلخ» ولا أدري هل هذا تصرف منهم أم أن هناك نصاً صريحاً بذلك.



رفع المسهم

تبادل الشوق بالشعر[1]

وإذا جدّ الفراق وحال البعد بين المتآلفين، وطوّحت النوى بالمواطن عن وطنه جدَّ الحنين إلى المرابع وملاعب الصبا والشوق إلى الأصدقاء وتذكر أيام الطفولة والصبا واهتاجت قريحة الكتاب والشعراء، وصار للذكرى مجال واسع في النفس وللخاطرة جناح يخفق في كل صقع من الأرض التي صار المتآلفون فيها أشتاتاً.

ونحن إذا ما تتبعنا صور البوح بالذكرى والحنين إلى معاهد الصبا وجدناها منبثةً في كتب الأدب ودواوين الشعر بصورة لا يمكن حصرها ولا إحصاؤها. لكن الذي يطرب منها هو ما جاء في أسلوب شعري، لأن الأسلوب الشعري قد وثقته يد التأليف، واعتنت به أكثر من غيره من الرسائل التي تأتي بتعبير سجعي أو نثري عادي.

ومن التعبير الشعري تلك الرسالة التي بعث بها العلامة محمد الطاهر بن عاشور قاضي القضاة بتونس من تونس سنة ١٣٣١هـ لمحمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر بمصر. منها قوله:

بعدت ونفسي في لقاك تعيد
فلم يغن عنها في الحنان قصيد

وخلفت ما بين الجوانح غصة
لها بين أحشا الضلوع وقود

---

(١) كتبت هذا الموضوع يوم الأحد ٢٩ صفر عام ١٤١٢هـ بمدينة الباحة التي قضيت فيها أيمات من فصل هذا الصيف.

رفع المسَاهِم

وأضحت أماني القرب منك ضئيلة
ومرّ الليالي ضعفها سيزيد

إذا ذكروا للود شخصاً محافظاً
تجلى لنا مرآك وهو بعيد

وهي أكثر من ذلك إذ تبلغ نحواً من تسعة أبيات وقد ختمها ابن عاشور بقوله: هذه كلمات جاشت بها النفس الآن عند إرادة الكتابة إليكم. فأبثها على علاتها، وهي وإن لم يكن لها رونق البلاغة والفصاحة فإن الود والإخاء والوجدان النفسي يترقرق في أعماقها.

ويرد شيخ الجامع الأزهر محمد الخضر حسين بقصيدة قوامها ثلاثة عشر بيتاً منها قوله:

أينعم لي بال وأنت بعيد
وأسلو بطيف والمنام شريد

إذا أججت ذكراك شوقي أُخْضِلَتْ
لعمري (بدمع المقلتين) خدود

ومنها قوله:

أتذكر إذ كنا نباكر معهداً
حميّاه عِلْمٌ والسُّقَاةُ أسود

ومنها قوله:

ليال قضيناها بتونس ليتها
تعود وجيش الغاصبين طريد

والحقيقة أنه بمثل هذه الرسائل تشرق صفحات الأدب وتتعطر كتب التراث، وتستطاب قراءتها.

رفع عبد الرحمن الهندي المسيَّهم

الإمام الشافعي لم يقل على قافية الحاء إلّا سبعة أبيات!!

ولا أريد هنا التحدث عن الإمام الشافعي كصاحب عقيدة ومذهب فهو في هذا الجانب غنيّ عن التعريف. ولكن الذي أود أن أشير إليه، هو أن الإمام أبا عبد الله محمد بن إدريس الشافعي كان شاعراً مجيداً، وقد عني بجمع أشعاره والتعليق عليها الأستاذ محمد عفيف الزعبي. وأخرجها في ديوان سماه: ديوان الإمام الشافعي، والملاحظ أنه ليس للإمام الشافعي قصائد مطولة وإنما هي أبيات ومقطعات قصيرة لكنها تعادل في قيمتها وما تحتويه من حكمة ونصح وإرشاد مطولات غيره من الشعراء بل تفوقها من حيث المستوى الأدبي والتوجيهي.

والبحث عن الدليل على إقلاله يقف بي عند قافية الحاء إذ فيها ما يكفي لذلك حيث لم يأت فيها بأكثر من سبعة أبيات مجزأة تحت ثلاثة عناوين هي «فراسة مفتي» وتحته جاءت هذه التوطئة: «وحدث الربيع بن سليمان قال: كنا عند الشافعي إذ جاءه رجل برقعة فنظر فيها وتبسم ثم كتب فيها ودفعها إليه قال:

فقلنا: يسأل الشافعي عن مسألة لننظرنّ فيها وفي جوابها؟ فلحقنا الرجل وأخذنا الرقعة منه فقرأناها وإذا فيها:

سل المفتي المكي هل في تزاور
وضمة مشتاق الفؤاد جناحُ

قال: وإذا إجابة أسفل من ذلك:

رفع المسـهم

أقول: معاذ اللّه أن يذهب التُقى
تلاصق أكباد بهن جراح

قال الربيع: فأنكرت على الشافعي أن يفتي لحدث بمثل هذا فقلت: يا أبا عبد الله تفتي بمثل هذا شاباً؟ فقال لي: يا أبا محمد هذا رجل هاشمي قد عرّس هذا الشهر (يعني شهر رمضان) وهو حدث السن. فسأل هل عليه جناح أن يقبل أو يضم من غير وطء؟ فأفتيته بهذه الفتيا. قال الربيع: فتبعت الشاب فسألته عن حاله فذكر لي أنه مثل ما قال الشافعي. فما رأيت فراسة أحسن منه. أما العنوان الثاني فهو «الفقه والتصوف متلازمان» وتحته هذين البيتين:

فقيهاً وصوفياً فكن ليس واحداً
فإنّي وحق اللّه إيّاك أنصح

فذلك قاسٍ لم يذق قلبه تُقى
وهذا جهولٌ كيف ذو الجهل يصلح

وكان العنوان الثالث «السكوت سلامة» وتحته ثلاثة أبيات هي:

قالوا: سكتّ وقد خوصمتَ قلتُ لهم:
إن الجواب لباب الشر مفتاحُ

والصمت عن جاهل أو أحمق شرفٌ
وفيه أيضاً لصون العرض إصلاحُ

أما ترى الأسد تُخشى وهي صامتةٌ
والكلبُ يُخْسَى لعمري وهو نباحُ

وحول هذا المعنى يقول الشاعر دعبل الخزاعي:

وبع السفاهة بالوقار وبالنهى
ثمن لعمرك إن فعلت ربيح

رفع المسبهما

الرجز وأشهر الرّجّاز!!

والعجاج هو عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر ينتهي نسبه إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

أما العجلي فهو المفضل وقيل: الفضل بن قدامة بن عبيد الله بن عبد الله بن الحرث، ينتهي نسبه إلى جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. ويعد العجاج والعجلي من أشهر رجاز العرب وقد حصل بينهما تراجز في سوق المربد في القرن الأول من الهجرة.

وسوف آتي على شيء من حياة العجاج وطرف من أخباره تحت عناوين مختلفة في هذا الجزء إن شاء الله.

أما الرجز فهو ضرب من الشعر يقال على بحر الرجز، وهو أقل منزلة عند العرب في الجاهلية من القصيد. ولقد كان الرجز قبل العجاج والعجلي يقال منه البيتان والثلاثة في حالة مخاصمة أو مفاخرة أو حداء أو متح الدلو من القليب عند ورودها وسقي الماشية. وكان الرجز على حالته هذه يقال على البديهة. ولقد أخذ الرجز مكاناً من صفحات النقد فصار بين مادح ومنتقص. وإذا ما قرأت رأي كل منهما وجدت نفسك مع من قوي أسلوبه. وسوف أتعرض لبعض آراء العلماء في الرجز في موضوع لاحق إن شاء الله.

ونحن حينما نتتبع موازين الشعر ونجول في بحوره نجد أن الرجز بحراً من بحور الشعر ولهذا فإنه سواء أيده من أيده أو ناهضه من ناهضه فهو قد فرض نفسه وأثبت وجوده كفن من فنون الشعر. وقد حقق مكانته شعراؤه الذين أصبحوا فحولاً في فنه، حيث بلغوا به غاية

رفع المسهم

أدبية لا يدركها كل راغب في بلوغها، ووقفوا به على منابر المنتديات منذ العصر الجاهلي، وما ضاهاهم به أحد، وبه هجوا ومدحوا وتغزلوا، بل جاؤوا فيه بجميع الأغراض التي تُضَمّنُ القصائد ذات الأبيات. ومن نماذج الرجز هذه الأشطار من أرجوزة للعجاج:

إن الغواني قد غَنينَ عنّي
وقلن لي: عليك بالتمني
عنّا فقلت للغواني: إنيّ
على الغنى وأنا لمظنّي
لما لبسنا الحق بالتجنّي
غنين واستبدلن زيداً منّيّ
غُرانقاً ذا بَشَرٍ مُكْتن
يرضىٰ ويرضيهن بالتمنّي



الدمع: لغة ومعنى!!

إن لأوائلنا قصب السبق في جميع ميادين الأدب. والمتتبع لذلك يدرك أنهم قد أعملوا أفكارهم وجردوا أقلامهم فتركوا لنا تراثاً نعتز به ونفاخر. والذي سألمح عنه في هذه العجالة عن الجهود التي خلفت لنا تراثاً أدبياً هو (الدمع) فقد ألف صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي كتيباً سماه «تشنيف السمع بانسكاب الدمع» وهو كتيب لم يخرج فيه الصفدي عن ذكر الدمع ومصدره، ودواعي انسكابه وحيرته واندفاعه.

وقد أورد من الشواهد الشعرية ما يعد نموذجاً من ناحية الكم في هذا الموضوع. والكيف من ناحية الجودة وحسن الاختيار، وهو بحق عمل يترجم معنى التخصص في البحث.

وقد جاء في مقدمته ـ وأعني بذلك الكتيب ـ تفسيراً لغوياً لمعنى الدمع ونصه: «الدمع» ماء تقذفه العين من الرطوبة عندما يحصل للقلب رقة إما من خوف أو رجفة أو استغراق في الضحك أو عقيب التثاؤب وغير ذلك؛ وجمعه دموع في الكثرة وأدمع في القلَّة. مثل فلس وفلوس وأفلس، ونفس ونفوس وأنفس. والمدامع جمع مدمع وهو مجرى الدمع نفسه مثل مركب ومراكب. والغرب مجرى الدمع ويجمع على غروب. وللعين غربان مقدمها ومؤخرها.

قال الأصمعي: يقال: بعينه غروب إذا كانت تسيل ولا تنقطع دموعها. والغروب في الدمع مجازاً.

وقال في موضع آخر مبيناً تقسيم الماء من السحاب: سح. ومن الينبوع: نبع. ومن العين: انسكب. ومن المذاكير: نطف. ومن الجرح:

رفع عبد الرحمن الهاشمي

ثغ. قال: وقد يتجاوزه في كل ذلك ويستعمل في الدمع فيقال: رشح وانسفح وهطل وهمل وهمى وهمع ووكف وذرف وقطر وانهمر وجرى وسال وانبجس وصاب وهتن واسبل واستهل وفاض وانسرب وانسكب وانسجم وتحلب وتدفق وأزنق. ومما أورده من شواهد على الدمع قول إبراهيم الغزي:

سكرى الفؤاد وإن صحوا مرضى الهوى
والحب ما لمريضه إفراق

نطقوا بأعينهم وأفصح ناطق
دمع يفض ختامه الأشواق

وقول مهذب الدين قلاقس:

حجب الدمع مقلتي فعداها
أن ترى ما يروقها ما يريق

ولآلئ دموع عيني طوافٍ
فلماذا غواصهن غريق

وقول حسام الدين عيسى بن بهرام الحاجري:

ولما التقينا ومنّ الزمان
رأى دمع عيني دماً في المآقي

فقال: وعهدي به لؤلؤاً
أيجري عقيقاً وهذا التلاقي

فقلت: حبيبتي لا تعجبين
جعلت فداءك ميتاً وباقي

فتلك أوائل دمع الوداع
وهذي أواخر دمع الفراق

رفع المسهم

ابن المقفع هو ابن داذويه

والمقفع هو داذويه كان فارسياً ينتحل نحلة المجوس، وقد ربى ابنه روزيه تربية إسلامية حتى أولع بالعلم. وكان منه وهو ابن عشرين سنة ما لم يكن من غيره في سن الخمسين. حيث جمع فنوناً من العلوم وأجاد الكتابة والسياسة، أما سبب تسمية المقفع فقد جاء في كتب التراجم والدراسات التي قدمت بها مؤلفات ابنه (كليلة ودمنة) والأدب الصغير، والأدب الكبير، ورسالة الصحابة، والدرة اليتيمة وغيرها، أنه تولى خراج فارس للحجاج بن يوسف الثقفي في الدولة الأموية فمدّ بيده لأخذ الأموال فضربه الحجاج فتقفعت يده أي تشنجت فسمي المقفع واشتهر به. وقيل: بل الذي ولاه خالد بن عبد الله القسري. والذي عذبه يوسف بن عمر الثقفي لما تولى العراق بعد خالد ويروي بعض الناس أن القفع على صيغة اسم الفاعل لا اسم المفعول لأنه كان يعمل القفاع ويبيعها. والقفاع: هي كالقفاف تعمل من الخوص. والأول أرجح عند أهل الرأي.

وتذكر الرواة أن روزيه كان من كتاب الأمراء فقد كتب أولاً لداود بن عمر بن هبيرة ثم كتب لعيسى بن علي ثم كتب لعبد الله بن علي ثم المنصور.

وقيل: إنه اختص بفنين أجادهما كل الإجادة وأتقنهما غاية الإتقان وهما: الترجمة. وتحبير الرسائل وكان ينتحل في أول أمره نحلة أبيه وهي المجوسية. ولما اتصل بعيسى بن علي قال له: إنه يجب أن يسلم على يده فأراد عيسى أن يكون إسلامه مشهوداً فأحضر الرؤساء من

رفع المستهام

القواد والجند وأعدَّ لهم طعاماً فكان روزية يأكل ويزمزم كما هي عادة المجوس. فقال له عيسى: إذا كنت تود الإسلام فما بالك تفعل عادة المجوس فقال: كرهت أن أبيت على غير دين، ثم أعلن إسلامه وسمي عبد الله. واكتنى أبا محمد وقيل: أبا عمرو، فصار عبد الله بن داذويه المقفع. فغلب عليه لقب أبيه فصار يعرف (بابن المقفع) وقيل: إنه ولد بالبصرة حوالي سنة ١٠٦هـ في خلافة هشام بن عبد الملك. أما أصله فمن قرية فارسية اسمها «جور» وهي قرية مجوسية أما نهاية حياته فقد قيل: إن سفيان المهلبى أمر له بتنور فسجّر ثم قطع أربعته ورماها في التنور سنة ١٤٥هـ. وقد قيل: إن له شعر قليل ولكنه جيد.

وابن المقفع يعد من الأوفياء إذ أنه أخفى صديقه عبد الحميد الكاتب في بيته سنة كاملة فلما علم السلطان المنصور بعث إليه الشرطة فأتوه فسألوه أيكما عبد الحميد؟ فقال كل: أنا هو، ولجّ في الطلب حتى تبين السلطان طلبته فأنفذ فيه أمره. وزعموا أن ابن المقفع مرّ ببيت نار بعد إسلامه فتمثل قول الأحوص:

يا بيت عاتكة الذي اتعزل
حذر العدى وبه الفؤاد موكلُ

إني لأمنحك الصدود وإنني
قسماً إليك مع الصدود لأميلُ

وهذان البيتان هما مقدمة قصيدة الأحوص التي تبلغ نحواً من ٤٥ بيتاً. منها قوله:

إن الشباب وعيشنا ألذّ الذي
كنا به زمناً نُسرُّ ونَجذلُ

ذهبت بشاشته وأصبح ذكره
حزناً يُعلّ به الفؤاد وينهلُ

رفع المسهم

إلّا تَـذَكُّـرَ مـا مـضـى وصـبـابـة
مُـنـيَـتْ لـقـلـب مـتـيـم لا يـذهـلُ

أودى الـشـبـاب وأخـلـقـتْ لـذاتـه
وأنا الحزين على الشباب المعْوِلُ

يـبـكـي لـمـا قـلـب الـزمـان جـديـدة
خَـلَـقـاً ولـيـس عـلـى الـزمـان مُـعـوّلُ

والـرأس شـامِـلُـه الـبـيـاض كـأنـه
بـعـد الـسـواد بـه الـثـغـام الـمـحْـوِلُ



رفع المسهم

النصارى جعلوا الله ثالث ثلاثة
وإنجيل عيسى مائة إنجيل!!

ويفيد المهتمون بالبحث في العقائد والأديان بأنه في القرن الرابع الميلادي بلغت أناجيل النصارى بسبب تحريفهم للإنجيل الصحيح، مائة إنجيل، حيث أخذت كل كنيسة تزيد فيه وتحذف منه وفقاً لسياسة قساوستها وميولهم الإلحادي. ثم حصل شبه اتفاق بين الكنائس فجمعوا منها ما استطاعوا جمعه بعلّاته وتحريفه فصيروها أربعة أناجيل أو خمسة بدل الإنجيل الذي أتى به عيسى عليه السلام، وقد بلغت تحريفاتهم إلى تأليه عيسى وأمه مريم وصاروا يعبدون ثلاثة آلهة الله الأب كما يزعمون، وعيسى الابن، وروح القدس. ثم أقر مجتمعهم الكنائسي منح الكنيسة حق الغفران والحرمان.

والغريب في الأمر أن أناجيلهم التي منها إنجيل (لوقا) وإنجيل (يوحنا) وإنجيل (متى) وإنجيل (برنابا) تذكر محمداً ﷺ على الرغم مما حدث من تحريف في الأصل. وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى قد أعمى أبصارهم وبصائرهم عما فيه من أخبارٍ ببعثة محمد ﷺ ليعصوا الله على بصيرة وعلم بمخالفة إرشاد عيسى عليه السلام لهم فيما يتعلق بالتصديق بمحمد وأن كتابه هو خاتمة الرسالات السماوية.

ففي إنجيل برنابا فصل ٣٩ من رقم ١٤ إلى رقم ٢٨ جاء ما نصه: «فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهوى كتابة تتألق كالشمس فصارت لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله، ففتح آدم فاه قال: أشكرك أيها الرب إلٰهي، لأنك تفضلت فخلقتني ولكن أضرع إليك أن تنبئني ما معنى هذه الكلمات محمد رسول الله؟. فأجاب الله: «مرحباً بك يا عبدي آدم وإني أقول لك

رفع
المسلم

إنك أول إنسان خلقت وهذا الذي رأيته إنما هو ابنك الذي سيأتي إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة وسيكون الذي لأجله خلقت كل الأشياء الذي منها جاء...» وعلى هذا يستقر القول بأن هناك صرفة من الله لم يستطيعوا معها حذف اسم محمد من أناجيلهم؟. فما عذرهم بعدم التصديق به وهم يجدونه عندهم في إنجيلهم؟ ليس هناك من عذر إلّا أن قلوبهم قد امتلأت بالكفر والجحود والإصرار على الإشراك بالله وجعله ثالث ثلاثة.

ويتساءل المسلمون عن هذا الإصرار على التثليث. وفي الإنجيل الصحيح ما ينفي ذلك. يقول الشاعر البوصيري من قصيدة طويلة:

خبرونا أهل الكتابين من أ
ين أتاكم تثليثكم والبداء

ما أتى بالعقيدتين كتاب
واعتقاد لا نص فيه ادعاء

والدعاوى ما لم تقيموا عليها
بينات أبناؤها أدعياء

ليت شعري ذكر الثلاثة والوا
حد نقص في عدكم أم نماء

أإله مركب ما سمعنا
بإله لذاته أجزاء

ألكل منهم نصيب من
الملك فهلا تميز الأنصباء

أتراهم لحاجة واضطرا
راً خلطوها وما بغى الخلطاء

أهو الراكب الحمار فيا
عجز إله يمسه الإعياء

رفع المسيرهمل

الوقوف إلى جانب الحق. حق

والوقوف إلى جانب صاحب الحق في أي مجال وعلى أي مستوى وبأي مفهوم. حق تفرضه حياة المسلم وطباعه الاجتماعية على المسلم.

ونحن حينما نقرأ رداً على كاتب أراد التشكيك في الإسلام أو في سلوك المسلمين ومناهجهم، تحت أي غطاء ومن فوق أي منبر فيجب أن لا نكتفي بقراءة ما كتبه ذلك الغيور على دينه وأخلاق أمته. بل علينا أن نناصره، ونمتشق أقلامنا لتقف مع قلمه صفاً واحداً منيعاً ترسل سهاماً صاعقة تخرس لسان ذلك المجترئ على عقيدتنا وعاداتنا الحميدة وأخلاقنا الفاضلة التي منّ الله بها علينا. أقول هذا عندما قرأت كتيباً للكاتب السعودي أحمد بن عبد العزيز الحصين عنوانه «نعم يا دكتور: - إنهم كافرون» وفيه يشير إلى مقال كتبه الدكتور النصراني (جورج طعمة) الذي كان يعمل مدرساً في جامعة الكويت ونشرت المقال (جريدة الوطن الكويتية) تحت عنوان «هل النصراني كافر». وقد حاول فيه تشكيك المسلمين بأن النصارى ليسو كفّاراً مريداً بذلك تكذيب القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [التوبة: ٢٩]، ومحاولاً تشكيك المسلمين في عقيدتهم وبما جاءت به رسل ربهم مستشهداً بقوله تعالى في سورة آل عمران الآية ٥٥: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٥٥﴾. وكأنما طعمة يقول: نحن أتباع عيسى ناسياً أنه لو أراد الإنصاف لذكر ما

رفع المسهم

قاله الله على لسان عيسى عليه السلام: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾. وهـذه الآيـة تـشـيـر بوضوح إلى أن عيسى قد أشار على أتباعه باتباع محمد عند بعثته وعلى هذا فإن على جورج طعمة أن يدرك أن الذين لم يؤمنوا بمحمد ورسالته إنما هم قد عصوا عيسى وخرجوا على طاعته فهو بريء منهم.

ويبقى أن أشير إلى أن الحصين قد ذكر أنه كتب برده على جورج إلى إحدى الجرائد في دول الخليج ولم تقبله. وكان ردها أنه خطير وأنه يبعث الفتنة والشقاق بين الطرفين. وإنما أقول: هذا الرد ينافي الوقوف إلى جانب الحق. إلّا أن يكون محررو تلك الجريدة نصارى أو بينهم وبين النصارى نسب أو تواطؤ.

ومما استشهد به الحصين من شعر على شنيع أفعال النصارى في المسلمين قول الشاعر عبد الرحمٰن الكاتب:

تجمعت أمة الصلبان يدفعهم
كيد اليهود وقد أفضوا لما طلبوا

كم عابد برصاص اللؤم أضجعه
بطن التراب كفور ساقه أرب

وكم رضيع سقاه الموت من رضعوا
حقداً علينا وهم من كأسنا شربوا

ساقوا الضحايا وهم عزل فليس لهم
يد ترد فلا حول ولا سبب

مصيبة عندها هانت مصائبنا
أعظم مصاباً له الآفاق تنتحب

يا أيها العرب كم ديست كرامتكم
وكم غزاكم ذوو مكر وكم غلبوا

رفع المسهم

فأصبحت أرضكم سوقاً لمغتصب

ورزقكم قد غدا حلاً لمن سلبوا

أما كفاكم لهم ذلاً وبينكم

إسلامكم واضح فيه لكم حسب



رفع المساهم

من هو أكيل السبع؟ هل هو عتبة أم عتيبة[1]؟!!

ومن أولاد أبي لهب عتبة وعتيبة ومعتب هكذا قال بعض الإخباريين وأصحاب التواريخ والسير، والذي يهمنا في هذه العجالة هو معرفة أكيل السبع من بينهم.

وتكاد تجمع كتب السير والتفاسير على أن أكيل السبع هو عتبة. فأبو الفرج الأصبهاني صاحب الأغاني المتوفى سنة ٣٥٦هـ والزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ وابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ يجمعون باختلاف في الأسلوب على أن عتبة بن أبي لهب ويكنى بأبي واسع قد جاء إلى النبي ﷺ وقد نزل عليه. ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ فقال: أنا أكفر برب النجم إذا هوى، فقال النبي ﷺ: «اللهم أرسل عليه كلباً من كلابك». قال ابن العباس: فخرج عتبة إلى الشام في ركب فيهم هبار بن الأسود، حتى إذا كانوا بوادي الغاضرة وهي مسبعة: نزلوا ليلاً فافترشوا صفاً واحداً. فقال عتبة بن أبي لهب: أتريدون أن تجعلوني حجرة سياجاً، لا والله لا أبيت إلا وسطكم فبات وسطهم قال هبار: فما أنبهني إلّا والسبع يشم رؤوسهم رجلاً رجلاً حتى انتهى إليه فأنشب أنيابه في صدغيه فصاح: أي قوم قتلني، فأمسكوه فلم يلبث أن مات في أيديهم.

أما ابن هشام المتوفى سنة ٢١٣هـ فقد نقل سيرته عن ابن إسحاق المتوفى سنة ١٥١هـ وقصة زواج عتبة بن أبي لهب من رقية وأم كلثوم

---

(١) هذا الموضوع اختصرته من دراسة نشرتها مجلة «الأزهر» الجزء الأول، السنة ٦٣ المحرم ١٤١١هـ بقلم الأستاذ السيد حسن قرون. ومن ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه.

رفع المسيّهما

وأن قريشاً طلبوا إليه طلاقها كجانب من جوانب معاداة محمد ﷺ فاستجاب وطلقها ولم يذكر ابن هشام القصة السابقة ولا عتيبة ومعتب.

أما الدليل على أن عتبة هو أكيل السبع فلأنه لم يذكر في الذين أسلموا كما ذكر عتيبة ومعتب.

وقد ذكر حسان بن ثابت رضي الله عنه قصة قتل السبع لعتبة وذلك في قوله:

من يرجع العام إلى أهله
فما أكيل السبع بالراجع

لا يرفع الرحمٰن مصروعكم
ولا يوهن قوة الصارع

وكان فيه لكم عبرة
للسيد المتبوع والتابع

من عاد فالليث له عائد
أعظم به من خبر شائع

سائل بني الأشعران جئتهم
ما كان أنباء بني واسع

إذ تركوه وهو يدعوهم
بالنسب الأقصى وبالجامع

والليث يعلوه بأنيابه
منعفراً وسط دم ناقع

وحسان بن ثابت رضي الله عنه هو الذي قال:

أعرض عن العوراء إن أسمعتها
واقعد كأنك غافل لا تسمعُ

رفع المسهم

تأثير القرآن وأهله في حياة من ليسو بأهله!!

وكم نقرأ بين الحين والآخر في الصحف أسماءاً يعلن أصحابها إسلامهم عن قناعة تامة وإدراك عظيم بأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يجب أن يعتنقه أهل الأرض جميعاً.

ونقرأ أسباب إسلام بعضهم. فنرى أحدهم يقول: أعجبني في الإسلام تكافل أهله فأسلمت. ويقول آخر: أعجبني في الإسلام حثه على الفضائل والأخلاق الحميدة فأسلمت. ويقول آخر: أعجبني في الإسلام سماحته فأسلمت. ويقول آخر: أثر فيَّ زميلي المسلم في العمل بحسن خلقه فأسلمت. أما الطبقات المثقفة من الذين أشهروا إسلامهم فكثيراً ما يذكرون أن سبب إسلامهم يعود إلى إمعانهم في قراءة القرآن والأحاديث النبوية.

يقول محمد شريف الذي كان قسيساً في إحدى الكنائس الباكستانية: قصتي مع الإسلام طويلة. كنت نصرانياً «كاثوليكياً» أعيش مع والدتي التي تؤمن بالمذهب البرتغالي النصراني ووالدي البروتستاني، وعندما كنت في مقتبل فترة شبابي اعتنقت مذهب والدتي لكنني بمرور الوقت أحسستُ بعدم قناعة لما تقوم به هذه الفرقة من أعمال وتصرفات فانتقلت إلى البروتستانتية، فرحب والدي بذلك كثيراً. وألحقني بإحدى الكنائس لأتخصص في علوم الإنجيل. وبعد انتهاء دراستي فيها تم تعييني قسيساً لصلات أبي الوطيدة برجال الكنيسة، وعندئذ فكرت في التعمق في دراسة الأناجيل المختلفة حتى أصبح كفواً لوظيفتي كقسيس. فقرأت الأناجيل العديدة التي تعترف بها الكنيسة وهنا اكتشفت ذلك

رفع المستهل

التناقض الرهيب التي يصل إلى حد التضارب بين كافة الأناجيل، فأحسست أن كل هذه الأناجيل مجرد قصص وأقاويل كتبها الناس في أزمنة متباعدة من نسج خيالهم طبقاً لرغباتهم وأهوائهم وميولهم النفسية. وهكذا أعلنت اعتناقي المذهب الكاثوليكي حتى أجد المبرر الكافي للاستقالة من عملي في تلك الكنيسة دون إثارة الشبهات حولي أو إثارة غضب عائلتي. ثم ابتعدت بشكل كلي عن العمل الكنسي وطرحت مسألة النصرانية وراء ظهري.

أما بداية معرفتي للإسلام فقد كان لدي فكرة عن الإسلام مفادها أنه نسخة طبق الأصل من اليهودية. وكنت أعلم اليهودية تعد ديانة ملغاة لأنها جاءت قبل النصرانية. وكنت أسمع أن المسلمين يصلون ثلاث مرات يومياً لكن عندما حضرت إلى المملكة عرفت من الناس أنهم يعبدون إلهاً واحداً وليس آلهة ثلاثة مثلنا في المسيحية وهنا أدركت ضرورة الحصول على معلومات صحيحة عن الإسلام. وقد حصلت على كتاب معاني القرآن الكريم. وقد وجدت حينما قرأت الصفحات الأولى من سورة البقرة الاختلاف الهائل بين الإسلام والمسيحية. ففي القرآن: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ﴾. أما الإنجيل فعبارات مثل قال الرب المسيح، أو قال المسيح للرب. وهكذا أدركت أن القرآن كلام الله الذي لم يمسه بشر بينما الإنجيل مجرد كلام بين البشر. وبناءاً على ذلك وعلى ما درسته من كتب إسلامية شرعية أشهرت إسلامي. وفي نزول القرآن وتأثيره يقول الشاعر محمد الشعبوني من قصيدة طويلة عنوانها «نزول القرآن»:

فالدين ليس عبادة تتلى ولا
ذكراً يردد في خفايا الزاويه

والدين ليس بنغمة مألوفة
يَلقَى بها اللاهون دنيا راضيه

رفع المسلم

ما الدين إلّا قوة يسعى بها
للخير في فجر الحياة الساريه

والمدعون بأنه متحجر
قد فاتهم أن الدعاوى عاريه

ما شان هذا الدين إلّا ثلَّة
شنَّت على الإسلام حرباً عاتيه

وتسترت بلباسه وتنكرت
للنور تمشي في الظلام علانيه

أما الجواهر فهي عن أنظارهم
مخفية وإلى الحقيقة باديه

ليس الكتاب المحتفى بنزوله
إلّا سجلاً للمبادى العاليه



رفع
المسبهما

الغريض: اسمه عبد الملك

والغريض اسمه عبد الملك، وهو مولى العبلات. وكان مولَّد من مولَّدي البربر، ويكنى بأبي زيد. وقيل: بأبي مروان. أما سبب تلقيبه بالغريض فلأنه كما قيل: طري الوجه نضراً غض الشباب حسين المنظر فلقب بالغريض لأن الغريض: الطري من كل شيء. وقيل: إنه شبه بالإغريض وهو الجمار فسمي به وثقل ذلك على الألسنة فخففت الألف منه فقيل له الغريض.

وقد اشتهر الغريض بالضرب على العود، والغناء، وكان قبل امتهانه الغناء خياطاً ثم أخذ الغناء عن ابن السريج لأنه كان يخدمه فلما رأى ابن السريج ظرفه وحلاوة منطقه خشي أن يأخذ غناءه فيغلبه عند الناس ويفوقه في الألحان والأصوات فحسده وشكاه إلى مولياته وهن: سمية صاحبة عمر بن أبي ربيعة وأخواتها الرضيا. وقريبة وثريا وأم عثمان بنات علي بن عبد الله بن الحرث بن أمية الأصغر.

وللغريض مع ابن السريج مواقف في مجال الغناء يطول الحديث عنها من حيث المقارنة. ومحاولة كل منهما الابتكار في الغناء. وقد قيل: إنه ما غنى ابن السريج صوتاً إلّا عارضه الغريض فيه لحناً آخر.

وقد كان الغريض يتغنى بشعر عمر بن أبي ربيعة. من ذلك أنه تغنى بقوله:

أيـهـا الـرائـح الـمـجـدّ ابـتـكـاراً

قـد قـضـى مـن تـهـامـة الأوطـارا

من يكن قلبه الغداة خلياً
ففؤادي بالخيف أمسى مطارا

ليت ذا الحج كان حتما علينا
كل شهرين حجة واعتمارا

وتغنَّى فيما تغنَّى به من شعر عمر بن أبي ربيعة قوله:

هاج القريض الذكر
لما غدوا فانشمروا

على بغال سحج
قد ضمهن السفر

فيهن هند ليتني
ما عمّرَت أعمر

حتى إذا ما جاءها
حتف أتاني القدر

ويقال: إنه جعل القاف غيناً في «هاج القريض الذكر» حتى يقصد بذلك نفسه وصار يتغنى بها «هاج الغريض الذكر». وذكر الأصبهاني في كتابه «الأغاني» أن أول هذا الصوت هو:

هاج فؤادي محضر
بذي عكاظ مقفر

ثم ذكر أبياتاً ثلاثة بعدها ساق الأبيات المتقدمة «هاج القريض الذكر».



رفع المستهمر

عمر الإنسان أشبه ما يكون بفصول السنة!!

من المعلوم أن السنة تتكون من أيام وأشهر وفصول، وأنَّ فصولها كما هي مقسمة أربعة: الشتاء، والربيع، والخريف، والصيف، . ولكل فصل طقسه وطبيعته ونباته ونجومه وأنواؤه، ودرجات حرارته وبرودته.

وإذا افترضنا أن بداية السنة تكون بفصل الشتاء فذلك ما يقرب لنا عامل التشبيه من حيث تتابع الفصول وما يحدث لها من تغيرات مناخية بحياة الإنسان فالشتاء مثلاً يشبه من عمر الإنسان الطفولة. أما الربيع فهو عنفوان الشباب وسنوات الرجولة وبلوغ الشدة واستكمال العقل ونضوج الفكر.

أما الخريف بالنسبة لعمر الإنسان فهو بداية التحول من القوة إلى الضعف في جميع أجهزة الجسم بما فيها السمعية والبصرية. فثقل السمع وضعف البصر وتدني قوى الحواس جميعاً، وهذا الضعف العام الذي يدب في سائر أعضاء الجسد يشبه تساقط أوراق الشجر الربيعي الذي لا يحتمل طبيعة الخريف.

أما الصيف فإنه بحرارته التي تحرق كل أخضر وتيبس كل عود وتُظْمِئُ كل كبد يشبه بفعله ما تفعله الشيخوخة في جسم الإنسان حينما يأتي دورها في أطوار عمر الإنسان فيذوي منها كل شيء كان نضراً ويخوي معها كل ما كان زاهياً.

ولقد رسم كثير من الشعراء هذه الصورة التشبيهية لمراحل عمر الإنسان في كثير من القصائد. فكم يصادفنا ونحن نقرأ عن أطوار حياة الإنسان قولهم: ربيع العمر وخريفه. ومن الشعراء الذين ذكروا خريف

رفع المسهم

العمر الشاعر الأستاذ محمد سلطان لطيف إذ قال في مقطع من قصيدة نشرتها له مجلة «الأزهر» الجزء الأول من السنة ٦٣ المحرم سنة ١٤١١هـ:

وهتفت ما بك يا شباب فرابني
في سمته صمت خفي المقصد

وسألت ما لك هل تراك زهدتنا
فأجاب بعد تريث وتردد

لا ما زهدت أخا الحياة وإنما
صرنا إلى ميعادنا المتحدد

قد حان بعد المكث يوم ترحلي
والأمر ما شاء الحكيم السرمدي

وقضى بأن الكائنات حوادث
مرصودة الغايات قبل المولد

ناموسها ألّا ثبات لحالة
صيرورة بين العشية والغد

شهدت معاهدنا بزوغ كواكب
ترعى على كثب أفول الفرقد

قد صار غير للشباب أخا المنى
ومشى خريفك في ربوع المعهد



أثناء العودة من الشلة!!

ما أكثر ما نسمع من حوادث السيارات. ولقد أوشكت أخبار تلك الحوادث المفجعة أن تكون بسبب تواترها وكثرتها أخباراً عادية لا تثير في النفس أسىً لأن تبلد الشعور بسبب تردادها قد أطفأ حرارة مشاعرها لدى سامعها.

والتدقيق في بعض أسرار بعض تلك الحوادث يكشف عن أشياء مشينة ومخزية. لعل أبسطها أن يكون بعض مرتكبيها من أعضاء (شلة) كانت بداية اجتماعاتها سمر وسهر ليل، ثم يدخل في محيطها أشياء كانت وليدة أفكار شريرة مثل تعاطي الشراب والمخدرات. وكأنما السمر لا يطيب إلّا بها، فيتطور الأمر حتى يصل إلى درجة الإدمان.

ومن الصور المؤلمة التي تحققها نتائج بعض الحوادث ما تكون متمخضة عن تصرُّفٍ جنوني أثناء قيادة السيارة أثناء الانصراف من مجلس (الشلة) حيث يكون قد داخل العقل سموم المخدرات فعجزت أجهزة التركيز عنده على السيطرة على مراكز القوى البدنية حيث دبت الهلوسة في أعضاء جسمه النظرية منها والسمعية والحركية. والفكرية فلم يعد في مقدوره توجيه سيارته توجيهاً فنياً صحيحاً فيحصل بسبب ذلك ما لا تحمد عقباه من اصطدام، أو انقلاب أو دهس أو ما إلى ذلك مما يسيء ويشمت. ولم يغفل أصحاب الأقلام عن التنويه والتشهير بهذه الحوادث التي تكون بسبب إدمان المخدرات والهلوسة أو الغطرسة. فقد نبهوا إلى ذلك وكتبوا عنه الكثير، الكثير. ومما أعجبني مما قيل في

رفع المسـاهم

هذا الموضوع مقطوعة من أرجوزة ساخرة للشاعر الفلسطيني صالح عبد الله الجيتاوي. والتي يقول فيها:

يا راكب (المرسدس) المنمنمه

في أمة مشلولة منوّمه

لا تزدهي يا (خال) واعلم أنمه

تَرْقبُك الفاجعة المُحتّمه

في ليلة مشهودة مُنتَقمه

تبدؤها بسهرة محتدمه

في رفقة شريرة ملتئمه

على كؤوس الخمرة المضطرمه



نوادر الأطباء، وطرائف المرضى!!

والمهتمون بجمع الطرائف والفكاهات وكل ما يضحك الناس من أنواع النوادر الأدبية لا يدعون مجالاً من المجالات إلّا وينقبون فيه عن فكاهة أو نادرة تناسب طبيعة حرف الناس ومهنهم فهناك الفكاهة في الفلاحة والنجارة والأدب والشعر والتجارة والطب والقضاء وغير ذلك من المجالات.

فمن نوادر الطب والأطباء قولهم: أراد طبيب الأمراض العقلية أن يمتحن أحد المجانين فسأله: لو شب حريق في البحر ماذا تفعل؟ فابتسم المجنون وقال: سأنتظر حتى ينطفئ الحريق ثم آكل السمك المشوي كله.

قال المريض: يجب أن تعالجني مجاناً يا دكتور. قال له الطبيب: ولماذا لا تدفع مثل كل زبائن الحي؟. قال المريض: لأني أنا الذي نقلت لهم العدوى.

قال الطبيب للمريض: ألم أقل لك بأنك ستسير على قدميك خلال أسبوع واحد!! قال المريض: بالفعل: فقد بعت سيارتي لأدفع لك أتعابك.

سألت المريضة الدكتور قائلة: أريد معرفة مرضي بالضبط. فأجاب الدكتور: هناك ثلاثة أشياء. أولاً: أنت تستعملين مساحيق كثيرة. وثانياً: أنت سمينة جداً. وثالثاً: نظرك ضعيف جداً لأنك لم تقرئي اللوحة التي على الباب. ولو قرأتيها لعرفت أنني طبيب بيطري.

قال المريض: عندما أمشي يا دكتور أشعر بالتعب، قال الطبيب: الأمر بسيط اركب تاكسي.

ذهبت أفريقية مريضة إلى الطبيب فسألها: أيش عندك؟ فقالت: لوز مقلي، وفصفص، وحلاوة سمسمية.

وما دام الحديث عن الطب والأطباء فلا بد من أن أسوق شعراً يعني طبيباً. فبعنوان «مع الطبيب» كتب الشاعر الفلسطيني صالح عبد الله الجيتاوي قصيدة ضمنها ديوانه «صدى الصحراء» وجهها إلى طبيب قام بعلاج ابنه عبد الله منها قوله:

أتيتك يا طبيب بصنو روحي
فضمد إذ تداويه جروحي

أتيتك بادي الحسرات تغني
مشاهدتي وحالي عن شروحي

أتانا طارق الأحزان ليلاً
ثقيل الظل ذو الوجه القبيح

وأسقم من بطلعته سروري
سمير الروح بالآمال يوحي

هي الحمى لحاها اللّه داءً
تبدّت من على برد وريح

وحلت جسم عبد اللّه ضيفاً
وعافت كل ذا الكون الفسيح

أتيتك أيها الأسى فهبه
دواءً فيه من طيب المسيح

وزده رُقية من محكماتٍ
من الآيات والخبر الصحيح



رسالة إلى أبي العلاء المعري!!

يا أبا العلاء المعري: يا من أشعلت بأدبك ومعرفتك وفلسفتك عالم الدنيا، أما تخشى الله في وصفك كل من لا يعرف سبعين اسماً للكلب بالكلب؟!!.

إن هذا لظلم عظيم وإجحافٌ في حق من ليس له في اللغة العربية نصيب. يا أبا العلاء: إنه بإمكانك أن ترد على ذلك الشخص الذي عثرت برجله في مجلس الشاعر الشريف المرتضى. وقال لك حينما عثرت برجله: من هذا الكلب؟. أن تترفع عن إجابته لا أن تقول له من باب التعجيز والافتخار بالعلم والمعرفة والثقافة الواسعة: الكلب من لا يعرف سبعين اسماً للكلب، وكأنك بذلك تقول له مباشرة: أنت الكلب وذلك لعلمك أنه قلّ من يعرف سبعين اسماً للكلب، بل ولا سبعة أسماء. ولا أستبعد أنك شغلت بذلك بال مضيفك المرتضى فهو الآخر الذي ربما أنه لا يعرف سبعين اسماً للكلب.

يا أبا العلاء: هل كنت تريد بتلك الشمولية في الحكم أن تحض الناس على حفظ أسماء الكلب حتى يستبرئون من حكمك؟. يا أبا العلاء: ليتك قلت له مثل ما قال الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حينما عثر برجل نائم في المسجد فقال له النائم:

ما بك هل أنت مجنون؟. فرد عليه عمر: لست مجنوناً ومضى. وقد همّ خادمه أن يؤدب ذلك النائم فمنعه عمر وقال: دعه. سألني أأنا مجنون فأجبته يا أبا العلاء: ليتك قلت لصاحبك: لستُ كلباً وكفى. ولكن فلسفتك أبت عليك ذلك. يا أبا العلاء: إن ردك اللاذع جعل

رفع المستهم

كثيراً من العلماء يبحث بجدية عن صدق قولك في أن للكلب سبعين اسماً حتى لا يشملهم وصفك. فمن أولئك العلماء العالم جلال الدين السيوطي الذي ألف كتيباً سماه «التبري من معرة المعري» وقد وقف فيه على أن للكلب سبعين اسماً كما قلت وبرئ من تلك الشمولية التي أطلقتها.

وقد نظم تلك الأسماء في أرجوزة طويلة استهلها بذكر السبب الذي حمله على نظمها. وذلك بقوله:

لـلّـه حـمـد دائـم الـولـيّ
ثـم صـلاتـه عـلـى الـنـبـيّ

قد نقل الثقات عن أبي العلا
لـمّـا أتـى لـلـمـرتـضـى ودخـلا

قـال لـه شـخـص بـه قـد عـثـرا
من ذلك الكلب الذي ما أبصرا

فـقـال فـي جـوابـه قـولاً جـلـي
مـعـبـراً لـذلـك الـمـحـيـهـل

الكلب من لم يدر من أسمائه
سـبـعـيـن مـومـيـاً إلـى عـلائـه

وقـد تـتـبـعـت دواويـن الـلـغـة
لـعـلـي أجـمـع من ذا مـبـلـغـهْ

فـجـئـت مـنـهـا عـدداً كـثـيـراً
وأرتـجـي فـيـمـا بـقـي تـيـسـيـرا

وقـد نـظـمـت ذاك فـي هـذا الرجـز
لـيـسـتـفـيـدهـا الـذي عـنـهـا عـجـز

الفرزدق هو همام بن غالب

ولقب همام بن غالب بن صعصعة، من دارم، فمن تميم بالفرزدق لأنه أصابه جدري وبرئ منه فبقي وجهه جهماً متنفخاً كقطع العجين التي واحدتها فرزدقة. وقيل: لقب بالفرزدق لغلظه وقصره.

قال ابن خلكان: ومحمد بن سفيان أحد أجداد الفرزدق هو أحد الثلاثة الذين سموا بمحمد في الجاهلية وأنه لا يعرف أحد سمي بهذا الاسم قبل النبي ﷺ إلّا ثلاثة كان آباؤهم قد وفدوا على بعض الملوك، وكان عنده علم من الكتاب الأول فأخبرهم بمبعث النبي ﷺ وباسمه وكان كل واحد منهم قد خلف زوجته حاملاً فنذر كل منهم إن ولد له ذكر أن يسميه محمداً ففعلوا ذلك وهم: محمد بن سفيان بن مجاشع جد الفرزدق، والآخر محمد بن أحيحه بن الجلاح أخو عبد المطلب لأمه، والآخر محمد بن حمران بن ربيعة. وأما أحمد فلم يتسم به أحد قبل النبي ﷺ.

أما مولد الفرزدق فكان بالبصرة وفي باديتها نشأ. وقد كان له من أمجاد قومه ما ملكه العجب والتيه. فأبو غالب كان أحد أجواد العرب. أما جده صعصعة فهو الذي اشترى ثلاثمائة وستين بنتاً كانت معدة للوأد كل واحدة بناقتين وجمل. أما أمه فهي لينة، وقيل: ليلى بنت حابس أخت الصحابي الأقرع بن حابس. ولهذا فإن الشرف والمجد يكتنفه من ناحيتي أبيه وأمه.

وقيل: إنه نظم الشعر صغيراً فجاء به أبوه إلى الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقال له: إن ابني هذا من أشعر مضر فاسمع

رفع المسهم

منه فأجابه رضي الله عنه: علمه القرآن فلما كبر الفرزدق تعلم القرآن.

ويروى أن الفرزدق أصيب بذات الجنب فكانت سبب وفاته. والفرزدق يُعَدُّ ثالث الثلاثة الشعراء المقدمين في صدر الإسلام وهم: الفرزدق، وجرير، والأخطل. أما شعر الفرزدق فهو سجل حافل بذكر الحوادث والتاريخ واللغة. وقد قيل، وأحسب القائل أبا عبيدة: «لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب». ولقد استعرض الفرزدق في إحدى قصائده خواطراً في الشيب والشباب وظلم الأقارب. من ذلك قوله:

أرى الدهر أيام المشيب أمره
علينا وأيام الشباب أطايبه

وفي الشيب لذات وقرة أعين
ومن قبله عيش تَعلَلَ جادبه

إذا نازل الشيب الشباب فاصلتا
بسيفيهما فالشيب لا بدّ غالبه

فيا خير مهزوم ويا شر هازم
إذا الشيب راقت للشباب كتايبه

وليس شباب بعد شيب براجع
يد الدهر حتى يرجع الدرّ حالبه

ومن يتخبط بالمظالم قومه
ولو كرّمت فيهم وعزت مضاربه

يخدش بأظفار العشيرة خدّه
وتُجرحْ رُكوباً صفحتاه وغاربه

وإن ابن عم المرء عزُّ ابن عمه
متى ما يهجْ لا يحلُ للقوم جانبه

رفع المسيرهما

التسلح بالإيمان أقوى من التسلح بالعتاد!!

في ٢٧/١٢/١٩٧٩م تدخلت روسيا في شؤون أفغانستان الداخلية حيث غزت بقواتها الهائلة العاصمة كابل في محاولة لإخضاع الشعب الأفغاني المسلم لسيطرتها، لكنها قوبلت بالرفض حيث تحرك الإيمان الصادق في نفوس معظم الأفغانيين فهبوا للجهاد دفاعاً عن عقيدتهم وأعراضهم وبلادهم، فانتظمت المقاومة وتكونت جبهة بل جيش إسلامي سلاحه الإيمان بالله والعقيدة الصافية. وإزاء هذا الموقف الدفاعي الصلب راحت روسيا تبحث عن عملاء وأذناب لها من المتطرفين الأفغان فوجدت شراذم قليلة فأمدتهم بالسلاح وبالرجال. الأمر الذي جعل المسلمين من الأفغان يفرون من البلاد إلى بلاد مجاورة هي باكستان، فشكلوا هناك تجمعاً إسلامياً انتظمت من خلاله صفوفهم التي تسلحت بالإيمان أولاً ثم بالدعم المادي الذي لا حدود له من الدول العربية والإسلامية، وعلى رأسها المملكة العربية السعودية فأخذ ذلك التنظيم في مجابهة قوات الاحتلال وأذنابه من الخونة مجابهة لم يشهد لها تاريخ تكنلوجيا السلاح مثيلاً، فانذلت روسيا بقوتها وجبروتها وانخذلت أمام الصمود الإسلامي ولم تجد بداً من أن تعلن إعلاناً صورياً عن انسحابها من أفغانستان وهذا الإعلان وإن كان لم ينفذ بعد إلّا أنه يدل على الهزيمة والخيبة والخسران لثاني أكبر دولة في العالم وحيث أكد المحللون السياسيون فشل الغزو الروسي لأفغانستان بل إن روسيا نفسها أعلنت هذا الفشل في أكثر من مناسبة دولية.

أخذت قرائح الشعراء العرب تشيد بانتصار المسلمين على الطغاة الظالمين. ومن أولئك الشعراء الشاعر الإسلامي عمر بهاء

رفع المسلم

الدين الأميري الذي قال قصيدة طويلة بهذه المناسبة أقتطف منها قوله:

شعب البطولات في أفغان أمّتنا
ضاعف جهادك رُصّ الصّفّ واصطبر

فأنت بالله أقوى من جحافلهم
أنت العزيز فخذهم أخذ مقتدر

وقوله:

لقد هزمت جيوش «الروس» غاشمة
ولذت بالله جل الله من وَزَر

وشان أذنابهم أو هي مُنازلةٌ
من صاول الجمر لا يخشى من الشرر

بشائر الفتح لاحت لا مِراءَ ولا
مناصَ رغم عناد الخائن الأشر

وقوله:

أبطال أفغاننا شعباً غطارفة
وقادة صفوة كونوا على حذر

وقوله:

لنا لدى الله وعد الصدق منتظر
سيظهر الدين دين الحق في الدهر

وفي التواريخ تتلى من صحائفنا
أحكام أمرٍ قضاءِ الله والقدر



العجاج بن رؤبة وأسرته[1]

والعجاج هو عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر بن كُتَيفْ بن عميرة بن حني بن ربيعة بن سعد بن مالك بن سعد زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ولد في الجاهلية وتوفي بعد أن فلج وأقعد سنة ٩٦هـ مسلماً ولكون العجاج شاعراً فحلاً من أبرز شعراء الرجز فقد اهتم برواية رجزه عظماء الرواة وعلماء العرب، فدونوا شعره واعتنوا به غاية الاعتناء فمن أولئك الرواة: الأصمعي الذي جمع أراجيزه وشرحها شرحاً وافياً.

وشاعر كالعجاج لا بد أن يكون هناك اهتمام من قبل المؤرخين والإخباريين بمعرفة حياته وسيرته الذاتية مع نفسه وأسرته. ولهذا أفادوا بأن العجاج من أسرة عريقة معروفة بالمعرفة. فقد كان أخوه العباس علامة عالماً ناسباً راوية وأنه تزوج مثنى وثلاثاً ولا يعرف اسم زوجته الأولى. وهي أم ابنه رؤبة وابنته الشعثاء التي كان يكنى بها ويبدو أنها ماتت وأنه تزوج أخرى اسمها عقرب وولدت له أولاداً، وقد قيل: إنَّ فيها شراسة بلغت إيذاءَ ابنه رؤبة. وقد كان رؤبة هو الآخر حاد المزاج وشديد فقام بينهما عداء شمل منابذته لأبيه. ولا يعرف هل طلقها أم ماتت وإنما الذي يعرف أنه تزوج الدهناء بنت مسحل أحد بني مالك بن سعد بن زيد مناة من تميم وهو قد بلغ سن الشيخوخة فلم يكن له في قلبها موقع مما سبب خلاف بينهما انتهى بطلبها إلى عامل اليمامة أن

---

(١) كتبت هذا الموضوع يوم الثلاثاء ٢ ربيع الأول، عام ١٤١٢هـ برغدان بمدينة الباحة.

رفع عبد الرحمن الهجري

يقضي لها بالطلاق فأجله سنة. لكن العجاج حينما رأى الأمر قد وصل إلى المرافعة ذهب إلى أهلها فطلقها.

أما أبناء العجاج فهم رؤبة الذي بلغ مبلغ أبيه في الرجز وكانا معاً أشهر رجاز العرب في كل العصور إطلاقاً. وكان للعجاج ابن اسمه القطامي لا يعرف من أخباره شيء. وكان له ابنة اسمها حَزمة ولا يعرف هل هي الشعثاء أم أخت لها. أمَّا سَكَنَهُ. فقد قيل: إنه كان ينزل البصرة في العراق ويقيم بين قومه من بني تميم فيها وأنه قضى معظم حياته في هذه المدينة يشارك الناس في حياتهم العامة ويعني بالنشاط الأدبي ويسهم فيه. وكانت البصرة في عهده أكبر مركز ثقافي وفيها كانت سوق المربد الأدبية، وهي ملتقى الشعراء يجتمعون فيها ويجتمع إليهم الناس ويروون عنهم أشعارهم وأراجيزهم. ومما جاء في إحدى أراجيز العجاج قوله من أرجوزة استهلها بالأشطر الابتهالية التالية:

الحمد لله الذي استقلتِ
بإذنه السماء واطمأنتِ
بإذنه الأرضُ وما تعتتِ
وَحَى لها القرار فاستقرت
وشدها بالراسيات الثبت
رب البلاد والعباد القنّت
والجاعل الغيث غياث المسنت
والجامع الناس ليوم الموقّتِ



رفع المسهم

حريملاء في القصيدة!!

وحريملاء بلدة كبيرة تقع شمال غرب مدينة الرياض على بعد ٧٠ كم تقريباً وهي تدخل في مجموعة القرى التي يطلق عليها اسم (المحمل) وحريملاء بلدة تاريخية ورد ذكرها في كتب التأريخ وقد كانت تعرف بحرملاء حيث ذكرها البكري المتوفى سنة ٤٨٧هـ.

وقال ابن خميس في كتابه «معجم اليمامة»: سميت حريملاء بهذا الاسم لأنه يكثر فيها شجر الحرمل. ولم يعرف السبب في تصغيرها وجعلها حريملاء بدلاً من حرملاء.

أما القصيدة التي أشرت إليها في العنوان فهي لشاعر معاصر من أحد أبناء حريملاء هو عبد العزيز إبراهيم السراء وقد هيجته ذكرى مرابع طفولته فأنشأها وبناها بعبارات حيّة استقطبت بعضاً من ذكريات طفولته وصوراً من مراتعه وملاعبه ببلدته حريملاء.

والجدير بذكره. بل الذي أود أن أطالب به كل شاعر هو أن يعطي بلده ومسقط رأسه شيئاً من عمله الشعري فيذكر ملاعبه وأقرانه. ويصف ما كانت عليه من حال يوم طفولته وما حصل لها من تطور عمراني مواكب للنهضة الحضارية التي عمت جميع ربوع بلادنا. حتى يكون تاريخاً وترجمة صادقة عن حالة بلدته. والذي نظر في دواوين الشعر يجد أن بعض الشعراء قد أدرك هذه المسؤولية فأوقف شيئاً من قصائده على ذكر موطنه وذكريات صباه.

وقد أحسن الشاعر عبد العزيز السراء صنعاً حيث نظم قصيدته «ما زلت أذكرها» ويعني بذلك بلدته حريملاء. وفيها يقول:

رفع المسهم

لا الدَّار داري ولا النخلات نخلاتي
ولا الجنان التي وافيت جناتي

أجهشت لما رأيت الدار مقفرة
وكدت أغرقها من حرِّ دمعاتي

وقفت في (حائط البطحاء) مُدَّكراً
يكاد يخنقني حزني وعبراتي

ورحت أسألها أوَّاه لو سمعت
أوَّاه لو نطقت لو بالإشارات

ألست يا هذه الدار التي سمعت
حيطانها سحرة أولى صُيَيْحَاتي؟!

ألست أنت التي دغدغت ساحتها
بركبتي لدى حبو وخطواتي

ألست أنت التي نقبت حائطها
بمطرق اللهو في أيام صبواتي

بلى ولكنها الأيام في عجلٍ
تطوي معالمها طيَّ السِّجلاتِ



في بحر الدهر. أدلي بدلوي

والحديث عن الدهر لا ينقطع. وبالنسبة لي فليس هذا هو أول موضوع أكتبه في هذا الكتاب عن الدهر، وإنما هو عبارة عن صلة لما سبق وأن كتبته من موضوعات هي مبثوثة في الأجزاء التي تقدمت هذا الجزء. وقد كان قصدي من عدم حصرها في صفحات متوالية تحت عنوان واحد هو الخشية من الملل من القراءة في موضوع واحد.

وقد أشرت إلى هذا التعليل في أكثر من موضوع. ولهذا اتخذت طريقة تجزئة البحوث أيّاً كانت، وجعلها موزعة تحت عنوانات مختلفة ومتفرقة.

وأعود إلى الحديث عن الدهر الذي لست الوحيد الذي اهتمَّ بجمع بعض ما قيل فيه من أشعار. إذ أنّ هناك غيري من الكتَّاب والمؤلِّفين المشغوفين بقراءة كتب التراث الأدبي ودواوين الأشعار ممن قد جمعوا الكثير مما قيل فيه. ولكن وسيراً على مبدأ الإدلاء بالدلو مع الدلاء أنقل هنا بعضاً مما اصطدته مما قيل في الدهر من أبيات على قافية (الباء) من ذلك قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي صور فيه الدهر بالقلادة التي تخنق أحياناً. ويرى رضي الله عنه أنه إذا ما ضاق على الإنسان أمر فإنه يتقبله بالرضا لأن التسخط قد يزيد من تضييق القلادة الخانقة:

الدهر يخنق أحياناً قلادته
عليك لا تضطرب فيه ولا تثب

حتى يفرّجها في حال مدتها
فقد يزيد اختناقاً كل مضطرب

رفع المسهم

وتقول شاعرة من بني كاهل يقال لها: ريطة، إن الذي يحاول مغالبة الدهر فإنه لا محالة هو المغلوب:

كل امرئ لمحال الدهر مكروب
وكل من غالب الأيام مغلوب

أما النابغة الجعدي فيقول:

ولا تأمنوا الدهر الخؤن فإنه
على كل حال بالورى يتقلب

ويقول عبيد بن الأبرص:

لا يعظ الناس من لم يعظ ال
دهر ولا ينفع التلبيب

ويقول ابن أبي حصينة:

الدهر خداعة خلوب
وصفوه بالقذى مشوب

فلا تغرنك الليالي
فبرقها خلّب كذوب

وأكثر الناس فاعتزلهم
قوالب ما لها قلوب



رفع المساهم

الخنساء هي تماضر!!

والخنساء هي تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد. وقد لقبت بالخنساء تشبيهاً لها بالبقرة الوحشية في جمال عيونها فغلب هذا اللقب على اسمها.

ولقد نقل الأستاذ عمر رضا كحالة في كتابه القيم «أعلام النساء» خلاصة جيدة من سيرتها العطرة، من ذلك ما نصه: «الخنساء شاعرة شهيرة وصحابية جليلة، قدمت على رسول الله ﷺ مع قومها من بني سليم وأسلمت معهم فكان النبي ﷺ يعجبه شعرها ويستنشدها ويقول: هيه يا خنساء ويومي بيده.

ولما قدم عدي بن حاتم على الرسول ﷺ وحادثه فقال: يا رسول الله إن فينا أشعر الناس وأسخى الناس وأفرس الناس قال ﷺ: «سمهم». فقال: أما أشعر الناس فامرؤ القيس بن حجر. وأما أسخى الناس فحاتم بن سعد بن سعد يعني أباه. وأما أفرس الناس فعمرو بن معد يكرب. فقال رسول الله ﷺ: «ليس كما قلت يا عدي. أما أشعر الناس فالخنساء بنت عمرو. وأما أسخى الناس فمحمد يعني نفسه ﷺ. وأما أفرس الناس فعلي بن أبي طالب».

قال الأستاذ كرم البستاني في مقدمة «ديوان الخنساء»: والخنساء من شواعر العرب المعترف لهن بالتقدم. أجمع الشعراء ورواة الشعر القدماء على أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها في الرثاء وعدوها في الطبقة الثانية.

قيل لجرير: من أشعر الناس؟ قال: أنا لولا الخنساء. قيل: لم فضلتك؟ قال: لقولها:

إن الزمان وما يفنى له عجب

أبقى لنا ذنباً واستُوْصِلَ الراسُ

أبقى لنا كل مجهول وفجعنا

بالحالمين فهم هامٌ وأرماسُ

إن الجديدين في طول اختلافهما

لا يفسدان ولكن يفسد الناسُ

وتقول في فواجع الدهر وفعل المنايا في بني قومها:

بني سليم ألا تبكون فارسكم

خلّى عليكم أموراً ذات أمراسِ

ما للمنايا تغادينا وتطرقنا

كأننا أبداً نُحْتزّ بالفاسِ

تغدو علينا فتأبى أن تُزايلنا

للخير فالخير منّا رهن أرماس

ولا تزال حديث السن مُقْتَبَلاً

وفارساً لا يُرى مثلٌ له راسِ

منا يُغافِصْنَهُ لو كان يمنعه

بأسٌ لصادفنا حيًّا أولى بأسِ



رفع المسهم

ما أنت تصنأ؟!!

واللغة العربية تفتح صدرها لمن فهمها لكنها تمتنع عمن يريد التحدث بها بلسان عربي فصيح إذا لم يكن عربياً أصيلاً. والدليل على أن اللغة العربية تأبى الانقياد إلّا للعربي الأصيل: أننا نشاهد غير العرب وهم يتكلمون ببعض اللغات بكل طلاقة فنكاد لا نميز الإنجليزي من الألماني إذا أخذ يتحدث باللغة الألمانية والعكس من الألماني كذلك. لكنه إذا كان دارساً اللغة العربية فإننا نعرف من أول عبارة يلفظها بأنه غير عربي.

وصاحب كتاب «وفيات الأعيان» السيد محمد شاكر الكتبي يتصيد طرائف وفكاهات بعض من يترجم لهم. من ذلك ما رصده لأبي عطا السندي واسمه أفلح بن يسار مولى بني أسد المتوفى بعد الثمانين والمائة. وقد كان أبوه سندياً أعجمياً لا يفصح وكان في لسان أبي عطا عجمة ولثغة. وكان إذا تكلم لا يفهم كلامه وقد كان شاعراً فشكا لسليم بن سُليم الكلبي عجمته ولثغته وطلب منه إعطاءه غلام فصيح ينشد شعره وينطق بلسانه. وذلك في قصيدة منها قوله:

أعوزتني الرواة يا ابن سليم
وأبى أن يقيم شعري لساني

وغلا بالذي أجَمجِم صدري
وجفاني لعجمتي سلطاني

وازدرتني العيون إذ كان لوني
حالكاً مجتوىً من الألوان

رفع
المسـهم

فضربت الأمور ظهراً لبطن
كيف أحتال حيلة لبياني

وتمنيت أنني كنت بالشع
ر فصيحاً وكان بعض بياني

ثم أصبحت قد أنختُ ركابي
عند رحب الغناء والأعطاني

فأعطني ما تضيق عنه رواتي
بفصيح من صالح الغلمان

يُفهم الناس ما أقول من الشعـ
ـر فإن البيان قد أعياني

فأمر له سليم بوصيف فسماه (عطاء) وتبنى به وروّاه شعره، فكان إذا أراد إنشاد مديح لمن يجتديه أو إنشاد شعره أمره فأنشد. قيل: إنه قال للوصيف يوماً: والأمنذلدن دأوتأ وألت لبياً ما أنت تصنأ.. يريد: ولكن منذ والك لدى دعوتك وقلتَ لبيك ما كنت تصنع؟.

وأضاف الكتبي أن أبا عطاء شهد حرب بني أمية وبني العباس وأبلى مع بني أمية. وقتل غلامه الذي أعطاه إياه سليم مع ابن هبيرة وانهزم هو.



التاجر والتجارة

والتجارة إذا لم تكن موقوفة في معناها ومفهومها المادي على المال المتبادل فإنه يقصد بها أشياء أخرى ومعان كثيرة. فالرجل المهذار يقال له: تاجر كلام. وتجارة الآخرة العمل الصالح الذي يعمله الإنسان في الدنيا.

ولقد ورد ذكر التجارة في القرآن الكريم في عدة مواضع منها ما جاء في سورة «البقرة» آية ١٦: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ ومنها ما جاء في سورة فاطر آية ٢٩: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾.

أما التاجر فهو ذلك الذي نما ماله. بأي مفهوم قابل لمعنى التجارة ومتمخض عن الأخذ والعطاء والتداول الرابح، ومن التجار من يلتمس سمو المعنى لكلمة (تاجر) ويبحث عن مدلول قيم لمفهومها حتى يفخر ويفاخر بها.

ونتيجة لذلك البحث توصل بعضهم إلى تحليل لحروفها الأربعة وما ترمز إليه من أشياء تدعو إلى الافتخار به.

فقال: التاء، من التقوى. والألف، من الأمانة. والجيم، من الجسارة. والراء، من الرحمة. وفي هذا المعنى التحليلي قال الشاعر المصري محمد خليل الخطيب:

يا تاجراً لك في حروفك مرشد
إن تتبعه فأنت أنت الغانم

تا التقى ألف الأمانة بعده
جيم الجسارة من هو راحم

والعملة النقدية هي الرابط الأساسي بين التاجر والمستهلك فإذا قلت في يد المستهلك كسدت التجارة يقول أحدهم:

وفي السوق حاجات وفي النقد قله
وليس بمُقْضِي الحاج عبر الدراهم

والوفاء في الكيل ضمان لكثرة المشترى يقول أحدهم:

إذا ما تاجر لم يوف كيلا
فصُبّ على أنامله الجُذام

ويقول أحدهم: إن الطمع في دراهم الأقارب وأبناء العم ربما كان سبباً في الفرقة:

بني عمنا ردّوا الدراهم إنما
يفرق بين الناس حب الدراهم

والحلم إذا لم يسنده مال وتجارة يوشك أن يودي به الجهل:

رب حلم أضاعه عدم الما
ل وجهل غطى عليه النعيم

هكذا قال حسان بن ثابت رضي الله عنه.

ويقول أحمد بن أبي طاهر:

ولا يساوي درهماً واحداً
من ليس في منزله درهم

ويقول آخر:

ولا خير في الدنيا لمن لم تكن له
دنانيرُ فيها جمةٌ ودراهم

رفع المسيهما

الرجل بلا امرأة مشلول. والمرأة بلا رجل ضياع!!

وتصوير الحياة الاجتماعية ومعالجة ما يكتنفها أو يكدر صفوها من أمور يجهل مخاطرها السواد الأعظم من الناس. هو من الواجبات الموكلة إلى صاحب القلم سواء كان ناثراً أم شاعراً. ووصف الحياة داخل البيت يعتبر من أهم الأشياء التي يقوم عليها بناء الأسرة أو تكوينها.

أما البيت ذاته فلا يقوم له كيان أو يصبح له وجود عددي إلّا بالحياة الزوجية التي تكون الزوجة فيها الركن الأساسي. يقول الشاعر السّعودي محمد عبد الله آل مبارك من قصيدة له:

بيت بلا زوجة بيت بلا سكن

بيت به وحشة بيت يزيد أسى

والبيت الذي ليس به زوجة ماذا تكون حالة صاحبه؟ والإجابة:

يضيق صاحبه ذرعاً بوحدته

ووجهه من تباريح الشقا عبسا

وبطبيعة الحال فإن الرجل بلا امرأة يعد مشلولاً، ويعيش بنفس مملوءة بالكآبة والشقاء والحرج عندما يضاف:

إن جاء ضيف إليه ضاق من حرج

يا رب رحماك من لي من يجيد حسا

والمرء من دون زوج لا قرار له

مسكين فرد وحيد ظل منتكسا

رفع المسهم

والمرأة بلا رجل مسلوبة من زينة الحياة وجمالها بالإضافة إلى ضياع عمرها كأرملة لا زوج لها ولا ولد:

ومـــرأة دون زوج فـــهـــي ضـــائـــعـــة
مـسـكـيـنـة تـتـوقـى الـذل والـتـعـسـا

لا زوج لا ولـد لا حـال يـسـعـدهـا
تـبـقـى فـريـسـة دهـر عـطـفـه يـنـسـا

والمرأة التي لا تريد الزواج إلّا من رجل كملت فيه خصال الرجولة حريّ بها أن تضيع عمرها في انتظار الرجل الذي لا عيب فيه:

تبغي الكمال لشخص راح يخطبها
هـذا الـمـحـال فـبـدر الـتـم قـد نُـكـسـا

وعليها أن تدركَ أن هناك نقطة أو نقاط ضعف لا يخلو منها الرجل ولا المرأة. وإن تجاوزها أمر يحقق السعادة لكل منهما:

لا بـدّ مـن نـقـطـة لـلـضـعـف بـارزة
فـيـهـا وفـيـه وعـاهـا مـن لـهـا لـمـسـا



مساهمة في حل مشكلة!!

أعجبتني قصيدة اجتماعية نظمها الشاعر محمد عبد الله آل مبارك ونشرت في مجلة المنهل العدد ٤٨٩ لشهر محرم عام ١٤١٢هـ. وقد ركز فيها على الحياة الاجتماعية، وصوّر في أبياتها الأول حياة الرجل بلا امرأة وحياة المرأة بلا رجل.

وقد رصدت هذه الأبيات في موضوع تقدم عنوانه «الرجل بلا امرأة مشلول.. والمرأة بلا رجل ضياع» ولما لبقية تلك القصيدة من فائدة متصلة تعالج جانباً مهماً من العادات والتقاليد المرتبطة بالزواج والتي تشكل عبئاً ثقيلاً على كاهل الرجل الراغب في الزواج وتلجئه بالتالي إلى العزوف عن الزواج بسبب عدم الاستطاعة من الناحية المادية.

وهذا ما كان العقلاء وأصحاب الفكر يخشونه ويُحذِرون المجتمع من مغبته.

والشاعر محمد آل مبارك يدعو في آخر تلك القصيدة إلى تبسيط الأمور وعدم المبالغة في المهور والحفلات وغير ذلك من المظاهر التي تصاحب أفراح الزواج. فعن غلاء المهور يقول:

والمهر يطلب منا أن نيسره
وأن نبسط حلياً مرهقاً وكسا

وأن نخفف حفلاً لازماً لنرى
روح الوفاق به الزوجان قد أنسا

رفع المسهم

ويشير إلى أن ربة البيت لا بد وأن تكون معواناً مديرة لشؤون البيت لا مرهقة مبذرة لا تبالي بما يكون عليه زوجها من حالة. وإنما عليها أن ترفق به وتكون حارسة أمينة على معيشته. وتقدر عدم استطاعته على تحقيق متطلباتها:

وربة البيت معوان مدبرة
للزوج ترعى وتبقى دائماً حرسا

والمرأة تعطي البيت بهجة وسروراً إذا لم تثقل كاهل زوجها بالكماليات والمظاهر التي تبرر حالته الاستغناء عنها:

وربة البيت تعطي البيت بهجته
فكل أوقاتها مجلوة عرسا

ويشير إلى أن من ثمرات الزواج البنات والأولاد الذين هم قرة العين:

والزوج راع أب بر بحكمته
يضفي السرور أحاسيساً إذا جلسا

وإن حُبيت وإياها أغيلمة
وحزتما لبنيات فعل عسى

بأن يكونوا لكم ذخراً ومفخرة
وقرة العين هم أغلى لما لبسا

فهذه ثمرات للزواج فإن
أردت تجنيه فاغرس مثل من غرسا



رفع المسهم

العجاج. هو عبد الله بن رؤبة!!

والعجاج كما نسبه راوية ديوانه وشارحه العالم والأديب واللغوي البارع عبد الملك بن قريب الأصمعي. هو عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر بن كُتَيف بن عميرة بن حُنيّ بن ربيعة بن سعد بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مرَّة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار من مَعَدّ بن عدنان.

أما: العجاج فهو لقبٌ لقبَ به وغلب على اسمه وكان يعرف به وذلك بسبب بيت قاله في أرجوزة له. وهو قوله:

حتى يَعُجّ ثخناً مَنْ عَجْعَجا

وهو الشطر السادس والأربعين بعد المائة من أرجوزته التي تبلغ مائة وسبعة وأربعين شطراً. مطلعها:

ما هاج أحزاناً وشَجْواً قد شجا

وبعده قوله:

مِن طلَل كالأ تحمِيّ أنهجا

أمسى لعافي الرامسات مدرجا

واتخذته النائجاتُ مَنأجا

واستبدلت رُسُومُه سَفَنّجا

أصك نَغْضاً لا يَني مُستهدجا

كالحبشيّ التف أو تَسَبّجا

وقد وجدت أراجيز العجاج عناية تامة من قبل راوية العرب. الأصمعي. حيث شرحها شرحاً وافياً.

رفع المسهم

وفي شرح الأصمعي للبيت الذي لقب العجاج بقوله. وهو كما تقدم:

حتى يَعُجّ ثخناً مَنْ عَجْعَجا

قال: عَجّ وعجعج واحد. ويقال: عجعاج. إذا كان كثير الصياح وبهذا البيت سمي العجاج. والعجعجة صوت الإبل. وإذا ضجر الرجل فصاح فتلك العجعجة وعَجّ وعجعج إذا كان ضجراً متبرماً صيّاحاً. ويقال للبعير: عجعاج إذا كان شديد الهدير.

وعلى هذه الوتيرة من الاستقصاء في الشرح سار الأصمعي بجميع أشطر أراجيز العجاج التي بلغت أربعاً وأربعين أرجوزة.



رفع بهمل

الوهم هو الداء القاتل!!

والوهم بطبيعته ليس بمرض عضوي يمكن تشخيصه ومعالجته بالعقاقير الناجحة. وإنما هو مرض يسري في العقل والذهن فيهدم الجسد ويضعفه عن طريق تصورات ووساوس تضرب في أعماق النفس لتطبع في داخلها تأكيدات بأن جسمها ليس سليماً وإن عدم الشكوى من مرض معين لا يعني أن الجسم صحيح وإنما هناك مرضاً يدب دبيباً خفياً سيفاجئها لا محالة. وبهذا التصور تدخل النفس في دائرة نستطيع تعريفها بأنها محطة انتظار لمرض قادم يتحرك بسرعة بطيئة.

وعلماء النفس لم يقفوا أمام هذا المرض الذي يفتك بالملايين من البشر مكتوفي الأيدي. وإنما هم يسعون بكل جد ونشاط في طرح الأساليب التي تصف طبيعة الوهم وتحذر من سوء تأثيره.

ومن الأقوال التي تعزو أسباب وجود الوهم أو بالأصح تغلغله في النفس. قولهم: إن الفراغ الروحي هو العامل الرئيسي الذي يمكن الوساوس والأوهام من الاستيلاء على النفس والمشاعر استيلاءاً يعكس فيها السرور ويحيله إلى حزن والفرحة إلى بؤس والنور إلى ظلام. وبالتالي القوة إلى ضعف ينتهي إلى نقطة الانهيار الكلي.

ولقد هبت أقلام غير أقلام علماء النفس للمساهمة في علاج هذا المرض الخطير. وذلك كأقلام الشعراء الذين أخذوا دورهم في وصف أخطاره فمن أولئك الشعراء. الشاعر محمد طاهر الجبلاوي الذي نظم قصيدة في الوهم قوامها عشرين بيتاً. يقول في أبياتها الأولى:

رفع المسابهمل

تعالوا أيها الأطفال عندي
لأضحككم على هزل الوجود

حياة جد ما فيها مجون
وأحلام تمثل في هجود

إخال سعادتي فيها وبؤسي
ولم أك بالشقي ولا السعيد

ومنها قوله:

ألا يا أيها الوهم اعترافاً
بعرش علاك والملك المديد

ملكت زمام هذا الخلق طراً
ولم تحتج لنار أو حديد

تحاربك العقول بكل علم
وتظفر ما أردت بلا جنود

ولو ظفرت لكان الفوز هلكا
على الدنيا وفوزاً للحود

ولولا فيك للدنيا قوام
وعز لانتهى أمر الوجود



رفع المستهمر

منهج العجاج في الحياة

في موضوع سابق عنوانه «العجاج بن رؤبة وأسرته» نقلت بعضاً مما اطلعت عليه من بعض الأخبار عن حياة العجاج الخاصة. وشيئاً من التفصيل المفيد عن أسرته ونسبه.

وفي هذا الموضوع أتطرق لشيء من منهجه في الحياة حيث أكد الدكتور عزة حسن محقق ديوان العجاج الذي صنعه وشرحه راوية العرب الأصمعي. أنه من خلال دراسته لأراجيز العجاج تبين له أن العجاج لم يتصل بالأحداث الكبيرة التي وقعت في عهده. وأنه قد آثر السلم والسلامة وجنح إلى الدعة والسكينة. ولهذا مضت حياته سهلة هينة.

ويظهر أنه أخذ بوصية أبي هريرة له وهي كما رواها العجاج نفسه إذ قال: قال لي أبو هريرة: «ممن أنت؟ قلت: من أهل العراق. قال: يوشك أن تأتيك بقعان الشام فيأخذوا صدقتك. فإذا أتوك فتلقهم بها. فإذا دخلوها فكن في أقاصيها، وخل عنهم وعنها، وإياك وأن تسبهم. فإنك إن سببتهم ذهب أجرك وأخذوا صدقتك، وإن صبرت جاءت في ميزانك يوم القيامة».

وقد جنبته تلك الوصية المخاطر ومواطن السوء ومنحته حياة هادئة مستقرة، ولهذا وصفه الجاحظ بقوله: كان العجاج أعرابياً ليس بذي نحلة ولا صاحب خصومة.

وترك العجاج مجال السياسة والدخول في الأحداث هيأه لخوض المجال الأدبي. فكان واحداً من رواد سوق المربد. وقد بارز كثيراً من الرجاز.

وكان أشد خصومه في هذا المجال أبو النجم العجلي الراجز المشهور. وقد تراجزا مرة فخرج العجاج على ناقة له كوْماء وعليه ثياب حسان. وخرج أبو النجم على جمل له مهنؤ وعليه عباءة. فأنشد العجاج أرجوزته الطويلة المشهورة التي مطلعها قوله:

قد جبر الدين الإله فجبر

وقوام هذه الأرجوزة مائة وثمانين شطراً. منها قوله في الافتخار:

مَنْ يرنا يوم المذّارِ والنّهرْ

ببطن ميسانَ وقد حقّ الحذرْ

حول أمير صادق ثبت الغَدَرْ

يمكّن السيف إذا الرُّمح انأطرْ

في هامة الليث إذا ما الليث هَرْ

كجمل البحر إذا خاض جَسَرْ

غوارب اليم إذا اليم هَدَرْ



يا أبا محمد: حدثنا عن كتابك عيون الأخبار!!

واستقطعت جزءاً من وقت أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى ٢٧٦هـ حيث عدتُ إلى الورى مع إطلالة عام ١٤١٢هـ مسافة زمنية قوامها ١١٣٦هـ لمقابلة أبي محمد والطلب إليه التحدث عن مؤلفه «عيون الأخبار» فما بخل رحمه الله: حيث قال بعد حمد الله وشكره والثناء عليه وبيان فضله على عباده.

أما بعد فإن في كل نعمة أنعم الله بها علينا حقاً. وعلى كل بلاء أبلاه زكاة فزكاة المال الصدقة وزكاة الشرف التواضع، وزكاة الجاه بذله وزكاة العلم نشره. وخير العلوم أنفعها وأنفعها أحمدها مغبة وأحمدها مغبة ما تُعلِّم وعُلِّم وأريد به وجه الله تعالى.

يا أبا محمد: ما هو منهجك في تأليفه؟ الجواب: منهجي في تأليفه هو إدخال الحديث في تضاعيف سطوره ليستفيد منه كاتب إذا كتب ويستعين به محاور إذا حاور. يا أبا محمد، صف لنا كتابك هذا وصفاً موجزاً وبشكل عام. الجواب: إن هذا الكتاب وإن لم يكن في القرآن والسنة وشرائع الدين. وعلم الحلال والحرام. دالٌّ على معالي الأمور مرشد لكريم الأخلاق زاجر عن الدناءة ناهٍ عن القبيح باعث على صواب التدبير وحسن التقدير ورفق السياسة وعمارة الأرض.

يا أبا محمد: يبدو أن كتابك هذا صالح لكل زمان. أليس كذلك؟ جواب: نعم. لأن عيون الأخبار نظمتها لمغفل التأدب تبصرة ولأهل العلم تذكرة. ولسائس الناس ومسوسهم مؤدباً وللملوك مستراحاً.

قلت: يا أبا محمد ناولني نسخته لألقي على إحدى صفحاتها

رفع المسبهما

نظرة. فناولني إياها. وفتحتها فإذا بعيني تقع على صفحة من جزء «كتاب الصنائع وفيها:

أتى رجل الوليد بن عبد الملك وهو على دمشق لأبيه. فقال: للأمير عندي نصيحة فقال: إن كانت لنا فأظهرها. وإن كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها. قال: جار لي عصى وفرّ من بعثه. قال: أما أنت فتخبر أنك جار سوءٍ فإن شئت أرسلنا معك. فإن كنت صادقاً أقصيناك. وإن كنت كاذباً عاقبناك وإن شئت تركناك. قال: بل اتركني. وقال عبدة بن الطيب:

واعصوا الذي يسدي النميمة بينكم
متنصحاً وهو السِمّام المنقع

يزجي عقاربه ليبعث بينكم
حرباً كما بعث العُرُق الأجدع

حَرّان لا يشفي غليل فؤاده
عسل بماء في الإناء مشعشع

لا تأمنوا قوماً يشب صبيهم
بين القبائل بالعداوة ينسع

إن الذين ترونهم خلانكم
يشفي صداع رؤوسهم أن تصرعوا

فضلت عداوتهم على أحلامهم
وأبت ضباب صدورهم لا تنز

قوم إذا دمس الظلام عليهم
حدجوا قنافذ بالنميمة تمزَع

ولما لم يكن عدد الأبيات المتقدمة ثمانية وهو شرطي لتأليف هذا

رفع المسيهما

الكتاب رجعت إلى ديوان عبدة بن الطيب وهو شاعر من شعراء تميم عاش أكثر حياته في الجاهلية الذي جمعه وحققه الدكتور يحيى الجبوري فوجدت أن الأبيات السابقة جزءٌ من قصيدة قوامها ثلاثين بيتاً استهلها بوصايا لأبنائه واستعرض فيها شيئاً من نصحه وتوجيهه وثمرة تجاربه. منها قوله:

ودعوا الضغينة لا تكن من شأنكم

إن الضغائن للقرابة توضع



رفع المسهم

ابن قتيبة يعرّف بكتابه عيون الأخبار

قمت منذ فترة قصيرة برحلة إلى ما قبل عام ٢٧٦هـ قاصداً أبا محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري. وأجريب معه لقاءاً أدبياً مقصوراً على التعرف على كتابه «عيون الأخبار» وقد جعلت عنوان ذلك اللقاء «يا أبا محمد حدثنا عن كتابك عيون الأخبار» وانتهى بي مطاف ذلك اللقاء إلى الحصول منه على نسخة منه وقرأت فيه شيئاً يسيراً عن النميمة.

وبتصفحي له وجدت أن أبا محمد قد أفاض في تعريفه إفاضة تقطع أي ملاحظة تتضمن (ليت). أو (لو أن) ومن تعريفه المتعلق بمنهجه قوله: ولم أر صواباً أن يكون كتابي هذا وقفاً على طالب الدنيا دون طالب الآخرة. ولا على خواص الناس دون عوامهم، ولا على ملوكهم دون سوقتهم. فوفيت كل فريق منهم قسمه. ووفرت عليه سهمه وأودعته طُرفاً من محاسن كلام الزهاد في الدنيا وذكر فجائعها والزوال والانتقال وما يتلاقون به إذا اجتمعوا ويتكاتبون به إذا افترقوا في المواعظ والزهد والصبر والتقوى واليقين وأشباه ذلك لعل الله أن يعطف به صادفاً ويأطر على التوبة متجانفاً. ويروع ظالماً ويلين برقائقه قسوة القلوب. ولم أخله مع ذلك من نادرة طريفة وفطنة لطيفة وكلمة معجبة وأخرى مضحكة لئلا يخرج عن الكتاب مذهب سلكه السالكون وعروض أخذ فيها القائلون، ولأروّح بذلك عن القارئ من كد الجد.

وقوله في تشبيهه: وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها

رفع المسيّهما

مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين وإذا مرّ بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف فاحشة فلا يحملك الخشوع أو التخاشع على أن تصعر خدك وتعرض بوجهك فإن أسماء الأعضاء لا تؤثم وإنما المأثم في شتم الأعراض وقول الزور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب.

وعلى صفحة من كتاب «السلطان» من يقول: قال الهيثم بن عدي: تقدمت كلثم بنت سريع مولى عمرو بن حريث وأخوها الوليد إلى عبد الملك بن عمير وهو قاضي الكوفة. وكان ابنه عمرو بن عبد الملك يرمى بها فقضى لها فقال هذيل الأشجعي في ذلك:

أتاه رفيق بالشهود يسوقهم
على ما أدعتْ من صامت المال والخولْ

فأدلى وليد عند ذاك بحقّه
وكان وليد ذا مراء وذا جدلْ

ففتنت القبطي حتى قضى لها
بغير قضاء الله في السور الطولْ

فلو كان من في القصر يعلم علمه
لما استعمل القبطيُّ فينا على عملْ

له حين يقضي للنساء تخاوص
وكان وما منه التخاوص والحولْ

إذا ذات دلّ كلمته لحاجة
فهمّ بأن يقضي تنحنح أو سعل

وبرّق عينيه ولاك لسانه
يرى كل شيء ما خلا شخصها جلل

رفع المسهم

فكان عبد الملك بن عمير يقول: والله لربما جاءتني العلة أو التنحنح وأنا في المتوضأ فأكف عن ذلك. أما أبو العلاء المعري فقد أشار إلى الحاكم العادل من القضاة بقوله:

ومن كان في الأشياء يحكم بالحجى
تساوى لديه من يحب ومن يقلي



رفع المسأهمل

كشاجم لَقَبٌ لَقّب به محمود بن الحسين نفسه!!

واسم (كشاجم) هو محمود بن الحسين السندي بن شاهك. ويكنى بأبي الفتح وقيل: بأبي نصر. وهو من أهالي الرملة بفلسطين. ويقال: إنه فارسي الأصل.

أما سبب تلقيب نفسه ب «كشاجم» فقد قيل: إنه معنى منحوت من علوم وثقافة كان يتقنها. فالكاف للكتابة والشين للشعر. والألف للإنشاء. والجيم للجدل. والميم للمنطق. وقيل: بل لَقّب نفسه بهذا اللقب لأنه كان كاتباً وشاعراً وأديباً وجميلاً ومغنياً. قيل: تعلم الطب فزيد في لقبه.

طاء فصار (طكشاجم) ولم يشتهر به. وساق الكتبي في كتابه «فوات الوفيات» تعليلاً آخر للفظة (كشاجم) فقال: سئل كشاجم عن سبب تلقيبه بذلك فقال: الكاف من كاتب. والشين من شاعر. والألف من أديب والجيم من جواد. والميم من منجم. وقال بعضهم: كشاجم طخ، وزاد الطاء من طباخ والخاء من خراء.

وعن نشاطه الفكري وتنقلاته ورحلاته. فقد قيل إن له تنقلات بين بغداد وحلب والقدس ومصر. وأنه استقرب به المطاف في حلب وهو من شعراء الدولة الحمدانية.

وقرأت في مقدمة كتاب كشاجم «المصايد والمطارد» الذي حققه وعلق عليه الدكتور محمد أسعد طلس نقلاً عن مخطوطة مكتوبة سنة ٦١٧ للهجرة، وفيها نسب كشاجم وتحقيق سنة وفاته في حوالي ٣٥٨ للهجرة، وفيها تقريض له وذكر لشيء من سيرته الذاتية، حيث قيل: إنه

رفع المسار هم

كان رئيساً في الكتابة ومقدماً في علوم الفصاحة والخطابة له تحقيق ويتميز به عن نظرائه وتدقيق يربى به على أكفائه وتحديق في علوم التعليم أضرم في شعلة ذكائه فهو الشاعر المفلق والنجم المتألق ولكشاجم ديوان شعر مطبوع. وقد أكثر من ذكر الصيد وكلاب الصيد وبعض الحيوانات في شعره من ذلك قوله:

سلام على دير القصير وسفحه
تحيات حلوان إلى النخلات

منازل كانت لي بهن مأرب
وكن مواخيري ومنتزهاتي

إذا جئتها كان الجياد مراكبي
ومنصرفي في السفن منحدرات

فاقنص في الأسحار وحشيّ عينها
واقتنص الأنسي في الظلمات

معي كل بسام أغر مهذب
على كل ما يهوى النديم مؤاتي

ولحمان مما أمسكته كلابنا
علينا ومما صيد بالشبكات

وكأس وإبريق وناي ومزهر
وساق غرير فاتر اللحظات

كأن قضيب البان عند اهتزازه
تعلم من أعطافه الحركات



قوس.. بلا ثمن

والكتابة عن الشيب سواء كانت نثراً أم شعراً لا تأتي بالوصف الواقعي لحقيقة تأثير الشيب إلّا أن تكون بقلم متقاعد قد ضرب في عمق السنين بصحبة غراب ثم عاد بصحبة غرنوق أبيض مهيض الجناح.

والشيب في الإسلام يعطي صاحبه وقاراً يؤهله بين ذويه وأهله مكانة تقديرية لا يستهان بها، ولهذا قالوا: الشيخ في ذويه ورهطه كالنبي في قومه أما الذي يكتب عن الشيب وهو لم يشخ بعد فإنه مهما تحذلق في الكتابة وأرخى العنان لقلمه فإنه لا يترجم الأثر الحقيقي للشيب.

قيل: إن أحد الشيوخ المسنين الذين تقوّست ظهورهم، وتحنّتْ من الكبر كان سائراً في الطريق فأراد أحد الشبان أن يداعبه فقال له: بكم تبيع هذا القوس وأشار إلى ظهره فقال له الشيخ: غداً أو بعده يأتيك القوس بلا ثمن. فراحت هذه العبارة مثلاً. ورأى أحد الشباب شيخاً يدب دبيباً من الكبر فقال له مداعباً: إن الذي فتل قيدك قد مهر في فتله وزاد في تقصيره. فرد عليه الشيخ: لا تقل هذا فهو نفسه يتجهز الآن لفتل قيدك. حكاية؛ قيل: إن شاباً وشيخاً ذهبا معاً إلى الجزار ليشتريا لحماً فرأى الشاب لحماً عضلاً متراكماً على عظم ضخم فراق له شكله فاشتراه غير آبهٍ بسن صاحبته.

أما الشيخ فقد أخذ يقلب اللحم ويسأل الجزار عن سن كل ذبيحة معلقة عنده فلما تبين له الشابة منها اشترى من لحمها. ثم عاد من عند الجزار: الشاب بلحم شاة مسنّة والشيخ بلحم شاة شابّة صغيرة فقال

الشاب للشيخ: لحمي أحسن من لحمك وأكثر. فقال الشيخ: يشتري المسن من لا أسنّ، أي أنك لم تدرك بعد فعل السنين في المسن. وأن العبرة ليست في كثرة اللحم وإنما في نوعه ومدى نفعه.

أما الشعراء فلهم مواقف من الشيب لا تعد ولا تحصى من أولئك محمود سامي البارودي الذي يقول:

كيف لا أندب الشباب وقد أص
بحت كهلاً في محنة واغتراب

أخلق الشيب جدتي وكساني
خلعة منه رثة الجلباب

ولوى شعر حاجبي على عي
ني حتى أطل كالهداب

لا أرى الشيء حين يسنح إلّا
كخيال كأنني في ضباب

وإذا دعيتُ حِرْتُ كأني
أسمع الصوت من وراء حجاب

كلما رمت نهضة أقعدتني
ونية لا تُقِلها أعصابي

لم تدع صولة الحوادث مني
غير أشلاء همة في ثياب

ويقول مواصلاً في وصف الشيب:

إنما المرء صورة سوف تبلى
وانتهاء العمران بدء الخراب

رفع المسيّهما

البدوي ببراءته يقع في مصيدة أهل السوء

نظم الشاعر محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر المتوفى سنة ١٣٧٧هـ قصيدية صوّر فيها حياة البدوي وما يكتنفها من بساطة وراحة بال. إذ لا هم له سوى البحث عن المرعى الخصيب لماشيته. ولا يعرف حياة المدن وما يعتريها من مشكلات:

صحب الفتى البدويّ ذيل مراح
يُزهى بسرح في فلاً ومراح

والبدوي ببراءته يعانق الطبيعة بروح فاضلة ونفس أبية ونقية كنقاء الصحراء التي يعيش فيها وليس لقدم المدني فيها أي أثر:

لا تخطر الفتيات فيه بزينةٍ
وتبرّج بين البيوت وقاح

والسذاجة المملوءة بالبراءة التي يتمتع بها البدوي تجعله يحمل الناس الذين يقطنون المدينة على محمل الفضيلة لكن هذه البراءة كثيراً ما توقعه في حبائل الأشرار:

مُني الفتى بقرين سوء يرتدي
ثوب النصيح بغدوة ورواح

مُني بذلك لأنه لا يعلم أن في المدينة أهل سوء يتصيدون الأبرياء ويلقون بهم في أوحال الخطيئة:

لم يدر أهلُ النُّبل أين مزارُه
ودَرَاهُ أهلُ بطالة وطلاح

رفع المسهم

فأغووه بمعسول الكلام وأظهروا له خلاف ما أبطنوه له من سوء حتى صار طوع إرادتهم فسلكوا به طريق اللهو واللعب والمآثم:

صرفوه عن وجه الرشاد فتاه في
واد من اللهو الأثيم براح

وما الذي حصل له بعد أن جره الفسقة والعصاة. وانقاد في مقود الشر؟:

ظل الفتى في سكرة وثراؤه
ينهار بين مزاهر وقداح

ولما تبددت ثروته وضاعت منه في طريق الفساد هل بقي الذين أغووه إلى جانبه؟ كلا. فكأنما هو ليمونة امتصوا ماءها ثم رموا بقشورها:

وانفض من حول الفقير رفاقه
وجزوه عن إقباله بطماح

وظل وحيداً ليس معه درهم يقتات به. ولا رفاق كانوا بالأمس يزرعون الأرض من تحت أقدامه ورداً وضاقت عليه الدنيا ومسالك الأرض بسبب حسن نيته:

لا درهم يغنيه من جوع ولا
إلف يخفف لوعة الأتراح

وإذا كان لي تعليق على هذه الصورة التي عرضها محمد الخضر حسين فإنه لا يتجاوز القول بأن صحبة الأشرار تقود إلى الدمار.



السرور والكآبة. والنفس الملومة واللوّامة!!

والنفس بطبيعة الحال تتمرجح في كثيرٍ من الأحيان بين سويعات الانبساط والفرح والسرور والرضا. وبين سويعات ملؤها الانقباض والكآبة، والحزن والتسخط وسوء الحال. والسويعات التي تمد صاحبها بفيض من السرور والأنس والبهجة والاستقرار لا تقارن من حيث شدة التأثر على النفس بساعة واحدة من الكآبة والأسى.

ولهذا فإن النفس تعيش في بعض الفترات بين مدّ مؤنس يتمثل في التمام الشمل واستقرار الحال المتمخضة عن الصحة في البدن والأمن في الوطن، وبين جزر موحش تجلبه الأحزان من كل مكان والمصائب المفاجئة والنوازل المؤلمة التي تأتي من كل ناحية. ولوم النفس ومعاتبتها بل محاسبتها وارد لأنها كثيراً ما تكون هي السبب في جر صاحبها إلى المهالك ومهاوي الردى، وأماكن السوء.

ولهذا فهي ملومة ولوّامة، إذ هي تلوم صاحبها عندما يخالفها في أمر يرى فيه مصلحته وصلاحه، وتلوم صاحبها عندما يحمّلها ما لا طاقة لها به من الأمور وهي تلومه إذا أهملها وجعلها عرضة للإهانة والإذلال، وفي الأثر «إن لنفسك عليك حق» وورد في القرآن الكريم لوم النفس فقال تعالى في سورة إبراهيم آية ٢٢: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

وقال تعالى في سورة القيامة آية ١ ـ ٢: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾.

وإذا كان اللوم متبادلاً بين النفس وصاحبها فإن الجانب الذي يبرر لوم النفس من لدن صاحبها أكثر واقعية من لومها لصاحبها.

والشعراء يكون لهم مع أنفسهم تناج وأخذ ورد في أسلوب تقاول أو تلاوم، فمن أولئك الشعراء الذين تحدثوا إلى أنفسهم الشاعر محمد طاهر الجبلاني في قصيدة ضمنها «ملتقى العبرات»:

أنا من نفسي كئب محزن
لا يلذ اليوم عندي أي حال

أنا لا الروض لقلبي مبهج
لا ولا للأفق في عيني جلال

أنا لا الطير لنفسي مطرب
وهو يشدو فوق غصن ذي اختيال

أنا لا الخمر تسلي مهجتي
لا ولا تشغلني ذات الدلال

أنا لا الشعر لعيني رائق
لا ولا للكتب قلبي مستمال

ليت شعري هل نأى عهد الصبا
وتمضّ مثلما تمضّى الظلال

لم يزل غصن شبابي نضراً
ويح نفسي أشباب واكتهال

اخلعي يا نفس برد الهم وارضي
ذلك الكون جميل لا يزال

رفع المسهم

المخدرات جناية على الأجنة!!

إن علاقة الأم بطفلها منذ تكوينه في رحمها حتى يستطيع دفع الأذى عن نفسه واكتساب رزقه علاقة ذات ميثاق تفرضه جميع العقائد على الأبوين معاً، ونقضه يعد خيانة عظمى وجريمة في حق الأجنة في البطون. والأطفال الذين لم يغادروا الأحضان ويكتسبوا رزقهم.

والأم التي تفسخ هذا الميثاق هي تلك التي تعمد إلى عناد الشريعة. وهي تلك التي يدخل بها عدم المبالاة بما نهاها الله ورسوله عنه في ميدان الضلال الذي تتلقفها في زواياه أيد القذارة وتطربها في منحنياته مزامير الشيطان فتنغمس في بحر الزيغ فتتجاذبها أمواج الفسق والكفر والفجور من كل ناحية.

وإذا كان لكل مهلكة سبب فإن المخدرات تعد من أقوى الأسباب الموردة للمهالك.

وأم تتعاطى المخدرات لا بدّ أن تلد طفلاً قد امتزج دمه بما تتناوله من أنواع المخدرات ولنا أن نتصور حالته عندما يفقد جسمه ذلك السموم الذي كانت تغذيه به حينما كان جنيناً في بطنها. إنه بالطبع مدمن بإدمانها، وقد يموت بمجرد ولادتها له، وموته بهذا السبب يعني أنها قتلته عنوة. والقرآن الكريم يقول: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣].

ولقد تصور أحد الشعراء. وهو الشاعر أحمد عبد اللطيف القدومي طفلاً ولدته أم مدمنة مخدرات فأخذ يناجيها مناجاة كلها لوم وتذمر من

رفع المسهم

فعلتها وتسخط من ارتكابها ذلك الخطأ الفاحش بحقه. وذلك في قصيدة طويلة قوامها ٢٤ بيتاً قرأتها في «المجلة الطبية السعودية» العدد ٧٢ محرم عام ١٤١٢هـ وهي مجلة دورية تصدر كل ثلاثة أشهر. وقد استهل القدومي قصيدته تلك بقوله:

أماه ما ذنب الطفولة في دمي
تقضى بسم عاصف بكياني
أماه ما ذنب الطفولة ترتمي
في حضن ميت تائه سكران

وفيها يقول:

أرضعتني سماً فبتُّ معذَّباً
لا حضن يؤي من لظى الحرمان
وغدوت يا أمي أصارع حسرتي
وأنا وحيد كاره لزماني
وسقام جسمي في شحوب إرادتي
بؤس يمزق في الحشا عنواني
أفيون حبك في تبتل فطرتي
نجوى اتقادٍ في شجون هواني

وفيها يقول:

فالأم في دنيا الطفولة درّة
لكن أمي جمرة بجناتي
لا تعذليني إن بكيت فإنني
أبكي عليك وأحتسي أشجاني

الممزق ليس اسماً وإنما هو لقب

والممزق شاعر قيل: إنه مخضرم. وهو ابن أخت الشاعر المثقب العبدي الذي سبقت ترجمته في هذا الجزء تحت عنوان «المثقب العبدي. لقب لعائذ بن محصن وليس اسماً».. أما اسم الممزق فهو كما أورده حسن الصيرفي في حاشية ديوان المثقب عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي: شأس بن نهار بن أسود بن جزيل بن حُيَيّ بن عساس بن حُيَيّ بن عوف بن سود بن عُذرة بن منبّه بن نُكْرة بن لُكيز بن أقصى بن عبد القيس وإنما سمي ممزقاً ببيت قاله من قصيدة له، وهو قوله:

فإن كنْتُ مأكولاً فكن أنت آكلي
وإلّا فأدركني ولمَّا أُمزَّق

أما ابن قتيبة صاحب كتاب «الشعر والشعراء» فقد قال: ابن الممزق: جاهلي قديم وقد قال هذا ـ يعني البيت السابق ـ لبعض ملوك الحيرة (ولعله النعمان بن المنذر) وأن النعمان قال له: «لا آكلك ولا أوكلك غيري». وقد أورد الأبيات التي من جملتها البيت المتقدم وهي:

وناجيةٍ عَدَّيتُ من عند ماجدٍ
إلى واجدٍ من غير سُخط مُفَرَّقٍ

تبلغني من لا يدنّس عرضه
بغدرٍ ولا يزكو لديه تملقي

تروح وتغدو ما يحل وضينها
إليك ابن ماء المزن وابن مُحرّق

أحقاً أبيت اللعن أن ابن بَرْتَنَا
على غير إجرام بريقي مُسْرقي

فإن كنت مأكولاً فكن أنت آكلي
وإلّا فأدركني ولما أُمزق

فأنت عميد الناس مهما تَقُل نَقُل
ومهما تضع من باطل لا يحقق

أكلقتني أدواء قوم تركتهم
فإلّا تداركني من البحر أغرق

فإن يُعْمون أشئم خلافاً عليهم
وإن يتهموا مستحقبي الحرب أُعرق[1]

وقرأت في كتاب «سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي» أنه لما حوصر عثمان بن عفان رضي الله عنه كتب إلى علي بن أبي طالب ما نصه: أما بعد فقد بلغ الحزام الطيبين وجاوز السيل الزبا وبلغ الأمر فوق قدره، وطمع في الأمر من لا يدفع عن نفسه. ثم ذكر بيت الممزق «فإن كنتُ مأكولاً فكن.. إلخ». ولقد فتشت فيما لدي من مراجع بحثاً عن معرفة تاريخ ولادة ووفاة الممزق فلم أجد دليلاً على ذلك أما إذا كان يعني في بيته «تروح وتغدو.... إلخ» النعمان بن المنذر كما قال ابن منظور في اللسان فهذا يعطينا دليلاً على أنه عاصر النعمان الذي كان في ٥٨٧م حاكماً. والله أعلم.



(١) يعموا: يأتوا عمان. وأشئم: اتجه إلى الشام.

لذعات في أبيات

واللذعات التي سأستعرضها هي من نتاج الشاعر ابن عنين واسمه: شرف الدين أبي المحاسن محمد بن نصر المشهور بابن عنين المتوفى سنة ٦٣٠هـ.

اللذعة الأولى: يروى أن ابن عنين سافر من اليمن التي كان واليها آنذاك الملك العزيز بن طغتكين بن أيوم قاصداً مصر ومعه أنواع نفيسة من التجارة فطولب بدفع الضريبة عما معه من العروض. وكانت مصر يومها تحت ولاية الملك العزيز بن صلاح الدين صاحب مصر المتوفى سنة ٥٨٩هـ. فقال يهجوه ويقيم الفارق بينه وبين الملك العزيز في اليمن:

ما كل من يتسمى بالعزيز لها
أهلٌ ولا كل برق سحبه غدقهْ

بين العزيزين بون في فعالهما
هذاك يعطي وهذا يأخذ الصدقهْ

اللذعة الثانية: وقد كانت من نصيب الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب حيث قال فيه:

إن سلطاننا الذي نرتجيه
واسع المال ضيق الإنفاق

هو سيف كما يقال ولكن
قاطع للرسوم والأرزاق

رفع المستهمل

اللذعة الثالثة: يروى أنه في عام ٦١٩هـ خرج ابن الخوارزمي حاجاً فرمته دابته التي كان يركبها فأُصيب من أثر سقوطه، ورجع ولم يحج ذلك العام. فقال ابن عنين في ذلك:

إذا ما ذُمّ فعلُ النوق يوماً
فإني شاكر فعل النياق

أراد الله بالحُجّاج خيراً
فثبط عنهم أهل النفاق

اللذعة الرابعة: ومن مضمون البيتين التاليين نتبين أن ابن عنين قد نفي من دمشق، وأنه اعتبر نفيه مقياساً لنفي كل أبيٍّ صادق نزيه من دمشق، وأن مبدأ النفي هذا يوشك أن يشمل المؤذنين الذين يرددون جمل الآذان في كل وقت بكل صدق. وذلك بقوله:

فعلام أبعدتم أخا ثقه
لم يجترم ذنباً ولا سرقا

أنفوا المؤذن من بلادكُم
إن كان ينفى كل من صدقا

تلك لذعات اتفقت شواهدها من حيث القافية مع شرط تأليفي الذي نوهت عنه في مقدمة الجزء الأول، وإلّا فهناك من اللذعات التي مهر فيها ابن عنين الشيء الكثير، والموغل في الذم.



سيد قطب يسأل عازفة (البيانو)

ونحن حينما نلقي نظرة فاحصة على أشكال وهيئات آلات الطرب نرى أن بعضاً منها قد صمم على هيئة قلب إنسان. لا لفنيةٍ يحتمها الصنع من أجل ظروف عملها وطبيعة أدائها وإنما من أجل الإثارة.

وإذا لم يكن التصميم على هيئة قلب أو منع من تشكيل صنعه على صفة القلب طبيعة عمله الذي صنع من أجله، فإن رسم القلب يكون في غالب الأحيان على أحد جوانبه البارزة ليحل محل تشكيله وتصميم ذاته على هيئة قلب.

وآلات الطرب التي تصنع على هيئة قلب إنسان قد أريد بها الرمز إلى أن أصواتها تحرك في القلب ساكن الحب وتثير فيه جانب العشق الذي كان قد هدهدته ذراع الغفلة فغفا عن حب قديم قد شغف قلبه أو صاحب نأى به المزار عنه. فيستجيب للأنغام التي ترقصها الأنامل الفنية التي يعرف صاحبها كيف يجعل من تمازج الأصوات وتداخل طوال الأنغام مع قصارها صوتاً يشنف أذن السامع، ويوقظ في نفسه طرباً يرقص به أحاسيس عشقٍ قديمٍ كان قد طواه في زاوية النسيان. فيتولد في التوله والتوجد على أيام أنس قد مضت.

وقف الشاعر والمفكر الإسلامي سيد قطب على إنسانة تحرك آلة طرب تعرف بـ«البيانو» فراح يسألها في أبيات شعرية جعل عنوانها «بيانو القلب» وقد بلغت تلك الأبيات نحواً من اثني عشر بيتاً منها قوله:

هو قلب لَمَسْتِهِ أم «بيانه»؟
فتنادت من جوفه ألحانه

هو قلبي أجل فهذي الأغاني
هو يشدو بها وذا تحنانه

أم تراه كما أرجو فؤاد
بين جنبيك ملهم خفقاته

فتلاقى القلبان في ذلك اللحن
وحاكت خفقاتهما أوزانه

وتراءى في اللحن طيف الأماني
مطبقاً على الرؤى أجفانه

وقوله:

لحني أنت خفق قلبي نشيداً
أنت أدرى بما حوى وجدانه

والمسي بالحنان قلبي فيشدو
مثلما تلمس البنان البيانه

ودعيه يطر دون جناح
غيرَ حب يزيده طيرانه



رفع
المسهم

قراءة في كُتَيِّب

والكتيب الذي بين يدي هو «البؤساء في عصور الإسلام» بقلم محمود كامل فريد. وقد جمع فيه حوالي أربعين منتخباً من أسماء البؤساء.

ولم يذكر المراجع التي استقى منها أسماء أولئك البؤساء، وإنما اكتفى في مقدمة كتيبه بهذا النص: إليكم معشر القراء أقدم كتابي هذا «البؤساء في عصور الإسلام» وهو غاية ما عثرت عليه من تراجمهم.

وما ذاك إلّا لأني أعتبر نفسي كفرد منهم، ولم أكن مبالغاً إذا قلت أنه من الكتب القيمة التي يميل إليها الأديب ويعجب بها كل قارئ. وفي بعض دراسته التي ضمنها المقدمة يرى محمود فريد أن للبؤس فضائلَ وذلك بقوله: وفضائل البؤس كثيرة: ومنها الورع. والتقوى. والثبات، والصبر، والتجلد على المصائب. . ومكافحة الأهوال، ومعرفة الله جلّ شأنه، والتفرغ إليه سبحانه وتعالى، واليأس من الدنيا والاهتمام بالآخرة، والبؤس عادة توجد الطمأنينة في النفوس وتحض على اعتزال العالم. والانفراد عن الناس والانقطاع إلى عمل واحد والتبحر في العلوم. ثم قال: ولو نظرنا إلى البؤس من حيث حقيقته وجدناه أقوى سببٍ في تذليل النفس بل هو الباعث لها على الانقياد والإذعان والرضوخ والطاعة والميل إلى حب الخير، والعباد، والإحسان. وقد صدر الصفحة الأولى من كتيِّبه هذا بأبيات جاء فيها قوله:

على البؤساء في كل المواطن
سلام الله ما خفقت سواكن

وألـف تـحـيـة فـي كـل وقـت
لـم تـهـدى وإن بـعـدت مـسـاكـن

فـكـم لاقـوا مـن الـدهـر الـرزايـا
وبـلـوى نـبـهـت مـنـهـم بـواطـن

إلـيـكـم مـعـشـر الـقـراء أهـدي
عـظـات بـيـنـت كـنـه الـمـعـادن

كـرام حـالـهـم فـي الـدهـر بـؤس
وهـم أصـل الـسـعـادة إن تـقـارن

ومما قرأت من الأشعار ونوادر الأبيات عما يحدث لبغضهم من بؤس بسبب مقاواة قسوة الدهر: قول محمد البيوردي:

تـنـكـر لـي دهـري ولـم يـدر أنـنـي
أعـزٌّ وأحـداث الـزمـان تـهـون

فبات يريني الخطبَ كيف اعتداؤه
وبـتُّ أريـه الـصـبـر كـيـف يـكـون

وقول أسامة بن منذر مذكراً بأن الزمان ماضٍ وإنما نشكوه من بؤس هو زائل مع الزمان وإن لم نزل نحن عنه:

وكـل مـا نـشـكـوه مـن زمـانـنـا
نـزول عـنـه أو يـزول عـنـا



مساوي البؤس وشخصية بائسة!!

وبؤس الناس ليس من مصدر واحد معين يمكن تجنبه. كما أن بعض الناس يبئس من شيء هو مصدر سعادة للآخرين والعكس يحدث أيضاً، وكذلك احتمال البؤس. فمن الناس من يكون شديد التحمل فلا تظهر عليه علامات البؤس الذي يعايشه ومنهم من تعرفه عند رؤيتك له بأنه بائس.

وفي تنوع مصادر البؤس واختلاف الناس في تحمله كتبت رسائل ومؤلَّفات ومن بعض الدراسات الخاصة بذلك ما ألفه الأستاذ محمود فريد سنة ألف وتسعمائة وخمس وعشرين من الميلاد وقد أشرت إليه في موضوع سابق عنوانه «قراءة في كُتَيِّبْ» وذكرت بعضاً مما جاء في مقدمته مثل (فضائل البؤس) وهنا أذكر شيئاً مما قاله عن مساوئ البؤس بما نصه:

ومساوئ البؤس كثيرة منها: التأفف. والضجر. واحتمال الهم. والكمد. والنزق. وضيق الصدر. وسوء الخلق. وقطع العشرة. والانحراف. والانكماش عن الخلق. والقهر. والإكراه. والغلبة. والتطبع بالأخلاق المرذولة ـ وفساد الطوية. والخديعة. والمكر. والدهاء. والذل. وشدة الغيظ. وعدم المبالاة. واحتقار النفس. والبله. والطيش. والغباوة. والبغض. والعداوة من غير سبب. والعجز. والجموح. ووساوس الصدر. ومعصية الخلق. وشدة الحسد. والحقد. والميل إلى الشر. والمعاكسة. والتطبع بالرذائل. وارتكاب الدنايا والنقائص. والهذيان. والمرض الذي يؤدي إلى الجنون. وينتهي بالتفاني

في حب الموت. . ـ ومن بين الشخصيات التي ضمها كتيب محمود فريد: شخصية ابن النحاس، واسمه. . بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن محمد الإمام العلامة. . قال عنه فريد: كان من أذكياء بني آدم وله خبرة بالمنطق. مشهور بالدين والصدق مع إطراء التكلف والتجمل. وصغر العمامة. فيه ظرف النحاة وانبساطهم. وكان يحدث في تعليمه وخطابه بلغة الحلسين. ولا يتهوج في أقواله ولم يتزوج لضيق حاله توفي فقيراً بائساً سنة ٦١٨ هجرية. ومن محاسن شعره هذه الأبيات من قصيدة:

كحل بعينك أم ضرب من الكحل
ورد بخديك أم صبغ من الخجل

قضيب بان إذا ما ماس ميّله
دعص من الرمل أم ضرب من الرمل

يفتر عن سمط در في عقيق فم
عذب المراشف ممنوع من القبل

أقسمت ما روضه بالنّيرين إذا
سحت عليها شؤون العارض الهطل

شقّت شقائها أيد الربيع وقد
ماست حدائقها كالشارب الثمل

يوماً بأحسن من ورد الخدود علي
بأن القدود ولا من نرجس المقل

وقائل وشموس الراح قد أفلت
فينا وشمس مدير الراح لم تحل

هذا هو الحب لولا كثرة الرقبا
ولذة العيش لولا ساعة الأجل

رفع المسهم

الجاحظ.. هو عمرو بن بحر

و «الجاحظ» لقب لُقِّب به عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي. لأن عينيه كانتا جاحظتين (والجحوظ النتوّ) وكان يقال له أيضاً: الحدقي، ولم يشتهر به قال ابن خلكان في كتابه «وفيات الأعيان» والليثي نسبة إلى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة.. ومن النسابين من يقول: إنه عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي.

وعلى العموم فالجاحظ عمرو بن بحر - بحر زاخر بالعلوم - وقد ذكر الدكتور أحمد محمد الحوفي أن مؤلَّفات الجاحظ تبلغ ٤٥ مؤلفاً وذكر أسماءها في كتاب له سماه «الجاحظ». ولعل أهم كتب الجاحظ هي «الحيوان» و«البيان والتبيين» و«البخلاء» و«التاج في أخلاق الملوك» و«البرصان والعرجان».

وفي كتاب الحيوان نجد أن للجاحظ آراء ووجهات نظر وأساليب نقدية وتعليقات يخالف فيها بعض الآراء التي جاء بها أرسطو وجالينوس وغيرهما. معتمداً على واقعية ملاحظاته التي استقاها من أرباب المهن.. وصدق معاينته لما يتناوله من موضوعات ذات صفات وطباع. ولهذا قال: كل قول يكذبه العيان فهو أفحش خطأ وأسخف مذهباً وعلى هذا المنهج نراه يجعل التطبيق في كثير من المسائل الجدلية مسانداً للعقل فهو يذبح أحياناً الحيوان ويفحص جوفه وقانصته، وأحياناً يلقي عليه نوعاً من السم ليتبين تأثيره فيه أو يجمع في إناء حيوانات متضادة ليرى صراعها، وعن تعمده لتنوع موضوعات كتاب الحيوان قال: إني أوشح هذا الكتاب بنوادر من ضروب الشعر وضروب

رفع
المسيّهمّا

الأحاديث ليخرج قارئه من باب إلى باب ومن شكل إلى شكل فإني رأيت الأسماع تمل الأصوات المطربة والأغاني الحسنة والأوتار الفصيحة إذا طال ذلك عليها.

ومما وشح به الجزء السابع من كتابه «الحيوان» من أشعاره هذه الأَبيات التي نسبها إلى هدبة بن خشرم العذري الذي كان راوية للشاعر الهجاء الساخر جرول بن أوس المعروف (بالحطيئة):

فأُب بي إلى خير فقد فاتني الصبا
وصيح بريعان الشباب فَنُفِّروا

أمور وألوان وحال تقلب
بنا وزمان عُرفه قد تنكرا

أصبنا بما لو أن سلمى أصابه
لسُهّل من أركانه ما توعرا

فإن تنج من أهوال ما خاف قومنا
علينا فإن الله ما شاء يسرا

وإن غالنا دهر فقد غال قلبنا
ملوك بني نَصْر وكسرى وقيصرا

وذي نيرب قد عابني لينالني
فأعيا مداه عن مدايَ فقصرا

فإن يك دهر نالني فأصابني
بريْبٍ فإن تُثْوى الحوادث معشرا

فلست إذا الضراء نابت بجبّأ
ولا جزع إن كان دهر تغيرا



وفي البؤس مِلَح ونوادر!!

قد يكون الحديث عن البؤس والبؤساء مملّاً بالنسبة لمن يغالبهم الوهم والوسواس، وقد يكون شيقاً للسعداء ومِلَحاً للأغنياء.

وحتى لا يكون هذا الموضوع موضع تقاول بين البؤساء والسعداء ومثار خلاف ومنازعات، فضلت الاكتفاء بذكر بعض الطرائف والمِلَح التي قد توصف بأنها من سوء الحظ أو أنها ركيزة بؤس ونواة تعاسة.

فمن تلك الملح أو النوادر ما يُحكى أنَّ أحدهم كان ذاهباً في طريقه إلى سوق الماشية ليبتاع منه حماراً. فالتقى به رجل وسأله: إلى أين؟ قال: إلى السوق لأشتري حماراً. قال له: قل إن شاء الله قال: الدراهم في جيبي والحمار في السوق وسوف أشتريه لا محالة. وفي السوق حيث يكثر الزحام سرقت دراهمه فعاد في طريقه ولقيه الرجل نفسه وسأله: لماذا عدت بلا حمار؟ قال: سرقت الدراهم إن شاء الله. ولم أشتر حماراً إن شاء الله. وها أنذا عائد إلى بيتي بائساً إن شاء الله.

ومن الحيوانات التي يسبب فقدانها أو نفقها بؤساً أو هلاكاً لصاحبها ما حُكي من أن محمد بن عبد الرزاق بن أبي بكر شمس الدين بن محمد الحنبلي كان قد سافر من الشام إلى مصر راكباً حماراً له خاصة، وقد وضع عليه جعبة فيها ما يحتاج إليه من مال وغيره. وبينما هو في الطريق خرج عليه جماعة من اللصوص فأخذوا منه الحمار بما عليه عنوة وتركوه في عرض الطريق باكياً جائعاً لا يعرف إلى أين يذهب، وبعد أيام وصل مصر شاكياً وفي حالة من البؤس يُرثى لها. فلم يحصل على مقصود فخرج إلى دمشق من نفقة قليلة. وهناك

رفع المسيّهم

انتظم حاله. وتعرف بجماعة من أهل الفضل فاشترى فرساً.

وفي ذات يوم خرج بها إلى النهر ليسقيها فغرقت منه فجاء يسحبها فغمرته الأمواج فمات غرقاً سنة ٦٨٩هـ. وإذا كان الشيء بالشيء يُذكر فإنَّه قد كان للشاعر شرف الدين أبي المحاسن محمد بن نصر المشهور بابن عنين الأنصاري الدمشقي المتوفى سنة ٦٣٠هـ حمار سريع الجري وشديد الاحتمال. ولما نفق حزن عليه حزناً شديداً ورثاه بقصيدة تبلغ نحواً من خمسة عشر بيتاً منها قوله:

لا عاجزاً عند حمل المثقلات ولا
يمشي الهوين كما يمشي الوجى الوحل

مكمل الخلق رحب الصد منتفخ ال
جنبين لا ضامر طاو ولا سَغِلُ

يطوي على ظمأ خمساً أضالعه
في بيضة الصيف والرمضاء تشتعل

ويقطع المقفرات الموحشات إذا
عن قطعها كلّت المهرية البُزل

ففي الأباطح هَيْقٌ راعه قَنَصٌ
وفي الجبال المنيفات الذُرى وعل

يُرجع النهق مقروناً ويطربني
لحناً كما يطرب المزمومُ والرملُ

لو كان يُفْدى بمالٍ ما ظننت به
ولم تصن دونه خيلٌ ولا خول

لكنها خطة لا بدّ يبلغها
هذا الورى كل مخلوق له أجل

أبو نواس يقبل عذر الهيثم بعد فوات الأوان!!

أخطأ أبو عبد الرحمٰن الهيثم بن عدي بن زيد بن لبيد بن جابر الطائي الكوفي في حق أبي الحسن بن هانئ (أبو نواس) حينما لم يقربه من مجلسه عندما زاره وهو ما زال حدثاً فندم على ذلك بعد أن انصرف أبو نواس من المجلس فراح من فوره يقدم له العذر بعدم معرفته إياه. ولكن بعد أن سبق السيف العذل كما يقولون.

ولطرافة هذه الحكاية رأيت أن أنقلها كما رواها ابن منظور صاحب «لسان العرب» في كتابه «أبو نواس في تاريخه. وشعره. ومباذله وعبثه ومجونه» عن الهيثم نفسه وبقوله: صار أبو نواس في حداثته إلى مجلس الهيثم بن عدي فجلس والهيثم لا يعرفه فلم يستدنه ولم يقرب مجلسه. فقام مغضباً وتبين الهيثم في وثبته الغضب. فسأل عنه. فخبر باسمه. فقال: إنا لله. هذه والله بلية لم أحسبها على نفسي. قوموا بنا إليه لنعتذر فصاروا إليه. فدق الهيثم الباب عليه، وتسمّى له. فقال له: ادخل. فدخل وإذا هو قاعد يصفي نبيذاً له وقد أصلح بيته بما يصلح به مثله. فقال الهيثم له: المعذرة إلى الله ثم إليك، ولا والله ما عرفتك. وما الذنب إلّا لك حين لم تعرفنا نفسك، فنقضي حقك. ونبلغ الواجب من يدك. فأظهر له قبول العذر.

فقال له الهيثم: أنا أستعهد من قول يسبق منك فيّ. قال: ما قد مضى فلا حيلة لي فيه. ولكن لك الأمان فيما يستأنف.

قال الهيثم: وما الذي مضى؟ جعلت فداك. قال: شيء مرّ وأنا

رفع المستهمل

فيما ترى قال: فتنشدنيه؟ فامتنع أبو نواس عن الإنشاد فدافعه الهيثم. وألح عليه فأنشده بيتاً ثمّ عاد فأتم القصيدة التي منها قوله:

الـهـيـثـم بـن عـدي فـي تـلـونـه
في كل يوم له رحلٌ على خشب

يا هيثم بن عدي لست للعرب
ولست من طيء إلّا على شغب

إذا تسبت عدياً في بني ثعل
فقدم الدال قبل العين في النسب

ترى دعياً على رغم الأولى زعموا
دهراً عدياً فتى من سادة العرب

له لسان يزجيه ليهجوهم
كأنه لم يزل يعدي على قشب

كأنني بك فوق الجسر منتصباً
على جواد قريب منك في الحسب

حتى نراك وقد درعته مُمُصاً
من الصديد مكان الليف والكرب

لله أنت فما قربى تهمُّ بها
إلّا اجتلبت لها الأنساب من كثب

فعاد إليه الهيثم حين بلغته القصيدة فقال له: يا سبحان الله!! أليس لقيتني وجعلت لي عهداً أن لا تهجوني؟!!. فقال أبو النواس: «وأنهم يقولون ما لا يفعلون».



رفع المسـهم

تقريض لديوان ابنة الإسلام!!

قرأت في مجلة «الأزهر» الجزء الأول السنة ٦٣ محرم سنة ١٤١١هـ تقريضاً بقلم الأستاذ أحمد محمود مبارك لديوان «ابنة الإسلام» للشاعرة علية الجعار. وقد أعجبني ذلك التقريض لا من حيث أن أسلوبه كان جيداً، وإنما لأن الديوان كان يتجلى فيه الاتجاه الإسلامي الذي نحن في أمسِّ الحاجة إليه خاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه الاتجاهات الفكرية والغزو الثقافي المعادي للإسلام الذي تدفعه الأقلام التي تحاول النيل من عقيدة المسلمين. يقول الأستاذ أحمد مبارك واصفاً قصائد ومقطعات ذلك الديوان بما نصه: إن هذه المقطوعات والقصائد القصيرة لا يعوزها طول أو إفاضة إذ جاءت في تركيزها متوائمة مع الفكرة الومضة الشعورية الوجدانية.

وتتنوع تلك الأعمال لتشمل الابتهالات والرجاء للخالق العظيم والتسبيح بحمده وشكره على نعمه. والتأمل في الكون وما خلق المولى عزَّ وجلَّ وذلك من منطلق إيماني إسلامي بحت كما يشمل الديوان قصائد الفكر والتاريخ الإسلامي والتجاوب مع الأحداث والمناسبات الإسلامية.

ويصف مدى تأثير القصائد في نفس قارئها بقوله: وتتميز قصائد الديوان أيضاً بصدق التجربة الشعورية ورهافة الإحساس الموسيقي وثراء الوجدان المصور بحيث ينتهي القارئ من قراءة الديوان وهو يشعر بالتجاوب الشديد مع قصائده والتأثر الوجداني الذي يتسرب إلى مشاعره كأشعة نورانية تنقل إليه التجربة الشعورية الإيمانية بعمق وشفافية مما

رفع المسار

يقطع بأننا أمام شاعرة صادقة الموهبة قادرة على التعبير الشعري المتميز المؤثر. وقد أورد نماذجاً من شعرها التي تلجأ فيها إلى الله مقرة بضعفها الإنساني. وذلك كقولها:

من لي سواك إله الكون يهديني
وفي طريق الهدى والنور يبقيني

يا واسع العفو هب لي منك مغفرة
إلى جنابك يا الله تدنيني

الذنب عندي يا الله يقتلني
والعفو عندك يا الله يحييني

خطاءة أنا يا الله يدفعني
إلى ذنوبي ما حملت من طيني

وكقولها:

من أنبت الزهر فتاناً من الطين
من أودع العطر في قلب الرياحين

ومن أحال الدجى نوراً بأعيننا
وأطلق البدر يسري في موازين

والشمس تشرق في الآفاق دائبة
من قال للشمس في آفاقها كوني

الله خالق هذا الكون من عدم
قد صاغه الله بين الكاف والنون



الشعراء يخرقون قواعد النحاة!!

من الثابت في كتب اللغة أنَّ النُّحاة جعلوا للنحو قواعد ذات خاصية توقع أحكاماً لإعراب الكلمات وتلزم كل صاحب قلم ومتكلم باتباعها. وقد صار تقويم أهم جانب في العمل الأدبي مربوطاً بصحتها فيه لكن الشعراء يتجاوزون تلك القواعد أو يكسرونها فلا يجد النحاة بداً من إيجاد استثناءات لهم خاصة، دون أن تشمل جميع أهل حرف الكتابة من ذلك أنهم أباحوا لهم صرف ما لا ينصرف في الشعر وتسألهم لماذا هذا التسامح مع الشعراء بالذات؟! فتأتي الإجابة في قولهم: للشعر ضرورة وأحكام، ونحن نقول: إذا كان للشعر ضرورة وأن صرف ما لا ينصرف جائز في لغة الشعر. فإن هناك قاعدة نحوية هي من أهم القواعد عند النحويين بل هي التي لا يجوزون فيها قولان كما يقال في تحليل بعض التعريفات. ألا وهي عدم دخول لام التعريف على الفعل مطلقاً لكن الشعراء عمدوا إلى نقض توثيق النحاة لتلك القاعدة فأدخلوا الألف واللام التي هي مقصورة على تعريف الاسم فقط. فهذا الشاعر الفرزدق المعاصر لعلماء النحو لم يعترف بتلك القاعدة إذْ أدخل الألف واللام على الفعل بقوله:

ما أنت بالحكم الترضى حكومته

ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل

ولهذا البيت حكاية أوردها صاحب كتاب «أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك» وهي أن الفرزدق هجا بهذا البيت رجلاً من بني عذرة، وكان هذا الرجل قد دخل على عبد الملك بن مروان يمدحه وعند

رفع المسهم

عبد الملك. جرير والأخطل والفرزدق وهو لا يعرفهم فعرف عبد الملك الأعرابي بهم. فقال على الفور:

فحيا الإله أبا حزرةٍ
وأرغم أنفك يا أخطل
وجد الفرزدق أتعس به
ودقّ خياشيمه الجندل

فقال له الفرزدق:

يا أرغم الله أنفاً أنت حامله
يا ذا الخنى ومقال الزور والخطل
ما أنت بالحكم الترضى حكومته
ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل

ولما أدخل الفرزدق الألف واللام على الفعل كما نرى أسقط في أيدي النحاة فراحوا يلتمسون مدخلاً يجوزون به دخول الألف واللام على الفعل نزولاً لسلطان الشعر. فقالوا: إن الألف واللام التي في «الترضى» هي بمعنى «الذي» وهذه حالة جائزة لمعنى الاسم الموصول.

وممن حذا حذو الفرزدق الشاعر محمد بن محمد الغزي المتوفى سنة ٩٧٩هـ الذي يقول: «وأنت حاكمها الترضى حكومته»[1] وأعود إلى الفرزدق لأذكر شيئاً من هجائه:

ألم تزني قشرت بني قشير
كقشر عصا المنقع من معال

---

(١) ونص البيت كاملاً هو:
وأنت حاكمها الترضى حكومته وإنما العدل في الإنصاف منه يرى

رفع عبد الرحمن الهادي

وما شيء بأضيع من قشير
ولا ضأن تريع إلى خيال

تراهم حول خيرة من يتيم
وأرملة تموت من الهزال

وقد تحظى اللئيمة بعد فقر
وتعطى الرزق من ولد ومال



رفع المسهم

الثعالبي. لقب وليس اسماً لأبي منصور!!

واسم الثعالبي عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري. ولد عام ٣٥٠هـ بنيسابور وهي يومئذ قلعة من قلاع العلم والمعرفة، وتوفي عام ٤٢٩هـ والذين ترجموا السيرة الذاتية للثعالبي قد أشاروا إلى أنه لم يكن من بيت رفيع أو صاحب حسب يتطاول به ويصل عن طريقه إلى مجده وإنما كان من بيت يشتغل أهله بحرفة خياطة جلود الثعالب ونسب إليها أو لقب بها بالأصح.

والثعالبي لم يعط حقه كغيره من علماء اللغة والأدب خاصة في ذكر المناقب والإشادة بمؤلَّفاته ونشاطاته ومصنفاته إلّا في إشارات أو تلميحات قصيرة.

وإن شخصاً تنوف مؤلَّفاته على ٩٥ كتاباً لجدير بالدراسة والبحث والتنقيب عن مآثره ومناقبه. قالت الدكتورة ابتسام مرهون الصفار أثناء تقديمها لكتاب الثعالبي «الاقتباس من القرآن الكريم»: إن للثعالبي ٩٥ مؤلَّفاً وذكرت أسماءها ولعل أشهر كتبه «يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر» و«خاص الخاص» و«ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» و«التمثيل والمحاضرة» و«الإعجاز والإيجاز» و«سحر البلاغة وسر البراعة» و«تحسين القبح وتقبيح الحسن» و«لطائف اللطف» و«المبهج» و«أحسن ما سمعت» و«المتشابه» غير أن الذي ذكر من مناقبه لم يتجاوز سطوراً قليلة من أقلام قليلة. إلّا أنها سطور نستطيع أن نصفها بأنها مركزة التعبير وذات بلاغة فيها بعض التعويض عن التطويل الذي يستحقه الثعالبي. من ذلك قول تلميذه الشاعر علي بن الحسن الباخرزي صاحب كتاب «دمية القصر» الذي قال: الثعالبي هو حافظ نيسابور وزبدة الأحقاب والدهور. لم ترَ العيون مثله ولا أنكرت الأعيان فضله إلخ هذه العبارات السجعية. وقول ابن بسام صاحب «الذخيرة في محاسن أهل

رفع
المسـ هما

الجزيرة»: كان الثعالبي في وقته راعي تلعات العلم. وجامع أشتات النثر والنظم، رأس المؤلِّفين في زمانه وإمام المصنفين بحكم أقرانه.

ولا أنسى هنا أن أشير إلى أن الثعالبي شاعر مجيد وله ديوان شعر مطبوع. ولقد كان بودِّي أن أنقل شيئاً مما قاله أو نقله ولكن أخذي بمبدأ عدم الإطالة في الموضوع منعني من ذلك وسوف إن شاء الله أتناول شيئاً من ذلك في موضوعات أخرى. واستدلالاً على أنه شاعر أنقل هذه الأبيات من قصيدة له قوامها ١٣ بيتاً قالها في الأمير أبي الفضل الميكالي:

يا من كساه الله أردية العلى
وحباه عطر ثنائها المتضوع

وإذا نظرت إلى محاسن وجهه الـ
مسعود قلت لمقلتي فيها ارتعي

وإذا قريت الأذن شهد كلامه
قلتُ اسمعي وتمتعي وارعى وعي

فكأنما يُوحي إلى خطراته
في مطلع أو مخلص أو مقطع

لك في المحاسن معجزاتٌ جمّة
أبداً لغيرك في الورى لم تجمع

بحران: بحر في البلاغة شابه
شعر الوليد وحسن لفظ الأصمعي

وترسل الصابي يزن علوّه
خط ابن مقلة ذي المحل الأرفع

كالنور أو كالسّحر أو كالبدر أو
كالوشي في برد عليه موشّع

رفع المسيّهما

الراتب وسوء التدبير!!

وسوء التدبير الذي يحصل من بعض الأزواج في بيوتهن أمر يلحق برب الأسرة ضرراً مادياً. والذي يشعر بالضرر أكثر من غيره هو صاحب الدخل المحدود كالموظف وغيره من أصحاب الرواتب والأجور المحدودة خاصة إذا كان في بيته زوجة لا تبالي بما هو عليه من حالة تحكمها تلك المحدودية للدخل فيضيع معاشه ما بين مصروف ضروري لا مفرّ منه. وبين مشتريات كمالية تفرضها الزوجة غير المعوان على زوجها.

ومن الزوجات التي تساعد على جلب الفقر لزوجها هي تلك التي تعد أيام الشهر بأصابع أكفها يوماً يوماً انتظاراً لليوم الذي يصرف فيه راتب زوجها لتأخذ منه نصيبها فتشتري من الكماليات ومما لا تدعو إليه الحاجة الشيء الكثير.

ولقد لفت هذا التصرف السيء من بعض الزوجات أنظار الكثير من أصحاب الأقلام. وخاصة منهم الشعراء الذين راحوا يحاولون بقدر المستطاع معالجة هذه الظاهرة التي لا تستند إلى مبرر عقلي أو فكري.

ومن أولئك الشعراء الذين عالجوا هذا الموضوع الشاعر أحمد سالم باعطب حيث صور تلك الحالة في قصيدة قوامها خمسة عشر بيتاً وقد تضمنها ديوانه «الروض الملتهب» وجعل عنوانها «الموظف والراتب». منها قوله:

إذا ما أدبرت عشر فعشر
وشم الجيب رائحة المعاش

رفع المسهم

أعدتْ زوجتي كشفاً مليئاً
بأسماء الجديد من القماش
وقائمة بما ترجوه حتماً
لمنزلها العتيق من الرياش
وإن ما هلّ يومُ الصرف طرنا
إلى الصندوق نركض كالمواشي
وأستلم النقود بكل بشر
وزهو في السريرة وانتعاش
أكرر عدها بيدي حريص
ووجه مشرق البسمات باش
وأشرق حين أبصرها بريقي
وتصطك المفاصل لارتعاشي
ونرجع والحوافظ متخمات
كما تأوي الطيور إلى العشاش



رفع المسـهم

الإنسان يؤثر في الطبيعة بفعله وفكره!!

ولقد جدّ الإنسان منذ فجر تاريخه على هذه الأرض في تعضيد فكره بقوته الجسدية فعمل واخترع وأنجز، بل أثر بصفة عامة في الطبيعة بفعل يده العاملة وتفكيره الدائب. فلا تكاد تقف اليوم على معلم من معالم الأرض إلَّا وتجد ليد الإنسان فيها أثر، بل اجتاز الأرض إلى بعض النجوم والقمر. فهو لا يتوقف عن الحفر والدفن والبناء. ومعالجة كل شيء على سطح هذه الأرض فاستخلص منها زينته ولباسه، وطعامه، وروّض كل ما فيها وطوّع كل صعب على وجهها وخاض غمار البحار وصرف مياه الأنهار وهدّ الجبال وعَمر السهول.

وحيال قوته الجسدية التي تحقق تفكيره الحسي أمعن في القول والتفلسف في مفهوم تفكيره بواقع تنفيذه. ومن تلك الفلسفات التي يصور بها تعامله مع الطبيعة ما جاء في قصيدة شيخ الجامع الأزهر محمد الخضر حسين بن علي بن عمر المتوفى سنة ١٣٧٧هـ والتي ضمنها ديوانه «خواطر الحياة» الذي حققه الأستاذ علي الرضا التونسي. وكان عنوانها «أيُّها الإنسان» أما مجموع أبياتها فقد بلغ ستة عشر بيتاً منها قوله:

أما كفاك ظباءاً أو مها بربي
حتى تقنصت آساد الشرى بزبى

وما قنعت بما يطفو على لجج
فغصت تلقط دُرَّاً تحتها رسبا

رفع المسـ هما

ومنها قوله:

صغت الحديد مطايا إذ تلبثت الـ
ـجيادُ أو لقيت من سيرها نصبا

واشتقت نجوى اليف فاهتديت إلى
ما يمتع السمع منها أينما ذهبا

حكى الصدى صيحة رجت فجئت بما
يحكى القصائد أنى شئت والخطبا

ما ضاقت الأرض يوماً عن خطاك لما
صعدت في الجو تحكي الطير والسحبا

ومنها قوله:

حب الحياة استثار العزم منك إلى
طُبٍّ وحرب فكنت البرء والوصبا

أرسلت في كل وادٍ رائداً فدرى
بحكمة البحث كنه الأمر والسببا



الغواية ثمرة من ثمرات هوى النفس والشيطان!!

وإذا كانت الحسابات المالية تتطلب مراجعة دورية لمعرفة ميزان الأرباح والخسائر فإنه من الأولى بالإنسان الذي يمتلك عقلاً إدراكياً أن يستوقف نفسه ويسألها إن هو أوجس منها خيفة أو ريبة. أو رآها تلوح له بارتكاب سوء أو أمرته بممارسة معصية مساءلة المحاسب لها عن أي توجه يسبب له خسارة في سمعته، أو يودي به إلى تهلكة تكون بداية الانطلاق من نحوها الخوض في الأوحال، والتسامح في ارتكاب الفواحش والآثام.

والعاقل هو الذي يلزم الحذر من نفسه حتى لا تنقله من سمو الأخلاق وفضائل الآداب إلى مواقع الشرور ومواطن الفسوق، والعاقل أيضاً هو الذي يدرك أن الشيطان يزين له الأفعال المشينة ويستحثه على ممارستها بأساليب معسولة وأوعاد مغرية. وإذا كان بعض هوى النفس لدى بعض الناس يتحد مع الشيطان في صنع المغريات التي تمهد السبيل نحو الانغماس في الفجور وتعاطي الخبائث فإن على صاحب تلك النفس المتحدة مع الشيطان أن ينتبه لذلك ويبحث عن مخرج من دائرة الزيغ والفجور التي اجتره إلى نقطة مركزها ذلك الاتحاد اللعين، ومفتاح بوابة الخروج قوله تعالى في سورة المؤمنون آية ٩٧ ـ ٩٨: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ (٩٨)﴾.

ونجد في الشعر الواقعي النابع من الناصح الصادق تحذيرات من الغواية التي هي ثمرة من ثمرات هوى النفس والشيطان. يقول الشاعر محمد طاهر الجبلاوي من قصيدة له عنوانها «الغواية»:

رفع المسيرهما

فهذا امرؤ قد غوى بعد عقل
فيا بؤس للعاقل المستهام

أضلته أهواؤه والصحاب
فجاءت سجاياه عكس المرام

إذا ما نهى النفس عن منكر
يعود وفيه إليه أوام

وما زال يخبط هذا الفتى
بعمياء سالكها لا يرام

وفي كل يوم له لاقف
من الموبقات شديد العرام

وها هو ذا جالس بعدما
تصادم والدهر أي اصطدام

ومنها قوله:

ومن أخذت نفسه دفعة
نصيب لذائذها والوئام

جدير به أن يعيش الحياة
ولا حظ بعد له في الأنام



رفع عبد الرحمن الهجري ... المسيرهما

شعراء لاموا دهرهم

والشعراء يجدون في لوم الدهر ملجأ إن لم يكن وسيلة للبوح بما يعانونه من قسوة الحياة التي تتمثل فيما يحصل لهم من فراق يتذوقون منه مرارة البعد عمن أحبوا. ولهذا نجد بعضهم يتهم الدهر بعدم الإنصاف بينه وبين من قد ألفه واستأنس بالبقاء إلى جانبه.

ومع علمهم بأن الدهر لا يملك نفعاً للإنسان ولا ضراً إلّا أنهم يعزون إليه ذلك من باب التجاوز في القول لا الاعتقاد به خاصة الشعراء غير الجاهليين من المسلمين.

ومن أولئك الذين اتهموا الدهر بعدم الإنصاف في فعله وتصرفه الشاعر الفارس أبي فراس الحمداني حيث يقول من قصيدة له:

أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا
تعالي أقاسمك الهموم تعالي

والشكوى من تكرار جور الدهر تأخذ عمقاً تأثيرياً في نفوس بعض الشعراء فيحصل منهم تذمرٌ مما يعانونه من مشكلات اجتماعية يعزون وجودها إلى قسوة دهرهم عليهم.

وممن شكا عدم مساعفة دهره له الشاعر الجاهلي عدي بن زيد حيث يقول:

فوّق الدهر إلينا نبله
عللاً يقصدنا بعد نهل

فهو يرمينا فلا نبصره
فِعْل رامٍ رامَ صيداً فختل

رفع المسٓهمٓ

رزق الصيد ولاقى غرة
فرمي مستمكناً ثم قتل

وقوله أيضاً متهماً الدهر بأنه يثني المؤمل عن آماله، بل يحول بينه وبين ما يهدف إليه من تطلعات.. أو يسلبه ما كان قد بلغه من أمنيات:

ربّ مأمول وراج أملاً
قد ثناه الدهر عن ذاك الأمل

وفتى من دولة معجبةٍ
سُلبتْ عنه وللدهر دول

ولأبي العلاء المعري فلسفة في تفسير مفهوم الدهر وطبيعته. فالدهر في نظره ما هو إلّا وسيلة بناء من ناحية، وأداة هدم من ناحية أخرى. وأنه عبارة عن مجموعة متراكمة يخلفها تتابع الليل والنهار. وهو بواقعه يفني ولا يفنى. ويبلي ولا يبلى. وأنه يأتي حيناً بالرخا وحيناً يكون مصدر ويل وبلاء. ويقول:

والدهر (إعدام) ويسر و (إبرام)
ونقض و (نهار) وليلْ

يُفني ولا يفنى ويُبلي ولا
يبلى ويأتي برخاء وويل



ما ينسب إلى زبيدة وما هي الأولى في اتخاذه

لقد كان لزبيدة بنت جعفر المنصور وزوجة هارون الرشيد آثار جليلة انتفع بها كثير من المسلمين، وبحكم مكانتها الاجتماعية ومقدرتها المالية أنشأت عدداً من المشاريع الخيرية التي ما زال الكثير منا ينسب إليها فمن ذلك مثلاً: عين زبيدة في مكة المكرمة حيث جلبت إليها الماء من أقصى وادي نعمان شرقي مكة المكرمة وأقامت له قنوات عظيمة حتى صب في مكة بنفقة تقدر بألف ألف وسبعمائة دينار.

ومما ينسب لزبيدة مسجد زبيدة أم جعفر ببغداد كان قريب مسجد الشيخ معروف الكرخي وقد اندرس سنة ١١٩٥ هجرية وكان هذا المسجد واسعاً رصين البناء قوي الأركان.

ولما بنى سليمان باشا الكبير والي بغداد سور الجانب الغربي استعملت أنقاضه في بناء السور ولم يبق سوى قبر زبيدة من ذلك المسجد وعليه قبة مخروطية الشكل من نوادر الفن المعماري. وينسب إليها بركة أم جعفر وهي في طريق مكة بين المغيثة والعذيب.

وذكر عمر رضا كحالة في كتابه «أعلام النساء» شيئاً مما هي الأول في اتخاذه فقال: وزبيدة أول من اتخذ الآلة من الذهب والفضة المكللة بالجوهر، وهي أول من اتخذ الشاكرية والخدم والجواري يختلفون على الدواب في جهاتها ويذهبون في حوائجها برسائلها وكتبها.

وهي أول من اتخذ القباب من الفضة والأبنوس والصندل وكلاليبها من الذهب والفضة، وهي أول من اتخذ الخفاف المرصعة بالجوهر وشمع العنبر.

ومما ينسب إليها من الشعر قولها عندما قتل ابنها محمد الأمين

رفع المسيهما

ودخل عليها بعض خدمها فقال: ما يجلسك وقد قتل أمير المؤمنين محمد فقالت: ويلك وما أصنع؟ فقال: تخرجين فتطلبين بثأره كما خرجت عائشة تطلب بدم عثمان، فقالت: لا أم لك ما للنساء وطلب الثأر ومنازلة الأبطال، ثم أمرت بثيابها فسودت ولبست مسحاً ودعت بدواة وقرطاس وكتبت إلى المأمون قصيدة منها:

لخير إمام قام من خير عنصر
وأفضل سام فوق أعواد منبر

لوارث علم الأولين وفهمهم
وللملك المأمون من أم جعفر

كتبت وعيني مستهل دموعها
إليك ابن عمي من جفوني ومحجري

وقد مسني ضر وذلّ كآبة
وأرق عيني يا ابن عمي تفكري

وهمتُ لما لاقيت بعد مصابه
فأمري عظيم منكر جدّ منكر

سأشكو الذي لاقيته بعد فقده
إليك شكاة المستهام المقهر

فإن كان ما أسدى بأمر أمرته
صبرت لأمر من قدير مقدر

تذكر أمير المؤمنين قرابتي
فديتك من ذي حرمة متذكر

وقيل: فلما قرأ المأمون شعرها بكى ثم قال: اللهم إني أقول كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لما بلغه قتل عثمان: والله ما أمرت ولا رضيت.

رفع المسهم

زبيدة.. هي أمة العزيز

وأمة العزيز بنت جعفر بن أبي جعفر بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم لقبها جدها أبو جعفر المنصور ب «زبيدة» لبضاضتها ونضارتها.

وقيل: إنه يرقصها في طفولتها ويقول: يا زبيدة فغلب ذلك على اسمها وأصبحت لا تعرف إلّا به. وهي إحدى الثلاث العربيات اللاتي هن أمهات لثلاثة من بين خلفاء بني العباس فهي أم محمد الأمين الذي تولى الخلافة بعد هارون الرشيد. وقال فيه أبو العتاهية مهنئاً له بالخلافة ومعزياً له في وفاة والده الخليفة هارون الرشيد:

العين تبكي والسن ضاحكة
فنحن في مأتم وفي عرس
يضحكنا القائم الأمين وتُبْـ
كينا وفاة الإمام بالأمس

وقد أشرت إلى ذلك بشيء من التفصيل في الجزء السادس تحت عنوان «ثلاثة وثلاثة».

قال ابن خلكان في كتابه «وفيات الأعيان» نقلاً عن المصادر التي أشار إليها في ترجمته لزبيدة. أنها سقت أهل مكة بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار، وأنها لما أرادت أن تجلب الماء من الحل إلى الحرم قال لها وكيلها: يلزمك لهذا نفقة كثيرة. قالت: اعملها ولو كانت كل ضربة فأس بدينار. فبلغت النفقة ألف ألف وسبعمائة دينار.

رفع المسبهم

قال الطبري في تاريخه: أعرس بها هارون الرشيد في يوم الجمعة سنة ١٦٥هـ في قصره المعروف بالخلد. وحكي أنها استدعت الأصمعي وقالت له: إن أمير المؤمنين استدعاني وقال: هلمي يا أم نهر فما معنى ذلك؟ فقال لها: إن جعفراً في اللغة هو النهر الصغير. وأنت أم جعفر.

وقد وصفها عمر رضا كحالة في كتابه «أعلام النساء»: أنها سيدة جليلة ذات يد طولى في الحضارة والعمران والعطف على الأدباء والشعراء والأطباء. ومن ذوات العقل والرأي والفصاحة. ولقد تقدم الكلام عن جانب من حياة زبيدة تحت عنوان «ما ينسب إلى زبيدة وما هي الأولى في اتخاذه».

ولما قتل ابنها محمد الأمين بسبب الخلاف الذي بينه وبين أخيه عبد الله المأمون رثته بهذه الأبيات:

أودي بألفين من لم يترك الناسا
فامنح فؤادك عن مقتولك الباسا

لما رأيت المنايا قد قصدن له
أصبن منه سواد القلب والراسا

فبتُّ متكئاً أرعى النجوم له
أخال سنته في الليل قرطاسا

والموت كان به والهم قارنه
حتى سقاه التي أودى بها الكاسا

رزئته حين باهيت الرجال به
وقد بنيت به للدهر آساسا

فليس من مات مردوداً لنا أبداً
حتى يردّ علينا قبله ناسا

جانب من أدب زبيدة

وصلةً لما كتبته عن زبيدة في هذا الجزء تحت عنوان «ما ينسب إلى زبيدة وما هي الأولى في اتخاذه» و«زبيدة أمة العزيز» أرى أن أنقل شيئاً مما كتب عن أدبها وذكائها وفطنتها: قيل: إنَّ زبيدة وقعت في ظهر كتاب ورد إليها من أحد عمالها. أن أصلح كتابتك وإلّا صرفناك عن عملك. فتأمله ذلك العامل فلم يظهر له شيء فعرضه على بعض إخوانه فرأى في الدعاء لها قوله: وأدام كرامتك، فقال له: إنها تخيلت أنك دعوت عليها فإن كرامة النساء دفنهن. فغير ذلك وأعاد الكتاب إليها فقبلته.

قال البغدادي في تاريخه: إن زبيدة قالت للمأمون عند دخوله بغداد: أي بعد أن قتل ابنها محمد الأمين. أهنئك بخلافة قد هنأت نفسي بها عنك قبل أن أراك ولأن كنت قد فقدت ابناً خليفة لقد عوضت ابناً خليفة لم ألده وما خسر من اعتاض مثلك ولا ثكلت أم ملأت يدها منك وأنا أسأل الله أجراً على ما أخذ وإمتاعاً بما عوض.

روى ابن خلكان وغيره أن عبد الله بن المبارك رأى زبيدة في المنام فقال لها: ما فعل الله بك؟ قالت: غفر لي الله بأول معول ضرب في طريق مكة. وذكر ابن كثير في «البداية والنهاية». أنها رؤيت في المنام فسئلت عما كانت تصنعه من المعروف والصدقات وما عملته في طريق الحج فقالت: ذهب ثواب ذلك كله إلى أهله وما نفعنا إلّا ركعات كنت أركعهن في السحر. وذكر ابن خلكان وغيره أن زبيدة توفيت ببغداد في جمادى الأولى سنة ٢١٦هـ.

وكما هو معروف فزبيدة زوجة هارون الرشيد أعرس بها سنة ١٦٥هـ ولما ولدت محمداً الأمين قال مروان ابن أبي حفصة:

رفع
المسيرهما

لله درك يا عقيلة جعفر
ماذا ولدت من الندى والسؤدد

إن الخلافة قد تبين نورها
للناظرين على جبين محمد

إني لأعلم إنه لخليفة
إن بيعة عقدت وإن لم تعقد

وقيل: إن زبيدة أرسلت إلى أبي العتاهية أن يقول على لسانها أبياتاً يستعطف بها المأمون بعد أن آل إليه الأمر بمقتل ابنها محمد الأمين فأرسل هذه الأبيات:

ألا إن صرف الدهر يدني ويبعد
ويمتع بالآلاف طراً ويفقد

أصابت بريب الدهر مني يدي
فسلمت للأقدار والله أحمد

وقلت لريب الدهر إن هلكت يد
فقد بقيت والحمد لله لي يد

إذا بقي المأمون لي فالرشيد لي
ولي جعفر لم يفقدا ومحمد

فسيرتها له: فلما قرأها المأمون استحسنها وسأل عن قائلها فقيل له: أبو العتاهية فأمر له بعشرة آلاف درهم. وعطف على زبيدة وزاد في تكرمتها والبر بها.

وأبو العتاهية دائماً يذكر المنايا وصروف الدهر في أشعاره ومطالع قصائده. من ذلك قوله:

تريد بقاءً والخطوب تكيد
وليس المنى للمرء كيف يريد

رفع المسهم

شيء من أخبار زبيدة!!

وحياة زبيدة بنت جعفر بدأت بزواجها من ابن عمها هارون الرشيد سنة ١٦٥هـ وانتهت بوفاتها في بغداد سنة ٢١٦هـ تعدّ حياة حافلة بالأعمال الخيرة.

وقد أتيت على ذكر شيء من ذلك فيما تقدم من موضوعات في هذا الجزء وحيث أن مواصلة الحديث عنها فيه شيء من المتعة فها أنذا أنقل هنا بعضاً من أخبارها من عدة مصادر أهمها «أعلام النساء» لعمر رضا كحالة. إذ قال: كانت زبيدة تعطف على الطبيب الشهير جبرئيل بُختيشوع فعينت له راتباً شهرياً قدره خمسون ألف درهم.

ولم يقتصر عطفها على الشعراء وحبها لهم، بل شمل الفقراء والمساكين وأرباب التقوى والصلاح والعلماء.

قال ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: كان لزبيدة مائة جارية يحفظن القرآن. ولكل واحدة وِرْد: عُشرُ القرآن. وكان يسمع في قصرها كدوي النحل من قراءة القرآن.

وفي كتاب «الأغاني» لأبي فرج الأصبهاني أنه لما قال سلم الخاسر في الرشيد حين عقد البيعة لابنه من زبيدة محمد الأمين:

قد بايع الثقلان في مهدي الهدى
لمحمد بن زبيدة ابنة جعفر
ولَّيته عهد الأنام وأمرهم
فدمغت بالمعروف رأس المنكر

رفع المسلم

أعطته زبيدة مائة ألف درهم. وفي «وفيات الأعيان» أنه وقع بين الرشيد وبين زبيدة فتهاجرا فعمل داود بن رزين مولى عبد القيس شعراً هو:

زمن طيب ويوم مطير
هذه روضة وهذا غدير

إنما أم جعفر جنة الخلـ
د رضاها والسخط منها السعير

أنت عبد لها ومولى لهذا الـ
خلق طراً وليس في ذا نكير

فاعتذر يا خليفة الله في الأر
ض إليها وتركُك ذاك كبير

فصار إليها عندما وقف على الأبيات. وسألت زبيدة عن سبب مجيئه فعرفت وأوصلت إلى داود مائة ألف درهم في وقتها وأضعافها بعد ذلك.

قال عمرو بن بانة: كنا في دار أم جعفر جماعة من الشعراء والمغنين فخرجت جارية لزبيدة وكمها مملوء دراهم فقالت: أيكم القائل:

من ذا يعيرك عينه تبكي بها
أرأيت عيناً للبكا تعار

فأُومِئَ إلى العباس بن الأحنف فنثرت الدراهم في حجره فلقطها الفراشون ثم دخلت ومعها ثلاثة نفر من الفراشين في عنق كل فراش بدرة فيها دراهم فمضوا بها إلى منزل العباس بن الأحنف والعباس بن الأحنف هو القائل:

أتأذنون لصب في زيارتكم
فعندكم شهوات السمع والبصر

رفع المسيهما

رمز.. ثم توضيح وتصريح!!

هي.. ومن هي.. يا ترى؟. أنا لا أريد أن أبوح باسمها لأنها أشهر من نار على رأس علم.

وقد يقول قائل: لماذا تلجأ إلى الرمزية منذ البداية في مخاطبتك لها؟ فأقول له مجيباً: لنجرب السير في طريق شعراء الحداثة. ومن يزعمون أنهم أعلام الشعر الحر الذي قد يسبون أنفسهم به من شدة الغلو في الرمزية وهم لا يعلمون. فأقول وبأسلوبهم: أفٍّ لها لقد جهلتني، ومن سوء أدبها أن تجهل من لا يجهلها. مع علمها التام بأن الحياة يسيرها مقود المجازاة بدءاً بالتهادي والتحايا وانتهاء بالتغابن والتهاجي وتبادل الصفعات.

وقد تقولين: إنني حاقد عليك حينما تسمعين مقالتي هذه. وهذا قول لا صحة له لبعده عن الصواب لأنك أشبه ما تكونين بالسفينة التي يؤدي جهل بعض ربابنتها إلى تخبطها فوق سطح الماء ولو التفت نحوي وأنت في وضعك التمرجحي هذا لرأيت مني ضحكة الساخر ونظرة المستغرب.

يا هذه. إن افترضت أن لك عيناً فهي لا تعشق إلّا المظهر. أما المخبر فإن ميكانيكية عقلك قد أفسدها من جهل فنية تركيبك الجزئي فوهت قوتك بهذا السبب.

إن الناس يا هذه يأتي عليهم أعياد فيجددون ملابسهم وتتجدد مشاعرهم. والطفل الذي كان بالأمس طفلاً نراه اليوم قد صار رجلاً. وأنت في حالة ركود سرمدي. تجرين خلاله أسمالاً مللنا من رؤية ارتدائك لها.

رفع المستهمر

إنني في كل يوم ألتفتُ إليك لأرى فيك بريق الصبا ونضارة الشباب فما أرى غير تجاعيد العجوز وهيئة الهالك. يا هذه لا تظنين أننا مع عدم رضانا عنك نغفل عن متابعة تحركاتك فالأسمال التي تريدينها كل يوم تجلب لنا الضحك الساخر من هيئتك.

يا هذه: إن كنت تزعمين أنك وكر لمن يحلق. فلماذا أصبحت في حالة وسطية بين الوكر والجحر. أقول هذا، وأنا أخشى أن تصبحي مرتعاً أو مريضاً لذوات الست والأربع. ويهجرك عاشق القمم والذؤآبات.

وبعد هذا المشوار الرمزي الذي لم يخرج منه القارئ بنتيجة سوى مخاطبة ذلك العلم المؤنث الذي أمعنت في لومه وزدتُ في عتابه. أرى أن أقرب الصورة في إطار توضيحي فأقول: كفى إمعاناً يا صاحبة الجلالة في استقطاب هذا الحشد الذي تتضاءل فيه نسبة المؤهلين للانتماء إلى حاشيتك وبلاطك. واسمعي قول الشاعر ناجي الحرز وهو يشكو مما لاقاه من عدم المبالاة بما يكتبه لإحدى بناتك (المجلة):

آه يـــا أهـــل الــــمـــجـــلـــة
أيـــهـــا الـــرهـــط الأجـــلّـــة

إن شـــكـــواي تـــطـــامـــت
مـــن شـــكـــا مـــن غـــيـــر عـــلـــه

ولـــقـــد ضـــج مـــن الـــتـــز
فـــار أهـــلـــي والأخِـــلّـــه

«واســـتـــقـــرت مـــن بـــكـــائـــي
ونـــحـــبـــي كـــل شـــلّـــه»

وانـــبـــرى لـــلـــذب عـــنـــي
كـــل (مـــطـــفـــوق) الـــجـــبـــلـــه

رفع المسهم

ومنها قوله:

أفـــمــــا آن لــــكــــم أن
تــنــشــروا الإنــتــاج كــلّــه

بــعــدمــا أســعــد بــعــض
مــنــه عــشــاق الــمــجــلّــه

وبــكــم أحــرز نــاجــي الــ
حــرز فــي الــعــلــيــا مــحــلــه

○ ○ ○ ○ ○

رفع
المسـهمـ

ابن عنين يرى الجمال في ضيق المقل!!

والشاعر المطبوع حينما يروق لعينه شيء ما فإنه يحسنه وإن لم يكن حسناً بطبيعته. بل إنه يجعل منه ما هو أحسن من الحسن.

ولقد أصاب من وصف الشعر بالسحر الذي يبهر العين. ويقلب بأسلوبه الفلسفي والبلاغي بعض المفاهيم التي تخضع بطبيعتها ومنهجها للتصوير والتعبير. أنه يضرب بِحِسَّين مؤثرين: حسٌّ رضائي يجعل من الوهد قمة. ومن الخامل ذا همة. ومن الجبان هازم الأقران.

وحِسٌ تسخطي يهدم السامق، ويجعل من الحبة قبة كما يقولون. فتراه يصف الكريم باللؤم. والمقدام بالخوف والذعر. والفطن بالغباء. فهو موافق لهواه ورضاه عن كل شيء بل إنه يُوْجِدُ مبررات يصرف بها النظر عن الواقع إذا لم يكن لذلك الواقع هوى في نفسه يعجبه. أو لم يرض عنه بصفة عامة.

ولو طرح في مجلس أدبي يضم نقّاداً سؤال حول العيون وطلب إلى الحاضرين القول في أيهما أجمل. العيون الحوراء الواسعة أم الضيقة لما تردد الجميع في القول بأن العيون الواسعة تنطق بالجمال وأن الضيقة تعبر عن القبح.

لكن الشاعر ابن عنين واسمه شرف الدين أبي المحاسن محمد بن نصر المشهور بابن عنين المتوفى سنة ٦٣٠هـ قد عكس ذلك المفهوم حيث صاحبه حس رضائي في الحديث عن صاحب العيون الضيقة فجعل منها عنواناً لكمال الجمال. وذلك بقوله:

رفع المسهم

لا تعرضنّ لضيّق المقل
فتبيتَ من أمنٍ على وجل
واترك ظباء الترك سائحةً
لا تعترض لحبائل الأجل
لا يوقعنك عذبُ ريقتها
أنا من سُقيتُ السمّ في العسل
من كل مائسة منعّمة
غرثى الأياطل فعْمَةِ الكفل
خطرتْ بمثل الرمح معتدل
ورنتْ بمثل الصارم الصّقِل
خودٌ تعثّر كلما رقصتْ
من شعرها بمسلسل رَجِلِ
بيضا تنظر من مضيّقةٍ
سوداء تهزأ من بني ثعل
وبليّتي من ضيق مقلتها
إن خيف فتك الأعين النجل



رفع
المسهم

الفحل.. لقب لعلقمة بن عبدة التميمي!!

وعلقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. وهو شاعر جاهلي شك في أنه أدرك الإسلام. ومعنى العلقم: الحنظل والقطعة منه حنظلة كما جاء في اللسان مادة علق.

وقد لقب بالفحل بسبب مناظرة جرت بينه وبين امرئ القيس، ورواية تلك المناظرة أن علقمة نزل بامرئ القيس فتذاكر الشعر وادَّعى كل منهما أنه أشعر من صاحبه. فقال علقمة: ليقل كلٌّ منّا شعراً وهذه الحكم بيننا يعني أم جندب زوج امرئ القيس. فقبلت بالتحكيم وقالت: قولا شعراً تصفان فيه الخيل على روي واحد وقافية واحدة فقال امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها:

خليلي مرّا بي على أم جندب
نقضي لبانات الفؤاد المعذب

فإنكما إن تنظراني ساعة
من الدهر ينفعني لدى أم جُندب

ألمترياني كلما جئت طارقاً
وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

وقد بلغ نحواً من ٦٦ بيتاً وهي موجودة في ديوانه الذي جمعه حسن السندوبي. وقال علقمة قصيدته التي مطلعها:

ذهبت من الهجران في كل مذهب
ولم يك حقاً كل هذا التجنب

ليالي لا تبلى نصيحة بيننا
ليالي حلّوا بالستار فَغُرّب

رفع المسـ هما

مـبـتـلّـةٌ كـأن أنـضـادَ حـلـيـهـا
عـلـى شـادن مـن صـاحـة متـربّـب

وقد بلغ نحواً من ٢٩ بيتاً وهي موجودة في ديوانه الذي جمعه الأستاذ عبد الرزاق حسين.

ثم أنشداها قصيدتيهما فقالت لامرئ القيس: علقمة أشعر منك. قال: كيف ذلك؟ قالت: لأنك قلت:

فـالـلـسـوط ألـهـوبٌ ولـلـسـاق درةٌ
ولـلـزجـر مـنـه أخـرج مُـهْـذب

فجهدت فرسك بسوطك ومريته بساقك. وقال علقمة:

فـأركـبـهـن ثـانـيـاً مـن عـنـانـه
يـمـر كـمـرّ الـرائـح الـمـتـحـلـب

فأدرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه لم يضربه بسوط ولا مراه بساق ولا زجره. قال: ما هو بأشعر مني ولكنك له وامق، فطلقها فخلف عليها علقمة فسمي بذلك الفحل.

ويقال: بل سمي بذلك تمييزاً له عن شاعر من قومه يقال له: علقمة الخصي. وهو علقمة بن سهل أحد بني ربيعة ويكنى أبا الوضاح. وكان بعمان وسبب خصائه أنه أسر باليمن فهرب فظفر به. ثم هرب مرة أخرى فأُخذ فخصي، فهرب ثالثة وأخذ جملين يقال لهما: عوهج وداعر. فصارا بعمان. فمنها العوهجية والداعرية. وكان شهد على قدامة بن مظعون. وكان عامل عمر على البحرين بشرب الخمر. فحدّ عمر.

أما الأصمعي فقد قال: لقب علقمة بالفحل لأن كل من عارض شاعراً فغلب عليه سمي فحلاً. كما أن الشعراء الذين غلبوا من هاجاهم يلقبون بالفحول.

رفع
المسهم

القُبَّرَة أو القنبرة هو الباعث على حرب البسوس

ومن الإخباريين من يقول: إن طائر القُبرة كان هو السبب في قيام حرب البسوس التي دامت نحواً من أربعين سنة بين بني بكر وبني تغلب. ابني وائل.

قال ابن منظور في «لسان العرب»: القبرة بضم الباء. والقبرة بفتح الباء - والقُنْبرُة. والقُنْبَرة. والقنبراء. طائر يشبه الحمرة. وقال الجوهري: القُبَّرَةُ واحدة القُبَّر. وهو ضرب من الطير. وقد تجمع على قنابر.

يقال: إن كليب بن ربيعة خرج يوماً في حماه فإذا هو بقبرة على بيضها - والأكثر في الرواة. بحمرة على بيضها. فلما نظرت إليه صرصرت وخفقت بجناحيها. فقال لها: أمن روْعكِ أنت وبيضك في ذمتي. ثم دخلت ناقة البسوس إلى الحمى فكسرت البيض، فرماها كليب في ضرعها. والبسوس امرأة وهي خالة جساس بن مرة الشيباني، فوثب جساس على كليب فقتله فهاجت الحرب وماجت واستعر لهيبها بين أبناء ابني وائل. بكر وتغلب. وراح وقودها خلق كثير من القبيلتين.

وقد ذكرت طرفاً من أخبار تلك الحرب تحت عنوانين مستقلين أحدهما «على أن ليس عدلاً من كليب» والآخر «قربا مربط النعامة مني» وذلك في الجزء السادس من هذا الكتاب. ونعود إلى القنبرة التي كان توفير الأمن والحرية لها في حمى كليب السبب الرئيسي في نشوب تلك الحرب. حيث رأى بعضهم أن كليب بن ربيعة قال لما رمى الناقة في ضرعها كما تقدم:

يـا لـك مـن قـبـرة بـمـعـمـر
خـلا لـك الـجـو فـبـيـضـي واصـغـري

ونـقـري مـا شـئـت أن تـنـقـري
قـد ذهـب الـصـيـاد عـنـك فـابـشـري

لكن جمهور المحققين يرون أن القائل هو طرفة بن العبد. والسبب في ذلك أنه نصب فخاً للقنابر فلم تقترب منه وكأنها قد شعرت بخطره فطواه ومضى وهو يقول مخاطباً القنبرة بأبيات ثلاثة هي موجودة في ديوانه الثاني والثالث بهدا النص:

قـد رفـع الـفـخ فـمـاذا تـحـذري؟
ونـقـري مـا شـئـت أن تـنـقـري

قـد ذهـب الـصـيـاد عـنـك فـأبـشـري
لا بـد يـومـاً أن تـصـادي فـاصـبـري

وعن حرية الطير يقول أبو القاسم الشابي:

يـا أيـهـا الـشـادي الـمـغـرد هـهـنـا
ثـمـلاً بـغـبـطـة قـلـبـه الـمـسـرور

قـبـل أزاهـيـر الـربـيـع وغـنـهـا
رنـم الـصـبـاح الـضـاحـك الـمـحـبـور

واشرب من النبع الجميل الملتوي
مـا بـيـن دوح صـنـوبـر وغـديـر

واتـرك دمـوع الـفـجـر فـي أوراقـهـا
حـتـى تـرشـفـهـا عـروسُ الـنـور

فـلـربـمـا كـانـت أنـيـنـاً صـاعـداً
فـي الـلـيـل مـن مـتـوجّـع مـقـهـور

رفع المسهم

لقد أحسن ابن الكوفي صنعاً في ذكره للآثار

ورسم الصورة التراثية للماضي في سطور نثرية أو شعرية، يعدّ من الأهمية بمكان خاصة ونحن نعيش عصر تحول وتغير يوشك بحضارته الصناعية والتكنولوجية والمعمارية معالم الماضي بكل ما فيه من تراث مادي. فالمساكن الطينية وأدوات السقيا والفلاحة وأواني الطبخ وجميع الأثاث المنزلي الذي يغلب عليه طابع الصناعة اليدوية الوطنية لا بد أن يدرج في سطور على صفحة التاريخ ويوثق بالرسوم وجميع وسائل الإيضاح التي تصور هيأته أو تبقي على طابعه الأصلي ليكون خبراً حقيقياً وصورة واقعية مشهودة تنبذ أي شك في عدم وجوده.

والوصف للمكان الذي تتجه يد الحضارة إلى تغيير معلمه أمر يجب أن يكون في ذهن الكتّاب والمؤلِّفين والشعراء لتقرأه الأجيال القادمة. وتعلم منه أن هذا المكان قد كان في يوم من الأيام معلماً له صفة غير الصفة التي هو قائم عليها الآن. وأن صفته هي كذا وكذا.

ولقد أحسن ابن الكوفي واسمه أحمد سلمان حسن الصايغ من مواليد ١٣٢٤هـ.

قال الأستاذ مهدي محمد السويدان في دراسة قصيرة عن مساجلة ابن الكوفي لابن المقرب نشرتها مجلة الشرق في عددها ٥٩٩ السبت ٢ صفر عام ١٤١٢هـ أن أحمد سلمان لا يعرف إلّا بالكوفي لأن أباه قد سكن الكوفة بالعراق وأقام بها وقتاً غير قصير.

قلت: لقد أحسن الكوفي صنعاً حينما وقف إحدى قصائده على

رفع المسلم

ذكر قلعة القطيف وما كان حولها من معالم وآثار كذكر أسماء الآبار والبرك التي حولها. أذكر من تلك القصيدة قوله:

لـهـا فـي وجـوه الـبـر آبـار مـورد
غـزار إلـى الـوراء يـحـلـو شـرابـهـا

ففي شرقها بئر الجبيلة صالح
لغسل الأواني والقدور انسكابها

وبئر بقرب الكوت وسط براحة
يؤول إلى الخيل اسمها وانتسابها

وبئر فريق الخان غرباً محلها
لسقي فريق الخان عم انصبابها

وأشـهـرهـن الـمـغـيـبـوه غـزارة
عـلـى كـثـرة الـوراد طـام عـبـابـهـا

وفي الوارش المعروف ثمة بركة
شمالاً تجاه البحر ينساب سابها

تضاهي عيون السيح في جريانها
نـهـاراً ولـيـلاً بـالـنـسـاء اصـطـحـابـهـا

جزى الله أرباب المبرات خير ما
جزى أنفساً طابت وطاب اكتسابها



نوادر الأطباء. وقول في طبيب!!

وحيث أن كثيراً من الناس يجد في قراءة أو سماع النوادر متعة. فقد حاولت تطعيم كل جزء بما يتيسر لي من الطرائف والنوادر. وقد اشتمل هذا الجزء على عدة موضوعات حافلة بالنوادر والطرائف.

وفي هذا الموضوع سأورد شيئاً مما قرأته في كتاب «نثر الدر» لمؤلِّفه أبي سعد منصور بن الحسين الآبي المتوفى سنة ٤٢١هـ من نوادر الأطباء التي جاءت بالنصوص التالية:

قال ابن ماسويه لرجل شكى إليه قصوره عن الباءة: عليك بالكباب والشراب وشعر أبي الخطاب (يعني عمر بن أبي ربيعة لغزله).

قال أبو علقمة للطبيب: إني أجد في بطني قرقرة ومعمعة. قال: فأما القرقرة فضراط ينضج وأما المعمعة فلا أدري ما هي. قيل لطبيب: ما يذهب شهوة البطن؟ قال: زاجر من عقل. قال بعضهم: اعلم أنك تأكل ما تستمر به. وما لا تستمر به فهو يأكلك.

يقال: إن أردشير ومن تقدمه من ملوك الفرس كانوا لا يثبتون في ديوانهم الطبيب إلّا بعد أن يلسعوه أفعى ثم يقال له: إن شفيت نفسك فأنت طبيب حقاً وإن متّ كانت التجربة عليك لا علينا. وكان ملوك الروم إذا اعتل طبيب أسقطوه من ديوانهم. وقالوا له: أنت مثلنا.

جاء ماجن إلى طبيب فقال: أجد في أطراف شعري شبه المغص. وفي بطني ظلمة، وإذا أكلت الطعام تغير في جوفي. قال الطبيب: أما ما تجده من المغص في أطراف شعرك فاحلق رأسك ولحيتك فإنك لا تجد منه شيئاً، وأما الظلمة التي في بطنك فعلق على باب أستك قنديلاً

حتى لا تجدها. وأما تغير الطعام في بطنك فكل خرا واربح النفقة.

والطبيب الماهر المخلص هو ذاك يشاد بفعله ويخلد اسمه. أذكر أن الشاعر إبراهيم محمد الدامغ قال قصيدة في الدكتور علي المرتضى حينما قام بإجراء عملية جراحية أعادت لعين ابنه بصرها بعد أن فقدته. من تلك القصيدة قوله:

علّي أنت في فلك المعالي
ومثلك لا يدانى في الكمال

فأنت المرتضى في كل نهج
ونورك للبرية خير جال

مسحت بنور علمك كل ليل
وجزت بغيب حكمتك المجالي

أخذت من المسيح معين نطس
ومن موسى محاربة الضلال

فأنت من الغرائب في انطلاق
وخلق المستحيل من المحال

تجاوزت العقول بكل سبق
وجزت الحاذقين بلا جدال

فكفك لا يلامسها ضرير
ويرجع دون نور واعتدال

تطارد عاصي الأدواء نطساً
فتهزمه بعلمك والنضال



قصيدة ذات توطئة

والقصيدة بالطبع هي للشاعر والمفكر الإسلامي سيد قطب أما توطئتها فتقول:

اعتاد سيد قطب أن يتردد كثيراً على وادي الموتى في أوقات مختلفة أكثر ما تكون عند مغرب الشمس، وقبل طلوعها، وهو يجد في هذه الزيارات لذة غريبة كما يجد مجالاً لتأملاتٍ غير محددة ولكنها تثير فيه الشوق لمعاودتها كرة أخرى.

وفي مرة منذ ستة أعوام أرق في الهزيع الثاني من الليل فجال بخاطره أن يلجأ إلى حمى الموتى. مدفوعاً بشعور غامض لا يبالي وحشة مثل هذه الأماكن في جنح الليل المدلهم.

وسار خطوات ولكنه أحس بالرهبة وساوره الوجل وشعر كأنَّ أصواتاً من وراء الحفائر تتناجى. ثم توجه إليه الخطاب. وقد عاد صامتاً واجماً. وبعد أن ذهب عنه الروع حاول أن يفسر عن طريق الوعي والتأمل ما دفعه لهذه الرحلة. وما شعر به في أعماق نفسه ولقد ظل يعجز عن ذلك كلما حاول مدى ستة أعوام حتى استطاع في هذا العام أن يترجم هذا الشعور بعد أن فقد كثيراً من روعه ووصل إلى الدرجة التي يستطيع بها التعبير. فنظم هذه القصيدة التي تبلغ نحواً من ستين بيتاً منها قوله:

من الطارق الساري خلال المقابر

كخفقة روح في الدنات عابر

هذا سؤال أهل القبور له. أما إجابته فهي قوله:

رفع
المسهم

هو الشاعر الملهوف للحق والهدى
ولـلـسـر لـم يـكـشـفـه ضـوء لـنـاظـر

تحيّر في سر الحياة وما اهتدى
إلـيـه ولـم يـقـنـع بـتـلـك الـظـواهـر

ويسأله مرة أخرى ذلك الصوت الذي يسمعه ولا يرى شخصه قائلاً له:

من الطارق الساري خلال المقابر
فـاقـلـق مـنـا كـل غـاف وسـاهـر

ويعقب هذا السؤال شيء من التذمر من الأحياء وبأنهم لا يتركوا الموتى حتى بعد موتهم في أبيات تزخر بالكثير من التساؤلات والتي من جملة الإجابات عليها قوله:

فقال أخو الأحياء والقلب خافق
من الوجل الأخاذ في صوت حاسر

أنا الجي لما يدر أسباب خلقه
أنا المدلج الحيران بين الخواطر

وبعد تحاور يقرر حقيقة وواقع الأموات والأحياء يختم سيد قطب قوله بأبيات منها:

وعاد أخو الأحياء يمطو بحسرة
ولـهـفـة مـحـروم وإعـيـاء خـائـر

لقد كان في الموتى وفي الموت مأمل
يـعـلـلـه بـالـكـشـف عـن كـل ضـامـر

ومن هذا المنطلق يحق لنا أن نتأفف على الذين يطبلون ويزمرون لأصحاب الحداثة الذين يحاولون قطع كل صلة بالماضي ظناً منهم بأنهم سيكونون أدباً ولغة لها علاقة أو صلة بأدب سابق. وما علموا أن تفكيرهم هذا سفاهة وتجنياً على ماض لم ولن يستطيعوا تناسيه أو إغفاله.

رفع المسهم

المقنع الكندي هو محمد بن عميرة

ووجد ترجمة للمقنع عند خير الدين الزركلي في كتابه «الأعلام». قال: المقنع الكندي هو محمد بن عميرة بن أبي شمر بن فرعان بن قيس بن الأسود بن عبد الله الكندي. شاعر من أهل حضرموت مولده بها في «وادي دوعن» اشتهر في العصر الأموي. وكان مقنعاً طوال حياته و«القناع من سيما الرؤساء» كما قال الجاحظ.

أما التبريزي فقد قال في تفسير لقبه: المقنع الرجل اللابس سلاحه. وكل مغط رأسه فهو مقنع. وزعموا أنه كان جميلاً يستر وجهه فقيل له: المقنع!.

وفي القاموس والتاج: المقنّع المغطّى بالسلاح أو على رأسه مِغْفَرَةٌ خوذة.

قال الزبيدي: وفي الحديث أن النبي ﷺ زار قبر أمه في ألف مقنع. أي: في ألف فارس مغطى بالسلاح.

وورد في اسم أبيه خلاف. فقيل: عمير، وقيل: ظفر بن عمير. وقد وقع اختلاف في تاريخ مولده ووفاته لعل أصوبها أنه توفي سنة ٧٠ من الهجرة وهذا الاستدلال من كونه قد أنشد شعراً بين يدي عبد الملك بن مروان الذي مات سنة ٨٦ للهجرة.

والمقنع الكندي كما تقدمت الإشارة إلى أنه شاعر. لم نجد له ديواناً مطبوعاً متداولاً ولكن شعره مبثوث في كتب الأدب مثل كتاب «الأغاني» لأبي فرج الأصبهاني. وكتاب «الحيوان» للجاحظ.

رفع
المسيهما

وفيه قرأت قصيدة طويلة روى الجاحظ أن هشام بن محمد السائب الكلبي قال: إن الكندي قد مدح فيها الوليد بن يزيد. وقد تضمنت عدة أبيات فيها وصفٌ للخط وللقلم أما ما امتدح به الوليد منها فقوله:

قالت لجارتها الغُزَيّلُ إذ رأتْ
وجه المقنّع من وراء لثامه

قد كان أبيض فاعتراه أُدْمةٌ
فالعين تنكره من إذْ هيمامِه

كم من بُويزِل عامها مهرية
سُرُحِ اليدين ومن بُويزل عامه

وهَبَ الوليد برحلها وزمامها
وكذاك ذاك برحله وزمامه

وقويرح عتد أعدّ لِنيِّهِ
لبنُ اللقوح فعاد ملء حزامه

وهَبَ الوليد بسرجها ولجامها
وكذاك ذاك بسرجه ولجامه

أهدى المقنعُ للوليد قصيدة
كالسيف أرهف حدّه بحسامه

وله المآثر في قريش كلها
وله الخلافة بعد موت هشامه



ما هو الوقت المناسب لارتكاب الخطيئة؟!!

والسؤال عن الوقت المناسب لارتكاب الخطيئة قد يكون مفاجئاً في هذا الموضوع. لا لأنه سؤال يجب إغفاله لتعلقه بالخطيئة التي يجب أن لا نبحث عن وقت ممارستها. وإنما لأن الخطيئة من حيث هي هدم للأخلاق وتدمير للبنية الإنسانية فلا يجب التعرف عليها ولا على الوقت المناسب لارتكابها. وحتى لا نلتمس فلسفة الإجابة على السؤال فإن الشاعر والمفكر الإسلامي سيد قطب قد كفانا مؤنة البحث عن الإجابة حيث حدد في إحدى قصائده التي حواها ديوانه «الشاطئ المجهول» الوقت الذي يكون للخطيئة فيه نشاط يمكنها من بث رسلها خلال ساعاته لتستقطب الخطائين. وتجرهم إلى أعماق يصعب عليهم العودة منها.

يقول سيد قطب: إن المرتع الخصب للخطيئة هو الظلام الدامس فغسق الليل ميدان لها.

ويقصد سيد قطب من هذا القول الوصول إلى الإشارة إلى أنه إذا لم تقاوم الغريزة التي يحركها سكون الليل وتقتل بالعبادة والتهجد فإنها وبلا شك موقظة فيه أحاسيساً تحمله على ارتكاب الخطيئة. وفي تأكيد سيد قطب على أن النور يحدّ من نشاط الخطيئة. وأن الظلام يعدّ من أقوى مطاياها إشارة إلى أن النور هو النور الإيماني الذي متى ما ملأ قلب الإنسان. وأضاء نفسه فإنه لا يخشى من غسق الظلام وصلف الخطيئة. ومن تلك القصيدة قوله:

من خلال الظلماء في بهمة الليل

تـمـشـت كـالـحـيـة الـرقـطـاء

رفع المسهم

توقظ الجسم والغريزة بالهمس
وتطغى على الحجا والذكاء

وهي من خشية الضمير توارى
في زوايا الميول والأهواء

فإذا شع من سناه شعاع
أرجفتْ منه وانزوت في التواء

وإذا خيّم الظلام تراءت
في احتراس من أعين الرقباء

لحظة تلك ثم خيم صمت
وظلام. فما ترى من ضياء

فمضت تضرم الغريزة ناراً
وتثير الشواظ بين الدماء

البدار البدار يا أيها الجسـ
ـم شفاء من الطوى والظماء



تصريح صحفي عن مؤتمر الحيوانات

علم بنو الإنسان أن عالم الحيوان عقد مؤتمراً يناقش فيه ما للحيوان من يد ذات فضل على الإنسان فبعث مندوباً لذلك المؤتمر. وبعد انتهاء أعمال المؤتمر أدلى المندوب بالتصريح التالي: لقد استعرض المؤتمر الحيواني جانباً عطلت فيه الآلة المخترعة ما كان يسديه من خدمات للإنسان بحيث لم يعد بحاجة إلى حمل متاعه على ظهر الحيوان أو ركوبه من مكان إلى مكان. الأمر الذي غير من الأسلوب الإنساني في التعامل مع الحيوان.

لكن الفقهاء والعلماء وأهل الرأي والحكمة من عالم الحيوان عارضوا الرأي القائل بأن الإنسان قد استغنى عن الحيوان وذلك باختراعه الآلة الميكانيكية، وأكدوا بأنه مهما يكن من تطور صناعي فإن هناك أموراً يكون للحيوان فيها فضل على الإنسان وملخصها. إن الإنسان عندما تحتبس حرية الكلمة في صدره وتضيق عليه سبل البوح بما في نفسه يلجأ إلينا فيقول على ألسنتنا أقوالاً يعالج بها ما يعايشه من محاصرة لحرية الكلمة. فلا يستطيع أحد أن يدينه بما يقول فهو يجعل من فئاتنا قضية يبث فيها كل شجونه ويغلّب فئة على أخرى بالصيغة التي يريدها والأسلوب الذي يختاره.

وانظر إلى كتاب «البغال» للجاحظ كيف جمع فيه من الأشعار التي جعل أصحابها من البغال مثلاً يضرب به في المهاجاة أو السخرية والتبرم، كيف لا وهذا شاعرهم ابن حنظلة بن حلوان بن خويلد الغنوي يقول:

رفع المسهم

فأما كلاب فمثل الكلا
ب: لا يحسن الكلب إلّا الهريرا

وأما نمير فمثل البغا
ل: أشبهن آباءهن الحميرا

وحسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ يقول ساخراً:

لا بأس بالقوم من طول ومن عرض
جسم البغال وأحلام العصافير

وشاعرهم ابن قيس الأسدي يقول ساخراً:

إن المذرّع لا تغني خئولته
كالبغل يعجز عن شوط المضامير(١)

وعمر بن أبي ربيعة يقول مبالغاً في وصف محبوبته:

هي الشمس تسري على بغلة
وما خلت شمساً بليل تسير

وفي ذكر ركوب نساء الأشراف البغال قال الجاحظ: لما أهديت ابنة عبد الله بن جعفر إلى يزيد بن معاوية على بغلة قال يزيد:

جاءت بها دهم البغال وشهبها
مسيرة في جوف قر مسير

مُقَابَلَة بين النبي محمد
وبين عليّ والجواد بن جعفر

منافية غراء جادت بودّها
لعبد منافيّ أغر مشهّر

(١) المذرّع: هو الذي أمّه أشرف من أبيه.

رفع المسهم

وفي حكايات «كليلة ودمنة» التي ترجمها عبد الله بن المقفع دليل على لجوء الإنسان إلى التحدث بألسنتنا والرواية عنا فإيّاكم أن تقولوا ليس لنا فضل على بني الإنسان. بل لنا أفضال وليس فضل. ودعوا عنكم خذل أنفسكم.



رفع المستهمل

القَبْرُ والمُقْبِر والقَابِرُ!!

والقبر هو كما هو في المعاجم: مدفن الإنسان وجمعه قبور ومصدره مَقْبَر. والمقبرة: موضع القبور. والمَقْبَرُ: موضع القبر. والقابر هو الدافن بيده أما المُقبر: بضم الميم وسكون القاف وكسر الباء فهو الآمر بالدفن قال تعالى في سورة عبس الآية ٢١: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾. أي جعله مقبوراً. وقال بعض العلماء: كان القبر مما أكرم به المسلم.

وفي اللسان أقْبَرَه: جعل له قبراً يوارى فيه ويدفن فيه. وأقبرته: أمرت بأن يقبر وأقبر القوم قتيلهم: أعطاهم إياه يقبرونه. والقبر هو الجدث والجمع أجداث. وقد يجمع على أجدُث وقيل: بالفا، لكنه كما قال ابن منظور لم يجمع على أجداف.

وقد استشهد بأحاديث على الجدث والأجداث منها «نبوئهم أجداثهم» أي ننزلهم قبورهم.

وقد فاته الاستشهاد بالآية الكريمة ٤٣ من سورة المعارج: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

والقبر هو حفرة بطول قامة الميت ويتراوح عمقها ما بين متر إلى متر ونصف وفقاً لطبيعة أرض المقبرة. ويوضع الميت من القبر في لحد في أسفله ـ واللحد هو الشق الذي يكون في جانب القبر كما نشهده وكما عرّفه ابن منظور في «لسان العرب». والقبر هو آخر ما ينتهي إليه الإنسان من موضع في الأرض ـ وفي الأثر: هو أول منزل من منازل الآخرة.

وقد ورد ذكر القبر في أغراض كثيرة من الشعر، فقد شبهوا سروج الخيل وعليها الفرسان بالقبور قال علاء الدين الحموي:

رفع المسهم

وفوق ظهور الخيل ماتوا فأصبحوا
وفي كل سرج فوقها لهم قبر

وقول الآخر:

ماتوا على تلك السروج مخافة
فكأن هاتيك السروج مقابر

ويقول أبو نواس:

إليك أتت بالقوم هوج كأنما
جماجمها تحت الرجال قبور

ويقول ابن نباتة واسمه جمال الدين بن نباتة المصري الفاروقي المتوفى سنة ٧٦٨هـ:

وما الناس إلا راحل بعد راحل
إذا ما قضى عصر مضى بعده عصر

تبدّتْ لدى البيدا مطايا قبورهم
ليعلم أهل العقل أنهم سفر

عجائب تعيي الناظرين وحكمة
ممنعة قد زل من دونها الفكر

ولكون كل مقبرة تكون خارج كل بلدة فإن كل خارج من البلدة أو قادم إليها لا بد أن يلاقيها أولاً وفي هذا المعنى يقول القاضي الفاضل:

المدن إن رجع المسا
فر أو إذا خرج المسافر

ما استقبلته وودعتـ
ـه بغير هاتيك المقابر

أي مثقف هذا الذي يغير العاصي.. بالمعاصي؟!!

والجهل وضحالة الثقافة. وقلة المعرفة. وعدم التورع من الظهور بمظهر العارف العالم يحمل بعضهم على تحوير العبارة الصحيحة إلى عبارة خاطئة. وفقاً لمفهومه الحسي الذي يعيش داخل إطار ضيق يحيط به وبنفسه وجميع مداركه.

كنا مجموعة نتجاذب أطراف الحديث في مجلس أدبي ضمنا. وقد رغبنا في الاستماع إلى قراءة أدبية. فكان من الصدفة أن واحداً منا معه ديوان (عمر يحيى) فطلب إليه قراءة قصيدة أو مقطوعة منه فأبدى موافقته وأخذ يفرد أوراق الديوان بين أصابعه فرداً يشبه في سرعته آلة عد النقود الورقية. ثم توقف عند إحدى الصفحات. وأخذ يقرأ قصيدة عنوانها: «يوم كانون الثاني» وتاريخ نظمها ١٩٣٦م. أما مطلعها فقوله:

ما كنت شاعر مدح عشت متخذاً
وسيلة لاصطياد المال أشعاري

حتى أتى هذا البيت:

يوم تطل على العاصي فواجعه
فتترك الجَلْدَ يشكو قلب محيار

فتوقف عنده وأخرج قلمه من جيبه وأجراه على بعض حروفه ثم أعاد قراءته بهذه الصيغة:

يوم تطل على المعاصي فواجعه
فتترك الجلد يشكو قلب محيار

رفع المسهم

وإذا به قد جعل (العاصي): ـ المعاصي ـ وهو النهر المعروف في سورية ظناً منه بأنه خطأ مطبعياً قد وقع في تلك الكلمة وأن صحتها ـ المعاصي ـ وقد جهل أنه بخطئه هذا قد كسر البيت وحور المعنى وغيره. بل أفسده.

قلت له: ما هكذا تكون الكلمة وقراءتك لها صحيحة من حيث المعنى واستقامة الوزن، أليس في سورية نهر يقال له العاصي؟ قال: لا أعلم ذلك. فقابلت إجابته تلك بالسكوت. وقلت في نفسي: تلك مصيبة. عربي يزعم أنه مثقف. ويجهل اسم نهر عربي مشهور ومضى يقرأ مقطع تلك القصيدة. ومنه هذه الأبيات التي تلي البيت السابق:

ما بين مستبسل في حب موطنه
يسعى إلى الموت زهواً سير أحرار

وناشئ لم يراعوا سنّه فغدا
ممدداً بين إخوان وأعزار

كأنما الأمل المرجو يبلغه
في موته منشداً: أدركت مضماري

ما بين جفنيه طيف الدار يصحبه
إلى الخلود إلى ظل وأنهار

والناس قسمان قلب بالعلى شغف
وآخر في المعالي غير كرّار

يرضى بعيشته النكراء متخذاً
من الخديعة ثوباً غير ستار

فآهٍ من بعض مثقفي زماننا كيف يحلو لهم أن يُلقَّبوا بالمثقفين وصاحبنا الذي غيّر العاصي بالمعاصي واحد منهم!!.

رفع المسبهم

المرقش. لقب لعمرو بن سعد

قال الأصبهاني في كتابه الشهير «الأغاني» المرقش لقب غلب عليه بقوله:

الـــدار وحـــش والـــرســـوم كـــمـــا
رقـــش فـــي ظـــهـــر الأديـــم قـــلـــم

ثم قال الأصبهاني: وهو أحد من قال شعراً فلقب به. واسمه فيما ذكر أبو عمرو الشيباني: عمرو. وقال غيره: عوف بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصين بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. قال: وهو أحد المتيَّمين. كان يهوى ابنة عمه أسماء بنت عوف بن مالك بن ضبيعة.

والبيت المتقدم هو من جملة أبيات من أصوات المائة المختارة التي قال عنها الأصبهاني: إنها برواية جحظة وهي:

الـــنـــشـــر مـــســـك والـــوجـــوه دنـــا
نـــيـــر وأطـــراف الأكـــف عـــنـــم

والـــدار وحـــش..... الـــبـــيـــت

* * *

لـــســـت كـــأقـــوام خـــلائـــقـــهـــم
نـــشـــر أحـــاديـــث وهـــتـــك حـــرم[1]

---

(١) نشر الحديث: إشاعته. العنم: شجر أحمر. وقيل: بل هو دود أحمر كالتساريع يكون في البقل في أيام الربيع.

رفع المسـهما

قال الأصبهاني: والأبيات من قصيدة قالها المرقش في رثاء عمٍّ له ومنها قوله:

بل هل شجتك الظعن باكره
كأنها النخيل من ملهم

ومن أخبار المرقش أنه كان من فرسان بكر بن وائل وهو القائل يوم قضة بالبكر بن وائل: أفي كل يوم قراراً. ومحلوفي لا يمر بي رجل من وائل منهزماً إلّا ضربته بسيفي وبرك يقاتل - فسمي - البرك يومئذ.

ولقد لفت الأصبهاني إلى أن هناك مرقشين، مرقش أكبر ومرقش أصغر.

فالأكبر هو الذي تقدم ذكر نسبه. أما الأصغر فهو ابن أخي المرقش الأكبر واسمه فيما ذكر أبو عمرو ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك وقيل: هو عمرو بن حرملة بن سعد بن مالك. وقيل: إنه أشعر المرقشين. وأنه أحد المتيمين وأنه كان يهوى فاطمة بنت المنذر وله معها قصة طويلة ومثيرة ذكرها الأصبهاني. ومن شعره فيها قوله:

أفاطم لو أن النساء ببلدة
وأنت بأخرى لابتغيتك هائماً

متى ما يشأ ذو الود يصرم خليله
ويغضب عليه لا محالة ظالماً

وآلي جناب حلفة فأطعته
فنفسك ولَّ اللوم إن كنت نادما

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره
ومن يغو لا يعدم على الغيِّ لائما

رفع المسهم

من دعابات ولذعات ابن عنين

ولما كان للدعابة واللذعة غير المؤلمة سوق في مجالس الأدب ساهم ابن عنين بقسط وافر في طرح الكثير من الدعابات واللذعات. وقد أوردت شيئاً منها تحت عنوان «لذعات في أبيات» وتحت عنوان «عقوق ولذعات مؤلمة» واستمراراً لذلك أورد هناك بعضاً من دعاباته وطرفه ولذعاته.

فمن لذعاته أن ابن عدلان واسمه عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان الموصلي النحوي المترجم. ولد سنة ٥٨٣هـ كان علامة في الأدب ومن أذكياء بني آدم تفرد بالترجمة وحل الألغاز وتوفي سنة ٦٦٦هـ كان يعير ب «الجرذان» فقال فيه ابن عنين:

شاورت بعض أخلائي وقلت له
أريد أودع كتبي نجل عدلان

فقال ذلك جرذان ومصلحة
أن لا يحط كتاب عند جرذان

قال في قضاة ثلاثة كل منهم اسم (بدر) أحدهم: بدر الدين مودود الشحنة. والآخر: بدر الدين حسن، والثالث بدر الدين قاضي اليمن، وهذا اسمه بدر الدين عبد الله بن عمر الدمشقي. ولد في دمشق في حدود سنة ٥٣٠هـ وتوجه صحبة نوران شاه بن أيوب إلى اليمن فولاه قضاء اليمن ثم عاد إلى دمشق ومات سنة ٦٢٦هـ. نقل هذه الترجمة خليل مردم بك. من طبقات الشافعية الكبرى للسبكي. يقول ابن عنين في أولئك البدور الثلاثة:

رفع المسيّهمل

بدران منكسفان من ضوء السها

لا ذاك مودود ولا هذا حسن

اثنان قد تركتْهما عرساهما

ذا أيّلاً سامي القرون وذا رسن

خانا فلو حكما على عين امرئ

سرقا بمكرهما من الجفن الوسن

فسألت هل لكما قرين ثالث

قالا نعم عرّج على قاضي اليمن

وقال في أحد القضاة أبياتاً منها:

أظهرت فضل تُقى وفضل تعفّف

والله يعلم أنه بهتان

ما طال في الليل البهيم سجوده

إلا كيرع فوقه السودان

قال محقق الديوان الذي سبقت الإشارة إليه: لعله يعني بذلك القاضي الفاضل عبد الرحمٰن بن علي اللخمي العسقلاني البيساني ولد سنة ٥٢٩هـ بعسقلان واشتهر في صناعة الإنشاء وحسن التدبير ومكارم الأخلاق كان وزيراً لصلاح الدين فأعجب به وتمكن منه غاية التمكن وتوفي بالقاهرة سنة ٥٩٦هـ. نقلاً عن «وفيات الأعيان».



استلال الأبيات من القصائد ماذا نسميه؟!!

نحن نقرأ كتيبات معنونة بأسماء يستدل منها على أن مادتها مستلة من ديوان شاعر. وذلك مثل «المطر في شعر... فلان» أو «البكاء في شعر... فلان» أو «الغزل في شعر... فلان» وهكذا.

وإذا تصفحناها وجدنا أنها مجرد أبيات تعني موضوعاً معيناً اختاره صاحبه وأخذ يرتبها حسب قوافيها ترتيباً أبجدياً وكأنما هو يعيد كتابة الديوان بصورة مختصرة. فهل هذا يسمى تأليفاً؟. أم دراسة؟. أم ماذا نسميه؟.

وأمام ذلك الكم الهائل من الكتيبات لا بدّ من وقفة نتتبع من خلالها جهد أصحابها. فإن كان أصحابها قد جعلوا من تلك العناوين قاعدة للمقارنة بين أبيات الشاعر الذي اختاروه وما يوافقها أو يطابقها من حيث المعنى والأسلوب من أقول شعراء آخرين. واتخذوا من مجموعها منطلقاً نقدياً فهو جهد يشكرون عليه. ودراسة تستحق منا القراءة.

أما إذا كان عملهم مجرد استلال أبيات ذات موضوع واحد للشاعر الذي اختاروه ثم أخذوا في رصدها وسردها دونما أي تعليق أو توفيق بينها وبين ما يماثلها من أقوال الشعراء الذين تقدموا على شاعرها أو تأخروا عنه أو عاصروه. وإن كان هناك شيء من التعليق فهو مقتبس من لهجتها وليس لهم أدنى فضل فيها، وهذا يعني أن عملهم مجرد تجميع محصور الجهد وقليل الفائدة، أقول: قليل الفائدة وليس معدومها لأنه جمع للقارئ أبياتاً ذات موضوع موحد قالها ذلك الشاعر الذي

اختاره. كأقواله في السيف أو الصديق أو الفقر أو الصدق أو الكذب أو ما إلى ذلك مما لا يغيب عن ذهن الشاعر وخياله.

ومن حشد تلك الكتيبات أختار كتيباً للدكتورة نعمات أحمد فؤاد عنوانه «المرأة في شعر البحتري» وهو مجرد حشد أبيات قالها البحتري في المرأة وعلقت عليها بعض التعليقات المأخوذة من أسلوب البحتري لكنه جهد تشكر عليه.

ومما أستله من أبيات تعني المرأة. هذه الأبيات وهي قوله:

بيضاء يعطيك القضيب قوامها
ويريك عينيها الغزال الأحور

وقوله:

لها بشر مثل الحرير ومنطق
وخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

وقوله:

ما أنصف العاذل في حبكم
بمثلكم من يبتلى يصبر

وقوله:

منّي وصل ومنك هجر
وفيّ ذلّ وفيك كبر

وقوله:

إني وإن جانبت بعض بطالتي
وتوهم الواشون أني مقصر
يشوقني سحر العيون المجتلى
ويروقني ورد الخدود الأحمر

رفع المسهم

وقوله:

ويوم تثنت للوداع وسلمت
بعينين موصول بلحظهما السحر

توهمتها ألوى بأجفانها الكرى
كرى النوم أو مات بأعطافها الخمر



كيف نكتشف المواهب
والطموحات لدى الأحداث؟!!

والبحث عن معرفة النفس ومالها من ذوق وطبع لدى الأحداث يتحقق للباحث من عدة طرق منها عشق الحدث لرسم الحيوانات المفترسة وكل ما هو ضخم من الأشياء التي يشاهدونها. ومنها تصويب النظر إذا كان في نزهة برية إلى قمم الأشياء كرؤوس الجبال وذؤآبات الأشجار.

ومنها محاولة الصعود إلى كل عال وكراهيّة الهبوط إلى الوهاد وكل منخفض من الأرض. وعكس هذا يستقر في الأحداث عن طريق خمول النفس الذي يدرك من ظاهرة تصويب النظر إلى الأشياء التي لا تتجاوز في علوها قامة الحدث. ولا ضخامتها حجم جسمه. ولا قوتها مقدرة قوته.

وإذا كان لكل جسم جاذبية. ولكل شكل تأثير فإن عشاق القمم ينجذبون نحوها ويستمتعون بالبقاء فوق شعافها. ويختارون من جهاتها الأحسن شكلاً والأجمل منظراً.

أما هواة الوهاد وزوايا مهابط الأرض ومنخفضها فإنهم يجدون راحة واستقراراً في أكنافها وإن سفت عليهم الرياح ناعم الأتربة الزاكمة وبخلت عليهم السماء بكامل مظهرها. والشمس بأشعتها والقمر بضيائه.

والعجب أنهم بالرضا ببقائهم فيها لا يقتدون حتى بالطيور التي لا تأوي إليها إلّا من خانه جناحه أو عثر به حظه أو أقعده ضعفه، فكأنما

رفع المسيّهما

هم بين الناس لتلك الفئة من الطيور، وقف الشاعر والمفكر الإسلامي الشهير سيد قطب. أمام قمة شامخة فرفع رأسه نحوها، وألقى نظره صوبها وخاطبها بقصيدة بلغ بها نحواً من خمسة وعشرين بيتاً منها قوله:

نظرتُ إليها وهي شماء تذهب
كما لاح في أفق السماوات كوكبُ

فأعجبني منها السموق وهالني
تطاولها والريح تطغى وتصخب

وطار خيالي فوقها ووراءها
يصوّر من أطيافها ـ ما تغيب ـ

عجائب لم تخطر على البال مثلها
ودنيا من الأحلام تزهو وتعجب

دلفت إليها والخطا تسبق الخُطا
وفي النفس شوق يستحث ويُلْهِبُ

ومنها قوله:

وقلت: هنا يا نفس أشرف بقعة
وأرحب أفق في السماوات يَرْقُبُ

وإنك من فوق التلال طليقة
ولم يبق مستور عليك مغيب

فقرّي هنا يا نفس جَدُّ سعيدة
فليس وراء الأفق يا نفس مطلب



العيون تسافر إلى الماضي

بحثاً عن إجابة للحاضر!!

وعندما يضحك مجلس فيه من المفكرين والفلاسفة ما فيه، فلا بد أنك رائي إنْ أنت لاحظت حركاتهم وسكناتهم ما يدلك على أنهم يسافرون بأفكارهم وخيالاتهم، وهم قعود في المجلس وآذانهم تصغي للمتحدث.

وذلك عندما يدور حديث يحتاج نقده إلى ربط الحاضر بالماضي البعيد الذي يجب أنْ تباشره الذاكرة مصحوبة بالفكر والعقل على جناح إغضاء الطرف لتقلب هناك صفحات الماضي ثم تعود في لمح البصر وارتداده بالمعلومات الكافية لتأجيل الرأي الذي يجب أن يتضمنه نقد ذلك الحديث في أسلوب تحقيقي يدعمه الدليل المستمد من واقع التجارب. قال محقق ديوان الشاعر والمفكر الإسلامي سيد قطب في مقدمة قصيدة له عنوانها «عينان»: هما عينان لم يدر الشاعر مدى نظرتهما. وتصور أنهما تستطيعان اختراق الحجب والأستار. وعجب إلى أي مدى يستنفد طاقة هذه النظرة حتى ما وراء الكون. وهذه الطاقة في تصوره لا يستنفذها بعد من الأبعاد فتساءل:

إلى أي سر بل إلى أي طلسم
توجّه من عين شعاع ملهم

إلى مخبأ الأسرار في نفس كاهن
تُحَجبُها أستار دُجُوان مظلم

إلى الغابر الماضي الذي ضاع رسمه
وغيبه النسيان في تيه عيلم
إلى القابل الآتي الذي ندّ طيفه
عن الوهم بل ضلته رؤيا المنجم
إلى حيثما الأقدار تمضي أمورها
على خفية من وهمه المتوهم
إلى ما وراء الكون والعالم الذي
أُحط به رؤيا السُّحير المنوم
لأحْسَسْتُ فيها رعدة إذ توجّهتْ
ودبّ لها قلبي وأنكر هادمي
وأحسبها قد جاوزتْ في عبورها
عوالم لم تُخْلَق ولم تتوهّم

وما ورد في هذه الأبيات يؤيد تأييداً تاماً القول بأن المفكر حينما يطلق نظره في لحظة وجوم استفهامية، أو استغرابية فإنه يكون بذلك قد سافر إلى أبعد ما يمكن أن يقف عنده عقله ليعود كما ذكرت آنفاً بما يحقق به حديثاً سمعه أو حادثاً رآه.



سلم الخاسر هو سلم بن عمرو مولى بني تيم

قال الأصبهاني في كتابه «الأغاني»: سلم الخاسر هو سلم بن عمرو مولى بني تيم بن مرة ثم مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وهو شاعر بصري مطبوع متصرف في فنون الشعر. من شعراء الدولة العباسية وهو راوية بشار بن برد وتلميذه وعنه أخذ ومن بحره اغترف وعلى مذهبه ونمطه قال الشعر. ولقب سلم الخاسر فيما يقال لأنه ورث من أبيه مصحفاً فباعه واشترى بثمنه طنبوراً.

وقد كثرت الروايات عن سبب تلقيبه بسلم الخاسر فمنها ما يقول: إنه لما مات عمرو أبو سلم الخاسر اقتسموا ميراثه فوقع في قسط سلم مصحف فرده وأخذ مكانه دفاتر شعر كانت عند أبيه فلقب الخاسر بذلك.

ومنها ما يقول: إن سلم الخاسر ورث عن أبيه مائة ألف درهم فأنفقها على الأدب وبقي لا شيء عنقده فلقبه الجيران ومن يعرفه بسلم الخاسر، وقالوا: أنفق ماله على ما لا ينفعه ثم مدح المهدي أو الرشيد وكان بلغه اللقب الذي لقب به فأمر له بمائة ألف درهم وقال له: كذّب بهذا المال جيرانك فجاءهم بها وقال لهم: هذه المائة الألف التي أنفقتها وربحت الأدب.

فأنا سلم الرابح لا سلم الخاسر. وإن صح هذا وهو الأقرب للصواب فإنه يدحض قول من قال: إنه لما سئل سلم. لم لقب الخاسر؟ ضحك ثم قال: إنه قد كان نسك مدة يسيرة ثم رجع إلى أقبح ما كان عليه وباع مصحفاً له ورثه عن أبيه وكان لجده قبله واشترى

رفع
المسـ هم

بثمنه طنبوراً فشاع خبره وافتضح فكان يقال له: ويلك هل فعل أحد ما فعلت!! فقال: لم أجد شيئاً أتوسل به إلى إبليس هو أقر لعينه من هذا.

وسلم الخاسر كمعلمه بشار، مدّاح هجّاء، فمِن مَدْحِهِ أنه لما بنى صالح بن منصور قصره بدجلة قال فيه سلم الخاسر:

يا صالح الجود الذي مجده
أفسد مجد الناس بالجود

بنيت قصراً مشرفاً عالياً
بطائري سعد ومسعود

كأنما يرفع بنيانه
جن سليمان بن داود

لا زلت مسروراً به سالماً
على اختلاف البيض والسود

ولما فسد ما بينه وبين صديقه الشاعر المتزهد أبي العتاهية هجاه بقوله:

ما أقبح التزهيد من واعظ
يزهد الناس ولا يزهد

لو كان في تزهيده صادقاً
أضحى وأمسى بيته المسجد

ورفض الدنيا ولم يلقها
ولم يكن يسعى ويسترفد

فخاف أن تنفد أرزاقه
والرزق عند الله لا ينفد

الحب يوجب مشاركة المحبوب في أساه!!

إن الحياة الممزوجة بالحب الصافي يجعل الصادق في حبه يتحسس مشاعر من أحبه ويستقرئ ملامحه استقراء من يلتمس جانب الرضا والباحث عن الأسباب التي تدعو إلى استمرارية ذلك الحب فتراه يتعشق رؤيا الأسارير التي تعلو محيا محبوبه، وتدخل على نفسه الفرح والسرور والبهجة حين لقياه.

وإذا ما علمنا أن المتحابين تنعشهما الابتسامة المتبادلة، فإن احتباسها داخل ثغر أحدهما يعني أن هناك فتوراً أصاب علاقتهما أو أن هناك سبباً خارجاً عن إرادة الطرف الذي ماتت ابتسامته وحل محلها سلطان العبوس والتقطيب.

والصديق المخلص في صداقته والثابت على حبه إذا ما قرأ على ملامح صديقه تجهماً أو آثار أسى أو علامات بؤس انتابه شيء من الضجر وعدم الاستقرار النفسي فيدفعه عامل الحب الصادق إلى البحث عن الوسائل التي تمكنه من مشاركة صديقه أو محبوبه في دفع ما يعانيه من بؤس وضرر. بل إنه ليحاول تحمل أكبر قسط من الهموم التي تثقل صاحبه. وتفسد مزاج علاقته به. قرأت قصيدة للشاعر والمفكر الإسلامي سيد قطب، عنوانها «حدثيني» فوجدت فيها شاهداً قوياً على صحة ما تقدم ذكره في صدق المحبة ومفهومها بين المتحابين، إذ قال في بعض أبياتها التي تبلغ نحواً من اثني عشر بيتاً:

حدثيني بمستثار شجونك
واكشفي لي عما اختفى من شؤونك

رفع المسهم

حدثيني بما تُكنّين إني
أنا أولى بعبئه من دونك

أنا أقوى على الحياة إذا عشتُ
حياتي مزوّداً من يقينك

حدثيني عن الأسى يتراءى
كأسيف الرجاء فوق جبينك

أو تعالي لذلك الكنف الحا
ني عليك واركني لسكونك

هو أحنى عليك من قلبها الأم
وأدرى من قلبها بحنينك

فاغمري في عبابه المترامي
ما مضى عنك أو أتى من شجونك

وابعثيها ابتسامة وحياة
ملؤها السحر والهوى من فتونك



رفع المسهم

وفاء زوجة

ولا يظهر وفاء الزوجة لزوجها بمعناه الحقيقي إلّا في مناسبات قليلة. ولهذا فإنه قد لا يتبين بعض الرجال وفاء زوجاتهم لأنهم يعايشوهن معايشة كلها سعادة وهناء ومودة وتراحم فلم يضطرهم أمر من الأمور إلى البحث عن دليل يستدلون به على وفاء زوجاتهم لهم.

وهذا المسلك التعايشي يعد ذكاءً من بعض الزوجات ليقطعن به أي تساؤل حول الشك في وفائهن.

أما كيف نعرف أن هذه أو تلك من النساء اللائي يفين لأزواجهن، فليس لنا من وسيلة نستكشف بها هذا المسلك إلّا تتبع أخبارهن.

ولكن الأخبار المتعلقة بموضوع الوفاء قد لا تصل إلينا صافية وحقيقية إلّا من طريق واحد، هو عند وفاة الزوج، وهناك نتبين مقدار الوفاء لدى فريق منهن، وهو الفريق الذي يبوح بصادق وفائه فيما يرثي زوجته من نثر أو شعر، به نستطيع قياس درجة الوفاء عند ذلك الفريق.

ولعل ممن باح بالوفاء المتبادل بينهما الشاعرة الكويتية سعاد الصباح التي رثت زوجها عبد الله المبارك الصباح بقصيدة مثيرة عنونتها بـ «رحلت يا منارة العمر» وهي قصيدة طويلة تبلغ نحواً من ٣٣ بيتاً نشرتها المجلة العربية في عددها ١٦٨ محرم ١٤١٢هـ أقتطف منها هذه الأبيات:

ها أنت ترجع مثل سيف متعب

لتنام في قلب الكويت أخيرا

يا أيها النسر المضرج بالأسى
كم كنت في الزمن الرديء صبورا

أأبا مبارك كنت أنت قبيلتي
وجزيرتي والشاطئ المسحورا

يا خيمتي وسط الرياح من الذي
سيلم بعدك دمعي المنثورا

أنت الربيع فلو ذكرتك مرة
صار الزمان حدائقاً وعبيرا

أنت السفينة والمظلة والهوى
يا من غزلت لي الحنان جسورا

غطيتني بالدفء منذ طفولتي
وفرشت دربي أنجماً وحريرا

وحميت أحلامي بنخوة فارس
لم تلغ رأياً أو قمعت شعورا



رؤيا ابن عنين لفاطمة الزهراء!!

في ديوان ابن عنين، واسمه شرف الدين أبي المحاسن محمد بن نصر المشهور بابن عنين المتوفى سنة ٦٣٠هـ رواية ملخصها أن ابن عنين كان متوجهاً إلى مكة ومعه مال وأقمشة فخرج عليه بعض بني داود فأخذوا ما كان معه وسلبوه وجرحوه. فهجا أشراف مكة، وأخذ يحرِّض عليهم ملك اليمن سيف الإسلام طغتكين المتوفى سنة ٥٩٣هـ وهو أخو صلاح الدين. وفي تحريضه للملك العزيز سيف الدين على الأشراف قوله:

طهّر بسيفك بيت الله من دنس
وما أحاط به من خسّة وخنا

ولا تقل إنهم من آل فاطمة لـ
ـو أدركوا آل حرب قاتلوا الحسنا

قيل: إنه لما قال القصيدة التي منها البيتين السابقين رأى في المنام فاطمة الزهراء رضي الله عنها وهي تطوف بالبيت فسلَّم عليها فلم تجبه فتضرع وسأل عن ذنبه فأنشدته:

حاشا بني فاطمة كلهم
من خسة تعرض أو من خنا

وإنما الأيام في عذرها
وفعلها السوء أساءت بنا

أإن أساء من ولدي واحد
جعلت كل السبّ عمداً لنا

رفع المسهم

فتب إلى الله فمن يعترف
ذنباً بنا يغفر له ما جنا

قال ابن عنين: فانتبهت من منامي فزعاً مرعوباً وقد أكمل الله عافيتي من الجرح والمرض. فكتبت هذه الأبيات وحفظتها وتبت إلى الله تعالى مما قلت.

ومن الأبيات التي زُعم بأن ابن عنين قال: إني قلتها كما تقدم والموجودة في حاشية ديوانه ص ١٠٣ طبعة دار صادر، بيروت.

عذراً إلى بنت نبي الهدى
تصفح عن ذنب مسيء جنى

وتوبة تقبلها من أخي
مقالة توقعه في العنا

ويبقى أن أشير إلى أن هذه الحكاية قد نقلت من كتاب «عمدة الطالب في أنساب ابن أبي طالب» لجمال الدين أحمد بن علي الداودي الحسني.

أما القول بأن الوضع في هذا الشعر ظاهر فإنه يجد التأييد من كل دارس وناقد.



ابن عنين يحقق رغبة فخر الدين!!

والشاعر المطبوع يجد فسحة في مجالس العلماء وأهل الفكر والسياسة والأدب والرئاسة؛ لأنهم إن عدموا الحكمة في قوله لم يعدموا الأنس من إنشاده.

ونحن حينما نتتبع أخبار الشعراء البارزين نجدهم مقربين من الحكام والولاة ووجهاء وأعيان الناس؛ إما لرغبة في مسامرتهم ومنادمتهم أو اتقاءً من سلاطة ألسنتهم.

ومثلما أن عالية القوم يحرصون على استقطاب الشعراء في مجالسهم فإن الشعراء أنفسهم يكللهم تاج الفخر بأنهم أصبحوا شعراء تتجاذبهم مجالس الأعيان والوجهاء.

ومن الطبيعي أن يكون طابع المجالس التي يحضرها الرواة والشعراء، الثقافة والأدب بجميع أنواعه وفروعه؛ ولهذا فإنه يحصل في تلك المجالس بعض المآزق المختلفة التي يقع فيها الشعراء والتي منها ما يتمثل في الأمور التعجيزية، وذلك مثل أن يطلب إلى أحدهم أن يجيز بيت من الشعر فلا يستطيع، أو أن يطلب إليه بناء قصيدة ذات أوصاف معينة فتضمحل شاعريته أمام المفاجأة. ومن الشعراء الذين فوجؤوا بمثل هذا الطلب الشاعر ابن عنين الذي تقدمت ترجمته تحت عنوان «رؤيا ابن عنين لفاطمة الزهراء» حيث طلب إليه فخر الدين الرازي أن يقول قصيدة في كل كلمة منها سيناً. فأنشأ ابن عنين قصيدة تبلغ ١٣ بيتاً في كل كلمة منها ـ سيناً ـ منها قوله:

مَرسى السيادة سُدَّةٌ سَيفيةٌ
محروسة مسعودة التأسيس

سيف يسرك سلّه وسؤاله
لمساءةً يُوسي وسلب نفوس

سَبَق السراة بسيرة وسريرة
محسودتين وسار سير رئيس

حَسُنتْ سريرته وقدّس سنحه
وسما بأسلاف سراةٍ شوس

أسلاف سادات سما بجلوسهم
رأس السرير ومسند التدريس

سنّو السماح فأسرفت سؤَالهم
فإساءة إحسانهم بالعيس

ويسُرُّ سارية السحاب قياسها
بسماحه وبسيبه المبجوس

والسحب ممسكة فلست أقيسها
بسيول سيب للسحاب حبوس

الجدير بالذكر أنه طلب إلى ابن عنين مرة أن يصنع أبياتاً في كل كلمة منها (حاءاً) فصنع قصيدة قوامها ١٦ بيتاً في كل كلمة منها (حاءاً).



أبو نواس.. هو الحسن بن هانئ

ولقد حصل اختلاف في نسب الحسن بن هانئ فمن قائلٍ: هو الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح الحكمي - بفتح الحاء والكاف - نسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة وهي قبيلة كبيرة منها الجراح بن عبد الله الحكمي أمير خرسان - وكان جد أبي نواس من مواليه -.

ومن قائل: هو الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن عبد الصباح بن الجراح بن عبد الله بن حماد بن أفلح بن زيد بن هنب.

ومن قائل: هو الحسن بن هانئ بن صباح بن عبد الله بن الجراح بن هنب، من بني سعد العشيرة من طيء، وأمه أهوازية اسمها جلبان، وكان أبوه من جند مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية. وكان من أهل دمشق وانتقل إلى الأهواز للرباط فتزوج جلبان وأولدها عدة أولاد منهم أبو نواس وأبو معاذ.

أما كيف لقب الحسن أو كني بالأصح بأبي نواس فقد قيل: إنَّ له ذؤابتان كانتا تنوسان على عاتقه.

والذؤابة: الظفيرة من الشعر إذا كانت غير ملوية، فإن كانت ملوية فهي عقيصة، والذؤابة طرف العمامة.

وقيل: إن خلفاً الأحمر كان له ولاء في اليمن. وكان أميل الناس إلى أبي نواس فقال له يوماً: أنت من اليمن فتكنَّ باسم ملكٍ من ملوكهم الأذواء. فاختار (ذا نواس) فكنّا: أبا نواس.

رفع المسيَّهمل

وقيل: إن خلفاً عرض عليه بعض أسماء الذوين. ذو جدن. وذو كلان. وذو يزن. وذو كلاع. وذو نواس. فاختار ذا نواس فكناه به فصارت كنيته وغلبت على - أبي علي - كنيته الأولى. ويبقى أن أشير إلى أن أبا نواس كان يعد من فحول الشعراء وهو في وصف لا يجارى بالإضافة إلى تفننه في جميع أغراض الشعر. وله ديوان مطبوع اعتنى بدراسته أكثر من أديب وكاتب لعل أبرزهم ابن منظور. ومحمد كامل فريد الذي أورد له قصيدة فيها نصح وتذكير بالموت. منها قوله:

الموت منا قريب
وليس عنا بنازح

في كل يوم نعي
تصيح منه الصوائح

تشجي القلوب وتبكي
مولولات النوائح

حتى متى أنت تلهو
في غفلة وتمازح

والموت في كل يوم
في زند عيشك قادح

فاعمل ليوم عبوس
من شدة الهول كالح

ولا تغرنك دنيا
نعيمها عنك نازح

وبغضها لك زين
وحبها لك فاضح

ابن منظور يحقق أبي نواس

في موضوع تقدم في هذا الجزء، كتبت تحت عنوان «أبو نواس. هو الحسن بن هانئ»، لا بل نقلت ما قرأته عن نسبه. وسبب تكنيته بأبي نواس وما حصل من اختلاف في نسبه حيث جعله بعضهم يتصل نسبه ببني سعد العشيرة من طيء.

وتصحيحاً لما اختلف فيه حول نسبه، قال ابن منظور صاحب «لسان العرب» في كتابه «أبو نواس.. في تاريخه وشعره ومباذله. وعبثه ومجونه»: إنه فارسي الأب والأم. ثم أشار إلى أن أمر أبيه وأمه قد انبهم على بعض الرواة حيث رأوه ينتسب لآل الحكم بن الجراح بن سعد العشيرة ويتكنى بكنية يمنية هي (أبو نواس) وأن أباه كان من جند مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين فظن بعض المعاصرين أن أباه من أهل الشام وذهب بعض الأقدمين إلى أنه عربي، بل تمادوا فصنعوا له نسباً في بني سعد العشيرة.

والصحيح ـ والقول لابن منظور ـ أنه كان مولًى فارسياً من موالي الجراح بن عبد الله الحكمي. انتهى تحقيق ابن منظور.

ولعل أسلوب الحسن بن هانئ وفصاحة لسانه وقوة منطقه وسلامة لفظه، وجزالة تعبيره في أشعاره قد أوهمت بعض الرواة فجعلتهم يجنحون جنوحاً تجاوزياً في تحقيق نسبه ويصلونه بقبيلة عربية أصيلة ظناً منهم بأن ما يمتلكه أبو نواس من فصاحة إنما هو إرث انتهى إليه من لسان عربي أصيل فصيح، كما ساعد على ذلك التزامه بكثير من أنماط الآداب العربية الأصيلة. كالجرأة في القول،

رفع المسهم

والأخذ بزمام المبادأة فيما يخصه من أمر، وكيف لا توهم فصاحته وهو القائل:

لا تخشعن لطارق الحدثان
وادفع همومك بالشراب القاني

أو ما ترى أيدي السحائب رقشت
حُلل الثرى ببدائع الريحان

من سوسن غصن القطاف وخُزّم
وبنفسج وشقائق النعمان

وجَنِيٍّ وَرْدٍ يستبيك بحسنه
مثل الشموس طلعن من أغصان

حُمراً وبيضاً يجتنين وأصفراً
وملوناً ببدائع الألوان

كعقود ياقوت نُظمن ولؤلؤٍ
أوساطهن فرائد العقيان

ومن الزبرجد حولهن ممثلاً
سمطاً يلح بجانب البستان

فإذا الهموم تعاورتك فسلّها
بالراح والريحان والندمان



رفع المسهم

سبب قول جرير.. فغض الطرف

إن جاز أن نقول ليت في أمرٍ مضى وفات منذ ١٣٢٠ سنة قلنا: ليت الشاعر جرير يرخص الراعي النميري في بيته:

فغض الطرف إنك من نمير
فلا كعباً بلغت ولا كلابا

دون قومه. وصار أحكم وأعقل من الراعي الذي قال في هجائه لجرير بادئاً:

رأيت الجحش جحش بني كليب
تيمّم حول دجلة ثم هابا

أتاك البحر يضرب جانبيه
أغر ترى لجريته حبابا

نمير جمرة العرب التي لم
تزل في الحرب تلتهب التهابا

وإني إذ أسبُّ بها كليباً
فتحت عليهم للخسف بابا

لأن بني نمير لا ذنب لها، وإنما الذنب واقعاً على الراعي هو وابنه جندل فقط. وحيث عد بيت جرير: فغض الطرف... إلخ. من شوارد الأبيات التي سارت بها الركبان إلى كل مكان فإنه يحسن بنا أن نعرف السبب الذي حمل جريراً على هجاء الراعي النميري لنلتمس له عذراً في التعميم يضاف إلى القول التعميمي الذي جاء في بيت النميري المتقدم: وإني إذ أسب بها كليباً... إلخ.

رفع المسهم

والذي يعطي جرير التجاوز في هجاء بني نمير، فالسبب بعبارة مختصرة: هو أنه بلغ جريراً أن النميري قد هجاه بقصيدة منها الأبيات المتقدمة، قال جرير: فأتيته وقلت: يا أبا جندل إنك شيخ مضر وقد بلغني تفضيلك الفرزدق عليَّ فإن أنصفتني وفضلتني كنت أحق بذلك لأني مدحت قومك وهجاهم وهو ابن عمي وليس منك ولا عليك كلفة في أمري معه، وقد يكفيك من ذلك هين أن تقول إذا ذكرنا: كلاهما شاعر كريم فلا تحمل منه لائمة ولا منّي. قال: فبينما أنا وهو كذلك لحق ابنه جندل فرفع كرمانية معه وضرب بها عجز بغلة أبيه ثم قال: أراك واقفاً على كلب بني كليب كأنك تخشى منه شراً أو ترجو منه خيراً، فزحمتني البغلة زحمة وقعت منها قلنسوتي، فوالله لو يعوج على الراعي لقلت سفيه غوي يعني جندلاً ابنه، ولكن لا والله ما عاج علي فأخذت قلنسوتي فمسحتها وأعدتها على رأسي وقلت:

أجندل ما تقول بنو نمير
إذا ما الأير في است أبيك غابا

قال: فسمعت الراعي قال لابنه: أما والله لقد طرحت قلنسوته طرحة مشؤومة. فانصرفت مملوءاً غضباً حتى إذا صليت العشاء شرعت في نظم قصيدتي التي عرفت فيما بعد بالدماغة، والتي بلغت بها ١١٥ بيتاً منها قولي:

ولو وزنت حلوم بني نُمير
على الميزان ما وزنت ذُبابا

أما مطلعها فهو:

أقلي اللوم عاذل والعتاب
وقولي إن أصبتُ لقد أصابا

وإن صحت هذه الرواية فالبادي النميري، وهو الأظلم، والحكمة تقول: كم كلمة قالت لصاحبها: دعني.

رفع المسيّهمّ

المصادر لم تعتن بالمزني

وتَجِدُّ بعض أقلام الباحثين عمَّن غمرهم ركام السنين وعجزت شهرتهم عن الخروج من تحت أنقاضها فتطالعنا بين الحين والآخر بأسماء لم نسمع بها، وكأنما هم غواص البحار الذي يجوب قيعانها ويخرج وفي يده جوهرة ثمينة.

ومن أولئك الباحثين الأديب السعودي والكاتب البارع الأستاذ عبد العزيز أحمد الرفاعي الذي اتجه نحو إصدار سلسلة عنوانها «شعراء مغمورون» وقد كان الأول منها من نصيب الشاعر عبد الله بن عمرو بن أبي صبح المزني حيث أبرزه الرفاعي في دراسة قيّمة اتسمت بما هو مطلوب من الباحث.

قال الرفاعي: إن المزني لم تعتنِ به المصادر الأولى حتى كتاب الأغاني الذي استقصى الكثير من الأخبار والأشعار لم يرد فيه ذكر لهذا الشاعر، وقال عند محاولة ترجمة لحياته: لم أقف على نصوص تعين على تعيين مولد المزني ولا موضع ميلاده، ولا منازله ولا تاريخ وفاته، وكل ما نستطيع تحديده أن هذا الشاعر كان من شعراء القرن الثاني من الهجرة.

قال الرفاعي: وفي محاولة لاستقراء شيء عن حياته وأسرته فيما اطلعت عليه من شعره وجدت بعض الإشارات التي نستطيع أن ندرك منها المعلومات التالية: إن له أبناء يفخر بهم كما يفخر بأجداده وأسرته أو عصبته وأن زوجته يغلب الظن على أن اسمها شميسة وذلك على ما ورد في قصيدته الكافية التي منها قوله:

رفع المسهم

قالت شميسة إذ قامت تودعني
والدمع يجري على الخدين أسلاكا

لا يلهينك عنا بَعْدَ فرقتنا
بُعْدُ المزار وإن صاحبت أملاكا

وهو يكنيها بأم عمرو إذ يرد بعد البيتين تتمة الحوار:

فقلت: لو كنت أنساكم يوماً نسيتكم
إذا قال لي مصعب: لو شئت أجزاكا

خطان في شبر قرطاس يطير به
منا جريٌ ونمضي قلت كلاكا

لا بد من نظرة أشفي بها كمدي
من أم عمرو قليلاً ثم ألقاكا

فعمرو الذي ورد ذكر ابنه من شميسة على ما يبدو. أما القصيدة التي أوردت منها الأبيات المتقدمة فهي طويلة نسبياً إذ تبلغ نحواً من خمسة عشر بيتاً، وفيها امتدح مصعب بن عبد الله بن مصعب، منها قوله:

إن أمتدحْكم فخير القول مدحكم
وقد ننال بغير المدح جدواكا

يا أوسع الناس فضلاً بعد والده
إن تعط خيراً فإن الله أعطاكا

مجداً تطأطأ عنه ذي شرف
فيمنع الناس أن يجروا بمجراكا



الرفاعي ينفض الغبار عن خارجة

ومما يسعد النفس ويسرها أن نرى أديبنا وكاتبنا البارز عبد العزيز أحمد الرفاعي يقرر البحث تحت عنوان «شعراء مغمورون» عن الذين أغفلتهم أقلام مؤرخي الأدب أو سفهتهم لعدم بروز شهرتهم فتبعثرت أشعارهم وأعمالهم في كتب التراث كتبعثر شذرات الذهب بين كثبان الرمال، وقد نفض الرفاعي الغبار حتى الآن عن شاعرين أحدهما: عبد الله بن عمرو بن أبي صبح المزني، وقد تقدمت إشارتي إليه تحت عنوان «المصادر لم تعتن بالمزني»، والآخر هو: خارجة بن فليح المللي، وألقي الضوء على ما استطاع جمعه من شعريهما.

وعن المللي قال الرفاعي: إن المصادر تشير إلى أنه عاش في القرن الثاني الهجري، وأنَّ جودة شعره قد أغرتني أن أتتبع أخباره ما استطعت. وأن نسب الشاعر هو: خارجة بن فليح بن إسماعيل بن جعفر بن أبي كبير مولى أسلم ـ وأسلم قبيلة قحطانية ـ أما ملل التي ينتسب إليها فهي موضع على مقربة من المدينة في شق الروحاء، لا اسم رجل أو قبيلة، ومما يستدل على أن ملل موضع قريب من المدينة ما رواه البكري من أن عثمان بن عفان رضي الله عنه صلى الجمعة بالمدينة وصلى العصر بملل.

ولقد حاول الرفاعي تحديد السنوات التي عاشها خارجة من القرن الثاني للهجرة من خلال ما وجده من تعليمات وإشارات مبعثرة يحقق معظمها أن خارجة امتدح عبد الله بن مصعب بن عبد الله بن الزبير وابنه البكار، وهذان توليا إمارة المدينة المنورة على التتابع أيام هارون الرشيد.

رفع المسهم

ومن المعروف أن هارون الرشيد ولد سنة ١٤٩هـ وتوفي سنة ١٩٣هـ وبهذا يتحقق أن خارجة عاش في النصف الأخير من القرن الثاني للهجرة.

ومن مدائح الشاعر خارجة بن فليح لعبد الله بن مصعب قوله من قصيدة قوامها ١٤ بيتاً، منها قوله:

فإني لما أوليتني يا ابن مصعب
يداً بعد أيد منعمات لشاكر

وإنك والحي الذي أنت منهم
لكالبدر حفّته النجوم الزواهر

ويسمو بكم مجد الزبير وفخره
إذا عُدّدت عند النفار المآثر

وتسطع منه غرة الفجر فيكم
فتغضى لها عنك العيون الشوازر

فإن يك قوم قوضوا عرش مجدهم
فقد ربّ مجداً أولاً منك آخر

رأيتك تسمو للمكارم والعلا
فلا زاهق عنها ولا أنت قاصر

وتعلو بك الأيام للذروة التي
لها كنف يأوي إليه المعاشر

لكم منكباها حيث قر قرارها
وفرعك منها أيمن متياسر



رفع المستهم

الأحوص لقب غلب على اسم عبد الله بن محمد

ولا يكاد يعرف عبد الله بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ـ واسم أبي الأقلح ـ قيس بن عُصَيمة بن النعمان بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس.

وكان يقال لبني ضبيعة بن زيد في الجاهلية: بنو كسر الذهب، أقول: لا يكاد يعرف إلّا بالأحوص، والأحوص لقب لقّب به لحوص كان في عينيه وهو ضيق يعتري مؤخر العين.

والأحوص يكنى بأبي عاصم. وقيل: بأبي محمد. وقد جاء وصفه في كتاب «الأغاني» بأنه أحمر كأنه وجرة.

وقيل: بل هو دميم قصير. أما أخلاقه فقد قيل: إنه مطبوع على الشر شكس الخليقة قليل المروءة هجاء للناس سريع الوقوع في أعراضهم، شديد في خصومته.

أما وفاته فقد قيل: إنه مات في خلافة يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٥ للهجرة، وبمعرفة وفاته استقرأ المؤرخون تاريخ ولادته فقالوا: إنه ولد سنة ٤٠ للهجرة بقباء، وفيها نشأ.

ويروى أنه تزوّج بامرأة من تميم، وشرطت عليه أن لا يمنعها من أحد من أهلها، فخرج بها ذات مرة إلى المدينة، وكانت أختها عند رجل من بني تميم، يسمى مطراً.

وفي أثناء الطريق قالت: اعدل بي إلى أختي، ففعل، فذبحت لهم وأكرمتهم، وكانت من أجمل النساء، وكان زوجها مطر في إبله ورعائه

رفع المسار

وكان قبيحاً دميماً، فلما عاد قالت له زوجه: قم سلِّم عليه، فلما رآه الأحوص ازدراه وقال:

سلام الله يا مطر عليها
وليس عليك يا مطر السلام

وهذا البيت من قصيدة تبلغ نحواً من ١٣ بيتاً ربما أن الأحوص استكملها فيما بعد. ومطلعها:

أإن نادى هديلاً ذات فلج
مع الإشراق في فنن حمام

ظللت كأن دمعك دُرُّ سلك
هوى نسقاً وأسلمه النظام

وبعد قوله: «سلام الله يا مطر عليها... البيت» يأتي حسبما هو مرتب في ديوانه الذي حققه وجمعه عادل سليمان جمال، وقدم له شوقي ضيف قوله:

ولا غفر الإله لمنكحيها
ذنوبهم وإن صلوا وصاموا

فإن يكن النكاح أحل شيئاً
فإن نكاحها مطر حرام

كأن المالكين نكاح سلمى
غداة يروحها مطر نيام

فلو لم ينكحوا إلّا كفياً
لكان كفيها الملك الهمام

فطلقها فلست لها بأهل
وإلّا شق مفرقك الحسام

رفع المستهم

الأحوص وحكايته المثيرة مع أم جعفر

والقارئ لديوان الأحوص يجد ذكر أم جعفر يتردد بأسلوب غزلي في بعض قصائده. فيا ترى من هي أم جعفر؟. وما سبب تشبيب الأحوص بها؟.

لقد كفانا مؤنة البحث عن ذلك جامع ومحقق ديوانه الأستاذ عادل سليمان جمال، حيث كتب عن ذلك قائلاً: كانت امرأة يقال لها: أم ليث قد فتحت بينها وبين جارة لها من الأنصار خوخة.

وكانت الأنصارية من أجمل أنصارية خلقت، فكلم الأحوص أم ليث أن تدخله في بيتها يكلم الأنصارية من الخوخة التي فتحت بينها وبينها، فأبت فقال: أما لأكافئنك. ثم قال:

هيهات منك بنو عمرو ومسكنهم
إذا تشتيت قِنَسْرين أو حلبا

قامت تراءى وقد جدّ الرحيل بنا
بين السقيفة والباب الذي نقبا

إني لمانحها ودّي ومتخذ
بأم ليث إلى معروفها سببا

فلما بلغت الأبيات زوج المرأة سدّ الخوخة فاعتذرت إليه أم ليث فأبى أن يقبل ويصدقها، فكانت أم ليث تدعو على الأحوص، فهو بذلك قد افترى على أم ليث كذباً وأشاع أنه يجتمع بالأنصارية عندها يكلمها من خلال فتحة الخوخة، وأنه يتوسل بأم ليث، حتى تعينه عند الأنصارية، فأفسد ما بين

رفع المستهم

الرجل وزوجه، وبينها وبين ليث وشبب، بأم جعفر حتى شاع شعره فيها فتوعده أخوها أيمن فلم ينته، فشكاه إلى ابن حزام فدفع إليهما سوطين فتجالدا فغلبه أيمن ففر الأحوص فطلبه أيمن ولكنه فاته هرباً، واستمر يشبب بها، فجاءته يوماً منتقبة وهو في مجلس قومه، فقالت له: اقض ثمن الغنم التي ابتعتها مني فقال: ما ابتعت منك شيئاً، فأظهرت كتاباً قد وضعته عليه، وبكت وشكت حاجة وضرّاً. وقالت: يا قوم كلموه، فَلَامَهُ قومه وقالوا: اقض المرأة حقها فجعل يحلف أنه ما رآها قط ولا يعرفها. فكشفت وجهها وقالت: ويحك أما تعرفني. فجعل يحلف أنه ما يعرفها وما رآها قط. حتى إذا استفاض قولها وقوله واجتمع الناس وكثروا وسمعوا ما دار وكثر لغطهم وأقوالهم. قامت ثم قالت: أيها الناس اسكتوا ثم أقبلت عليه وقالت: يا عدو الله، صدقت، والله مالي عليك حق ولا تعرفني. وقد حلفت على ذلك وأنت صادق. وأنا أم جعفر، وأنت تقول: قلت لأم جعفر وقالت لي: أجعفر في شعرك، فخجل الأحوص وانكسر عن ذلك، وبرئت أم جعفر عندهم ومن بعض ما قاله في أم جعفر. هذه الأبيات من قصيدة له:

وإني ليدعوني هوى أم جعفر
وجاراتها من ساعة فأجيب

وإني لآت البيت ما إن أحبه
وأكثر هجر البيت وهو حبيب

تطيب لي الدنيا مراراً وإنها
لتخبث حتى ما تكاد تطيب

وإني إذا ما جئتكم متهللاً
بدا منكم وجه علي قطيب

وأغضي على أشياء منكم تسؤني
وأدعى إلى ما سركم فأجيب

رفع المسلم

فلسفة الحياة على نظام المرور

والمرور هو الجهاز الذي ينظم حركة سير العربات في عموم الشوارع. أما جهازه البشري فهو في غالبيته من العسكريين. وإدارة المرور هي التي تعالج الأنظمة والتعليمات المرورية وترصد المخالفات وتطبق الجزاءات والعقوبات.

والبلد الذي يوجد به مرور يعرف أفراده كيف يتعاملون مع مختلف مستويات أهله ومستوطنيه بصورة عامة يدل على رقيه الحضاري وتقدمه الثقافي ومفهومه للحياة الاجتماعية العصرية. ولهذا فإن إدارة المرور في أي بلد كان تنتخب الرجال الذين يقومون بالأعمال الميدانية ليكونوا واجهة ومثالاً حياً، بل نموذجاً يقاس بهم غيرهم من أهل البلد الذي هم فيه.

ولحيوية المرور نرى بعض الشعراء يقيس فلسفة الحياة الاجتماعية بصورة عامة على نظام المرور بما فيه من إرشادات وتحذيرات الغرض منها المحافظة على سلامة الناس، وتجنيبهم المخاطر.

ولعل أجمل ما قرأته من شعر اقتبس مفهومه الفلسفي لحركية الحياة بصورة عامة من نظام المرور وحركة السير هي قصيدة للشاعر المصري محمد أبو المجد[١] الذي طبق جانباً من حركة الحياة على قواعد المرور حيث يقول في أبيات منها:

---

(١) وقصيدة محمد أبو المجد طويلة تبلغ نحواً من ٣٢ بيتاً نشرتها المجلة العربية في عددها ١٦٨ لشهر محرّم عام ١٤١٢ هجرية.

رفع المسهم

أمامك منحى خطر
وخلفك منحى خطر

وفي يمناك زاوية
عليها السيل ينهمر

ألا فاسمع نصائحنا
تكن من خير من عبروا

تمهل حينما تمشي
وحاذر حين تنحدر

طريق الشر أوله
حرير ملؤه الوبر

مريح حينما تمشي
فلا تهوي بك الحفر

طريق الحق ذو يسر
ويبدو أنه عَسِرُ

وإن طالت شوارعه
وإن أورى به الخطر



فأما الذين.. وأما الذين

والكفر بالله يأتي من طرق كثيرة ومتعددة الاتجاه يقوم بتمهيدها الشيطان ويزين مسالكها لبني الإنسان.

فمن تلك الطرق التي يصطاد الشيطان من خلالها عقل الإنسان وتفكيره: الوسوسة التي يدخل بها من خلالها إلى الشك في البدائيات حتى يتدرج به إلى إنكار البعث والحساب، وعدم وجود نار للكافرين وجنة للمتقين.

ثم يمضي عليه لعنة الله حتى يؤصل هذا الشك في نفس تابعه تأصيلاً يصل إلى درجة الإنكار بوجود الله، فيسهل عليه انتزاع الخوف من الله من صدور الذين اتبعوه، فيأمر بفعل السوء والفحشاء والمنكر والقتل والبغي فيجد منهم السمع والطاعة والقبول، والمبادرة إلى التنفيذ.

ولعل من الأسباب التي تُحْدِثُ في القلب غلظةً وقسوة فيغتنم إبليس اللعين ظاهرة وجودها الابتعاد أو بالأصح الإعراض عما قال الله جل شأنه، وقال رسوله ﷺ عليه وسلم ولو أن الناس تدبروا قوله تعالى في سورة يس ٧٣ و٦٤: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾. واستيقنت أنفسهم واقع المشهد الذي يصوره الله سبحانه وتعالى في قوله تعالى لهم في سورة مريم الآية ٨٥ و٨٦: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾.

وقوله تعالى في سورة السجدة الآية ١٩ و٢٠: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾. وقوله تعالى في سورة الشورى الآية ٧: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾.

يقول أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤هـ:

ما شئت كان وإن لم أشأ
وما شئت إن لم تشأ لم يكن

خلقت العباد لما قد علمت
ففي العلم يجري الفتى والمسن

فمنهم شقي ومنهم سعيد
ومنهم قبيح ومنهم حسن

على ذا مننت وهذا خذلت
وذاك أعنت وذا لم تعن

ويقول أبو العتاهية:

ويح ابن آدم كيف ترقد عينه
عن ربه ولعله غضبان

ويح ابن آدم كيف تغفل نفسه
وله بيوم حسابه استيقان

يوم انشقاق الأرض عن أهل البلى
فيها ويبدو السخط والرضوان

يوم القيامة يوم يظلم في ظلـ
ـم الظالمين ويشرق الإحسان

رفع المستهم

التجارة مصدر نمو ومركز قوة

وإذا كان الناس يشبهون فعالية المال بعصب الحياة. فإن التجارة بمفهومها الواسع وأغراضها المتعددة قوة لأي أمة تنال حظاً وافراً منها.

يقول الشاعر خليل مطران في التجارة ومنافعها وتأثيرها على حياة الفرد والمجتمع:

وفي التجارة آراب يحققها
من كان فيما تولى حازماً حصفا

هي التجارة لا يعنى بها بلد
حتى يرى وهو محل جنة أنفا

سادات عدنان لم يأبوا تعاطيها
فأي عذر لمن عن نهجهم صدفا

والشرق أثرى بها دهراً فحين جرى
بها على غير مجراهُ جنى أسفا

والتجارة تحقق للتاجر بواتقها، ومفعولها أشياء معنوية أهمها مؤازرة المجد ودعم ركائزه التي منها ما يتمثل في قرى الضيف وسد فاقة المحتاج.

قيل: إن طلحة رضى الله عنه كان يقول: اللهم ارزقني مجداً ومالاً. فلا يصلح المجد إلّا بالمال. ولا يصلح المال إلّا بالأفعال. يقول ابن طباطبا:

قد يصبر الحر على السيف
ويجزع الحر من الحيف

رفع المبسّهمّ

ويـؤثـر الـمـوت عـلـى حـالـة
يـعـجـز فـيـهـا عـن قـرى الـضـيـف

ولأرباب المال والتجارة مكانة مرموقة في المجتمع الذي يعيشون في وسطه.

قيل للحسن بن علي رضي الله عنهما: ما بال الناس يكرمون أرباب المال؟. فقال: لأن عشيقهم عندهم.

وقيل: إنه مرّ موسى بالشعبي فتزعزع له فقيل له في ذلك. فقال: رأيت ذا المال مهيباً.

وعوتب ابن أبي ليلى لتخفره لغني مرّ به. فقال: إن تعظيم ذوي المال شيء جعله الله في القلوب لا يستطاع دفعه.

ومن دعائه ﷺ: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفة والغنى».

وعن منفعة المال قال ﷺ: «نعم العون على تقوى الله المال».
وقال ابن الرومي:

لـم أر شـيـئـاً صـادقـاً نـفـعـه
لـلـمـرء كـالـدرهـم والـسـيـف

يـقـضـي لـه الـدرهـم حـاجـاتـه
والـسـيـف يـحـمـيـه مـن الـحـيـف



زرياب هو علي بن نافع

وزرياب هو أبو الحسن علي بن نافع. وقد قيل: إنه لقب بزرياب ولم يكن اسماً له.

وسبب تلقيبه بزرياب يعود لسواد لونه وفصاحة لسانه، وذلك تشبيهاً له بطائر غرد أسود. وفي بعض المعاجم اللغوية أن «زرياب» بكسر الزاء هو الذهب أو هو ماء الذهب وهو معرب عن الفارسية.

قال الدكتور محمد أحمد الحفني: وليس ثمة ما يمنع من قيام التفسيرين بالنسبة لعلي بن نافع إذ لا تناقض ولا اختلاف بينهما، فهو في منزلة الطائر الأسود الغرد الذي أطلقوا عليه اسمه من باب التشبيه، وهو أيضاً صاحب الصوت الذهبي الذي يساير تفسير المعاجم وهو جدير به.

ولقد أطلق اسم زرياب على مغنية ليست بسوداء اللون هي زرياب الواثقية إحدى المغنيات الشهيرات في العصر العباسي الأول وقد توفيت حوالي سنة ١٧٠هـ.

هذا بالنسبة لتلقيب علي بن نافع بزرياب. أما نسبه فتشير المراجع إلى أنه كان أحد موالي الخليفة المهدي المتوفى سنة ١٦٩هـ. أما عن تاريخ مولد زرياب فلم أجد فيما بحثت فيه إشارة قطعية إلى ذلك وإنما هناك تخرصاً يشير إلى أنه ولد عام ١٦٠هـ وإن صح ذلك فإنه يكون صبياً يوم مات المهدي.

ويقال: إن المهدي لما رأى نجابته وفصاحة لسانه منّ عليه بالعتق، وقد عاصر زرياب عدداً من الخلفاء وغنى بين أيديهم، منهم هارون الرشيد.

رفع المسـ هما

يقال: إن زرياباً أخذ الغناء من إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق، ولما برع زرياب في الغناء سافر من بغداد إلى الأندلس دون علم هارون الرشيد، وهناك في القيروان مكث حتى ولي الإمارة زيادة الله بن إبراهيم الأغلبي سنة ٢٠١هـ. وقد غناه مرة أغنية من شعر عنترة يمتدح بها السودان. وهي:

فإن تك أمي غرابية
من أبناء حام بها عبتني

فإني لطيف ببيض الظبا
وسمر العوالي إذا جئتني

ولولا فرارك يوم الوغى
لقدتك في الحرب أو قدتني

فغضب زيادة الله، وصب عليه جام غضبه وأمر بضربه ثم إبعاده. وقال له: إن وجدتك في شيء من بلدي بعد ثلاثة أيام ضربت عنقك، فكان لا محيص له أن يترك القيروان كما ترك بغداد، ولقد بحثت في ديوان عنترة عن الأبيات المتقدمة فلم أجدها به، وهي من حيث الموضوعية تتفق مع تعبيرات عنترة، ومنها قوله:

إذا خصمي تقاضاني بدين
قضيت الدين بالرمح الرّديني

وحد السيف يرضينا جميعاً
ويحكم بينكم عدلاً وبيني

جهلتم يا بني الأنذال قدري
وقدر عرفته أهل الخافقين

وما هدمت يدُ الحدثان ركني
ولا امتدت إلى بنان حيني

رفع المسهم

علـوت بـصـارمـي وسـنـان رمـحـي
عـلـى أفـق الـسـهـى والـفـرقـديـن

أما تاريخ وفاة زرياب فليس هناك دليل يحدد السنة التي مات، لكن الاستقراء من انقطاع أخباره يدل على أنه مات سنة ٢٣٨هـ والله أعلم.



رفع عبد الرحمن النجدي

البرغوث يعشق عض الحسان

وللشعراء مع البراغيث دور متمخض عنه معاناة تحدث في نفس كل واحد منهم غضباً وتسخطاً لا يجد معه بدّ من هجوها ومخاطبتها بلغة التهديد والوعيد بإبادتها وتتبع فلولها، وكم من شاعر أطلق لسانه في وصف البراغيث وما يصدر منها من أذىً للإنسان، ولكن هل استجابت البراغيث لذلك التهديد والوعيد؟!!.

والإجابة بالطبع: إنها لم تستجب لذلك، وإنما دخلت في صراع مرير مع الإنسان لأجيال متقدمة.

أما عصرنا هذا فقد قل الشعر المصنوع في البراغيث، بل لا نكاد نقرأ شعراً فيه تذمر من البراغيث بقدر ما نقرأ لشعراء الأعصر الماضية. فهل هذا يعني أن إنسان هذا الجيل قد تحصن من البراغيث بتصاميم الوحدات السكنية؟! أم بوسائل الإبادة الكيمائية التي يشهرها في وجه كل حشرة حتى جعلته في أمان من البراغيث وغيرها.

ولنا أن نقرأ الأشياء التي قد باح بها شعراء العصور الماضية خاصة منهم الذين عاشوا على ضفاف الأنهر والشطوط حيث تتنامى البراغيث والبعوض وغيرها مما يستاء منه الإنسان.

أقول هذا لأنني ما قرأت تذمراً من شاعر عاش في جوف الصحراء، أما الصورة التي سأعرضها في هذا الموضوع فهي الصورة التي قد طبعها الشاعر ابن شهيد الأندلسي في أبيات وصف فيها شيئاً من ذكاء البرغوث الذي يُميزُ الجسم الناعم ويختاره من بين الأجسام الأخرى كفريسة دسمة يتلذذ بنهشها:

رفع
المسـتهدم

ومُـنَـفـر لـلـنـوم مـسـكـنـه إذا
نـام الـمـلـكُ بـيـن أثـنـاء الـثـيـاب

يـسـري إلـى الأجـسـام يَـهـتـكُ عَـدْوُهُ
عن كل جسم صيغ بالنعمى حجاب

ويرى ابن شهيدٍ أنَّ البرغوث يفضل بعض الأعضاء من الجسم الذي يغزوه على البعض الآخر:

مـتـحـكـم فـي كـل جـسـم نـاعـم
مـتـدلـل مـا بـيـن ألـحـاظ الـكـعـاب

ويـعـض أرداف الـحـسـان ومـالـه
كف ولكن قوة من أعدى الحراب

ويذهب ابن شهيد إلى أن البرغوث ذكي وأنه عندما يزجر به يزدجر، لكنه يعود إلى ممارسة عيشه بجسم الإنسان:

فـإذا هـمـمـت بـزجـره ولـى ولا
يـثـنـيـه عـمـا قـد تـعـوده طـلاب

ثم بعد ذلك يصف آثار فعله في الجسم والتوقيت الذي ينفذ فيه خططه الهجومية:

وتـرى مـواضـع عـضـه مـخـضـوبـة
بـدم الـقـلـوب ومـا تـعـاوَرَهُ خـضـاب

قـرم مـن الـلـيـل الـبـهـيـم مـكـور
يـمـشـي الـبـرازَ ومـا تـواريـه ثـيـاب

عـظـمـت رَزِيّـتُـهُ ولـكـن قَـدْرُه
أخزى وأهـون من ذبـاب فـي تـراب

رفع المسهم

الغناء في زماننا

أحياناً أدير مُؤَشِّرَ المذياع باحثاً عن برنامج أدبي أو إخباري أو ثقافي أو سياسي أقضي معه فترة لا توافقني فيها رغبة في القراءة أو الكتابة فلا أعثر إلّا على برامج غنائية وموسيقية لا حصر لها.

أقول هذا لأنه صدف لي أن سمعت مغنياً عربياً تبثّ أغنيته إحدى المحطات العربية. فيا له من مغنٍّ لا يطرب إلّا نفسه، أما غيره فقد أصمى آذانهم، وأقرف نفوسهم، وعكر صفاء أمزجتهم، فلا الكلمات التي يتغنى بها ذات معنى أدبيَ رفيع، ولا صوته رخيم يطرب ولا هو ناعم بديع يشجي. ولا الآلة التي تصاحب صوته المحشرج منسجمة مع اللحن المكسر ولا هي متفقة مع الأداء المتكلف.

فالآلة الموسيقية في ناحية والصوت في ناحية أخرى، واللحن بينهما يتردد فيما يشبه المخمور، ويشكو مما يلاقيه من التكلف والقسر، ويندب حظه الذي بعثه في زمان أولئك الذين يظنون أن الغناء مجرد رفع صوت وتحريك آلة موسيقية دون أن يراعى شعور المستمع الذي ينشد انسجام الكلمة مع النغم الموسيقي المرتبط باللحن وبصوت المغني.

إن الذي يطلب من مغني زماننا ما يشنف الأذن يصاب بخيبة الأمل وتنفر منه الرغبة في الاستماع إلى الأغاني بصفة عامة، أما أنا فحينما سمعت ذلك المغني الذي سبق وصفه، التمست قول شاعر قد ساءه من المغنين أو من يسمون أنفسهم في هذا الزمان بالمطربين ما ساءني فوجدت أن الشاعر أحمد الزين قد قال شعراً صفع به خد كل

رفع المستهم

من يسيء إلى الغناء والطرب، من ذلك قوله في وصف مُغَنٍّ لا يحسن الغناء:

نَفَّرتَ طيف السرور عنّي
بحرمة الفنّ لا تغنّ

رخاوة في الغناء كادت
تُذْهب عزم الرجال منّي

أردت بين الغناء مزحا
فجاء خلطا بغير فنّ

ما بين شرق وبين غرب
حيرت في حالتيك ظنّي

في كل معنى تنوح قل لي
أنادبٌ أنت أم مغنّي

تبكي إذا ما الحبيب وافى
ما أشبه الوصل بالتجنّ

تبلد الحسُّ منك حتى
يئست في موضع التمنّي

تعذر في النوح إذ تعزي
قل لي فما العذر إذ تهني



رفع
المسيَّهم

مغنون لا يطربون إلّا أنفسهم

لا أدري هل أعمم أم أبعِّض في الحكم على أن مطربي زماننا هذا يغنون لأنفسهم ويطربون لغنائهم فيظنون أن الناس يطربون لِمَا يطربهم فيتمادون في الجعجعة والقرقعة والطخطخة، والتطبيل والتزمير المنكر دون أن يستفتوا أهل الذوق فيما يؤدونه وما يقدمونه من عمل غنائي، أو يسترشدون بل أو يستشيرون من لهم رأي في الغناء حتى يقيموا أعمالهم الغنائية بأنفسهم ويعرفون على أي درجة يقفون من سلم الطرب.

ولو أردنا البحث عن أسباب تلك الفوضى الموسيقية لوجدنا أن المغنين في زماننا هذا يعطون لأنفسهم الحكم أنهم بمجرد معرفتهم لتحريك الآلة الموسيقية أو حتى قرع الطبل قد أصبحوا مطربين وعلى درجة من الكفاءة في الغناء، وأن الناس ينظرون إليهم على أنهم أرباب مهنة ذات ذوق حسي تنقاد إليه كل أذن، ويتفاعل معه كل ذي نفس وحس.

لكن الواقع الذي يعيشونه يرفض حكمهم الوهمي ويترجم صدى أغانيهم ترجمة تثبت أنها أصوات منكرة وغير مطربة وأنها إلى إيذاء أذن سامعها أقرب منها إلى تشنيفها.

قال الشاعر المصري أحمد الزين: دعاني أحد المغنين في إحدى الليالي فحضرت إليه لأسمع غناءه فسمعت صوتاً سيئاً أشبه ما يكون بصوت الحمار، ولحناً سقيماً يقتل الذوق، ويخنق الشوق ويجلب الكآبة إلى النفس. فقلت بعد سماعي لصوته القبيح ولحنه السيئ هذه الأبيات:

رفع المسيء هما

حمار لا يمل من النهيق
يضيق به التجلد أيّ ضيق

مُغنٍ يجلب السلوى ويغني
بقايا الشوق في قلب المشوق

ثنى الأوتار لو أمست سياطا
يصب بها على الجلد الصفيق

بطانته - حماك الله - رهط
كأن صياحهم جرس الحريق

دعاني للسماع رفيق سوء
فقلت عرفت عذري يا رفيق

وكانت ليلة يا ليت أني
دفعت بها لقطاع الطريق

وأوسعنا مغنيها غناءً
يزيل السكر من كأس رحيق

جزى الله المغني كل خير
عرفت به عدوي من صديقي



رفع المسهم

صمَّم على الانتحار فرثى نفسه

في ديوان ابن شهيد: واسمه أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن أحمد بن شهيد بن عيسى بن الوضاح الأشجعي. رواية تحقق أنه مرض مرضاً شديداً أقعده وأنه لم يبق في جسمه شيء لم يصب بالشلل عدا ذاكرته وحواسه، وأنه سئم وملّ من الحياة وتمنى الموت حيث طال به الزمن في المرض، بل إنه أخذ يفكر في شيء يريحه مما يعاني فلم يجد وسيلة للتخلص من ثقل الحياة وألم المرض إلّا التفكير في الانتحار.

وقد عزم على أن ينتحر لكنه رأى أن يرثي نفسه قبل أن ينفذ جريمة قتل نفسه فقال قصيدة منها قوله:

أنوح على نفسي وأندب نبلها
إذا أنا في الضراء أزمعت قتلها

رضيت قضاء الله في كل حالة
علي وأحكاماً تيقنت عدلها

أظل قعيد الدار تجنبني العصا
على ضعف ساق أوهن السقم رجلها

وأنعى خسيسات ابن آدم عاملاً
براحة طفل أحكم الضر نصلها

ألا رب خصم قد كفيت وكربةٍ
كشفت ودار كنت في المحل ويلها

رفع
المسهم

ورب قـريـض كـالـجـريـض بـعـثـتـه
إلى خطبة لا ينكر الجمع فضلها

فـمـن مـبـلـغ الـفـتـيـان أن أخـاهـم
أخـو فـتـكـة شـنـعـاء مـا كـان شـكـلـهـا

عـلـيـكـم سـلام من فتى عضه الردى
ولـم ينس عيـنـاً أثـبـتـت فـيـه نـبـلـهـا

وبعد هذه القصيدة كتب ابن شهيد وصية حدد فيها المقبرة التي يرغب في أن يدفن فيها، وأوصى بأن يهال التراب على جثمانه ولا يقام فوق قبره قبو من طوب أو حاجز من خشب، وسمى الشخص الذي رغب إليه أن يقوم بمراسيم دفنه.

لكنه وكما جاء في الرواية تخلص من تفكيره في الانتحار بعد نزاع شديد مع نفسه، وأخذ يصارع المرض إلى أن مات.

وقد روي عن ابن بسام قوله: كان ابن شهيد كثيراً ما يخشى صعوبة الموت، وشدة السوق، فيسر الله عليه، وما زال يتكلم ويرغب إلى الله أن يرفق به ويكثر من ذكره.

وقد قبض الله نفسه ضحى الجمعة ٢٩ جمادى الأولى عام ٤٢٦هـ الموافق ١٢ أبريل عام ١٠٣٥م وكان في الثالثة والأربعين من عمره.



رفع
المسهم

أبو الشيص هو لقب لمحمد بن عبد الله، وليس اسماً له!!

ونسب أبو الشيص هو محمد بن عبد الله بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل بن خراش الخزاعي وهو ابن عم دعبل بن علي بن رزين، وأبو الشيص لقب غلب عليه ولم أجد فيما بحثت فيه ما يشير إلى سبب تلقيبه بأبي الشيص، وقبلي الأستاذ عبد الله الجبوري الذي جمع شعر أبي الشيص لم يعثر على سبب لتلقيبه بأَبي الشيص، وقد اكتفى عند مروره بهذا اللقب بتعريف الشيص من حيث اللغة فقال نقلاً عن المعاجم اللغوية: الشيص بكسر الشين، تمر لا يشتد نواه وقد لا يكون له نوى، وقيل: هو رديء التمر واحدته شيصة وشيصاء وقيل: هو فارسي معرب، والشيص أيضاً وجع الضرس أو البطن لغة في الشوص.

وأشار إلى أن ابن النديم قد ذكر أن لأبي الشيص ديواناً صنعه أبو بكر الصولي المتوفى سنة ٢٤٣ هجرية وأنه يقع في مائة وخمسين ورقة.

وكتب الأدب لم تخلُ من ذكر أبي الشيص وأشعاره لكنها تأتي على هيئة شواهد وشوارد وليست بقصائد طوال، حتى أن أبا فرج الأصبهاني وهو الذي كثيراً ما يستقصي أخبار الشعراء وينقب عن نوادرهم لم يأت بما يشفي.

وأما الاستشهاد على أنه شاعر يشار إليه فقد ورد من الكتب كـ «الأغاني»، و«معاهد التنصيص»، و«تاريخ بغداد»، و«طبقات الشعراء» لابن قتيبة، و«العمدة» لابن رشيق ما يفيد ذلك.

رفع عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

وذلك كقول ابن كثير: كان أستاذ شعراء عصره، وإنشاء الشعر عنده أسهل عليه من شرب الماء.

ونقل ابن المعتز عن أبي خالد العامري قوله: من أخبرك أنه كان في الدنيا أشعر من أبي الشيص فكذّبه، والله لكأن الشعر أهون عليه من شرب الماء على العطشان.

ثم قال: وكان من أوصف الناس للشراب، وأمدحهم للملوك، وكان سريع الهاجس جداً فيما ذكر عنه.

وأبو الشيص كان يكنى بأبي جعفر وأنه مات أعمى، وقد ذكر صلاح الدين الصفدي في كتابه «نكت الهيمان في نكت العميان» أبا الشيص وقال عنه نقلاً عن ابن الجوزي، أنه توفي سنة ١٩٦هـ وقد كف بصره، ثم ذكر بعض ما هو مشهور عنه من قول، ومنه قوله:

لا تـنـكـري صـدي ولا إعـراضـي

لـيـس الـمـقـل عـن الـزمـان بـراضـي

وهذا البيت من قصيدة تضمنها ديوانه وقد امتدح بها عقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعي وهي تبلغ نحواً من سبعة وعشرين بيتاً منها قوله:

حلي عقال مطيتي لا عن قلى

وامـضـي فـإنـي يـا أمـيـمـة مـاض

عـوضـت عـن بـرد الـشـبـاب مـلاءة

خـلـقـاً وبـئـس مـعـوضـة الـمـعـتـاض

أيـام أفـراس الـشـبـاب جـوامـح

تـأبـى أعـنـتـهـا عـلـى الـرواض

وركـائـب صـرفـت إلـيـك وجـوهـهـا

نـكـبـات دهـر لـلـفـتـى عـضّـاض

ولـقـد أتـتـك عـلـى الـزمـان سـواخـطاً

فـرجـعـن عـنـك وهـن عـنـه رواض

إن الأمـــان مـــن الـــزمـــان وريـبـه

يـا عـقـب شـطّـا بـحـرك الـفـيـاض

بـحـر يـلـوذ الـمـعـتـفـون بـنـيـلـه

فـعـم الـجـداول مـتـرع الأحـواض

قال أبو الشيص: وأمر عقبه أن تعد أبياتها وأعطاني لكل بيت ألف درهم.



رفع المسهم

هذه القصة المثيرة هي نهاية حياة أبي الشيص!!

ويهتم الإخباريون وأهل التأليف بجمع أخبار الأعلام وترجمة حياتهم فيذكرون زمان ومكان ولادتهم ومكان وزمان وفاتهم ونشاطاتهم الثقافية، واتجاهاتهم السياسية والأدبية والفروسية، كما أن لهم حرص على البحث عن نهاية حياة كل علم من الأعلام الذين يجرون دراسة عن حياته وأخباره ونسبه وكل ما له علاقة بسيرته الذاتية.

وأبو الشيص الذي ذكرت شيئاً من أخباره في موضوع تقدم في هذا الجزء تحت عنوان «أبو الشيص هو لقب لمحمد بن عبد الله وليس اسماً له» يعدّ واحداً من الذين كانت لنهاية حياتهم قصة مثيرة، وطريفة في نفس الوقت.

وقد أوردها أبو الفرج الأصبهاني في كتابه «الأغاني» ملخصها ما يلي: كان أبو الشيص عند عقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعي يشرب الخمر فلما ثمل نام عنده، ثم انتبه في بعض الليل فذهب إلى خادم له فوجأه الخادم بسكين فقال له وهو ينازع الموت: ويحك قتلتني والله، وما أحب أن أفتضح أني قتلت في مثل هذا ولا تفضح أنت بي، ولكن خذ دستيجة ـ يعني زجاجة خمر ـ فاكسرها ولونها بدمي، واجعل زجاجها في الجرح، فإذا سئلت عن خبري فقل: إني سقطت في سكري على ألد ستيجة فانكسرت فقتلتني، ومات من ساعته، ففعل الخادم ما أمره به، ودفن أبو الشيص في يوم من أيام عام ١٩٦هـ وجزع عقبة بن جعفر عليه جزعاً شديداً، فلما كان بعد أيام سكر الخادم فصدق عقبة عن خبره، وأنه هو الذي قتله، فلم يلبث أن قام إليه بسيفه فلم يزل يضربه حتى قتله.

رفع المسـ هما

ويحسن بنا أن نعرف لأبي الشيص ما عده من جيد شعره ومشهوره وهو قوله:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي
متأخر عنه ولا متقدم

وأهنتني فأهنت نفسي جاهداً
ما من يهون عليك ممن يكرم

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم
إذا كان حظي منك حظي منهم

أجد الملامة في هواك لذيذة
حباً لذكرك فليلمني اللوم

وقوله:

أصبت المدام بريق الغمام
وقد زرّ جيب قميص الظلام

فشابت نواصي الدجى وانفرى
عن الصبح سربال ليل التمام

حبوت بها صحن قارورة
فأضحكتها عن لسان الضرام

يطوف علينا بها أحور
كحول بعينيه ثقل المدام



رفع عبد الرحمن الهجري المسترهم

عقوق ولذعات مؤلمات

واستمراراً لما كتبته عن لذعات ابن عنين تحت عنوان «لذعات في أبيات» أضيف هنا شيئاً من عقوقه لوالده، وبعضاً من لذعاته لمعارفه.

عقوقه:

وعقوق ابن عنين لوالده كان فاحشاً بلغ فيه درجة اتهام أبيه بأن عرقه فاسد وذلك بقوله:

وجنبني أن أفعل الخير والدُ
ضئيل إذا ما عد أهلُ المناسب

بعيد عن الحسنى قريب من الخنا
وضيع مساعي الخير جمُّ المعايب

إذا رمت أن أسمو صعوداً إلى العلى
غدا عرقه نحو الدنية جاذبي

لذعه:

ومن لذعات ابن عنين المؤلمة أو مداعباته القاسية ما يروى أنه قال في ابن السائق، وقد كان ابن السائق وكيلاً على دار الزكاة وقد بنى له داراً فقال فيه:

وسائق الصبيان أضحى ابنه
يسرق من دار الزكاة الذهب

رفع عبد الرحمن الهجري

لا تـــســـألـــوه واســـألـــوا داره
فــإنــهــا تــخــبــر عــمــا نــهــب

لذعة أخرى:

وقال في الطبيب عبد العزيز الأشرف المتوفى سنة ٦٠٤ هجرية:

فراري ولا خلف الخطيب جماعة
ومـوت ولا عـبـد الـعـزيـز طـبـيـب

لذعة أخرى:

وقال في جماعة سماهم بقوله:

في دولـة الـمـلـك الـمـعـظـم خـمـسـة
لا يـؤمـنـون عـلـى قـشـور الـطـحـلـب
صـهـر الـمـكـرم والـمـكـرم وابـنـه
والـحـاكـم الـمـصـري وابـن الـتـنّـبـي

قال الأستاذ خليل بك محقق ديوان ابن عنين: إن المكرم هو جمال الدين إبراهيم المعروف بصهر المكرم خطيب دومة المتوفى سنة ٦٥٦ هجرية نقلاً عن «ذيل الروضتين» وأن ابن التنبي هو: الرئيس الأجل أبو القاسم عبد المجيد بن صاعد بن سلامة الأنصاري، نقلاً عن كتاب: «تكملة إكمال الكمال».



رفع المسيهما

رسالة شعرية، من العشماوي إلى مرال الأفغانية

يطالعنا شاعرنا المعاصر عبد الرحمٰن صالح العشماوي، الذي أخذ من المتنبي شاعريته ومن أبي تمام أسلوبه ومن البحتري قوة تعبيره.

أقول: يطالعنا بين آونة وأخرى برائعة من روائعه الشعرية التي تتمثل فيها الأصالة وتنطوي في معانيها الحماسة للدين والوطن والمجتمع.

ونتاجه الشعري ما هو إلّا تعبير صادق عن طربه لكل عمل فيه خدمة للأمة العربية والإسلامية.

والمتتبع لقصائده يجد أنه يلقي نظرة تقديرية على كل إنتاج وعمل ذي قيمة أدبية ليزيد من نشاط وحماس صاحبه وليدفعه لمواكبة المسيرة الحضارية التي تمضي في ركابها أمتنا الإسلامية.

وكنموذج لمؤازرته لأصحاب الأقلام من ذوي الضمائر الحية التي تستنير بضياء الإيمان في حب أوطانها نجده يبعث برسالة شعرية إلى «مرال» الأفغانية على إحدى صفحات العدد «٣٥٠» ليوم الجمعة ١١/ ٤/ ١٤١٢هـ من جريدة «المسلمون» يشير فيها إلى الأسباب والإيحاءات التي تمخضت عنها رسالته الشعرية الرائعة بما نصه.

«مرال معروف» أديبة أفغانية مسلمة مجاهدة فجرت مأساة بلادها موهبتها الأدبية فكتبت بعض القصص التي تصور مشاعرها تجاه أعداء الإسلام في بلادها.

وقد نشرت «المسلمون» في عددها ٣٤٧ مقالة للدكتور محمد حرب عن مرال وأدبها، كما نشرت أيضاً مقطعاً من قصة لها بعنوان

«الهروب» تصور فيها بأسلوب أدبي رائع مأساة هروبها من بلادها وقسوة الشيوعيين عليها، وقد شعرت بتفاعل كبير مع القصة الرائعة لما فيها من إبداع ولما فيها من سمو في الهدف، ومن تصور إسلامي صادق، ومن حرص كبير على الحشمة والعفاف، فكانت هذه القصيدة، انتهى.

أما القصيدة فتبلغ ٣٧ بيتاً منها قوله:

«مـرال» لـقـد أبـدى يـراعـك قـدرة
وحـرك جـرحـاً في الـفـؤاد مـسـومـا

طـلـعـت إلـيـنـا من زوايـا صـحـيـفـة
تـحـاول أن تـبـنـي الـجـدار الـمـهـدمـا

حـروفـك يـا أخـتـاه تـبـدو مـضـيـئـة
وتـعـرض فـنـاً في الـكـتـابـة مـحـكـمـا

ومنها قوله:

«مـرال» أيـا أخـتـاه سـيـري ورددي
حـديـثـاً صـحـيـحـاً بـالـدلـيـل مـدعـمـا

وقـولـي لـمـن يـلـبـسـن أثـواب غـفـلـة
أفـقـن ولا تـصـبـحـن لـلـغـي سـلـمـا

«مـرال» أيـا أخـتـاه أمـتـنـا غـدت
شـتـاتـاً ووجـه الـمـكـرمـات تـهـشـمـا

وقوله:

«مـرال» لـنـا يـوم سـتـشـرق شـمـسـه
وتكشف ما أخفى الظلام من الدمى

بـمـثـلـك يـا أخـتـاه تـسـعـد أمـتـي
ويـنـطـق مـن أبـنـائـهـا مـن تـلـعـثـمـا

رفع المسهم

العجاج.. فحل الأراجيز[1]

والعجاج يكنى أبا الشعثاء، والشعثاء كبرى بناته فيما يظهر أما اسمه فهو كما ترجم له الأصمعي: عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر بن كتيف بن عميرة، ينتهي نسبه إلى أدّ بن طابخة بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وقد عقدت موضوعاً عن سبب تلقيبه بالعجاج تحت عنوان «العجاج هو عبد الله بن رؤبة»، والذي يقرأ ديوان العجاج يدرك أنه قد اختص في صناعة الأراجيز وبرز فيها بروزاً لا يناظره فيه أحد من الشعراء فهو بحق فحل الأراجيز.

ولقد اعتنى برواية ديوانه أكثر من راوية فحل، ورواية الأصمعي وشرحه هي أكثر النسخ انتشاراً، وهي التي تولى بعض الدارسين تحقيقها.

ثم نأتي على ما يدل على أن أراجيز العجاج لم يَشُبْهَا عجمة ولم يكتنفها رثاثة أو ضعف فنرى أن ابن منظور وغيره من أصحاب المعاجم اللغوية قد استشهدوا بالشيء الكثير من شعر العجاج فقل أن تقرأ فصلاً من باب فيها إلّا وتجد فيه شاهداً من رجز العجاج.

وتشير التراجم إلى أن العجاج ولد في الجاهلية ونشأ فيها نشأته الأولى، وفي الإسلام أدرك الصحابة الأولين، ولقي أبا هريرة وروى عنه أحاديثاً وسأله عن الحرج في قول الغزل في رجزه، فقد روى عنه

---

(١) كتبت هذا الموضوع فجر يوم الثلاثاء ٢ ربيع الأول، سنة ١٤١٢هـ بمدينة الباحة حيث قضيت أيimات من فصل صيف ذلك العام فيها.

ابنه رؤبة أنه قال: وردت المدينة فأتيت أبا هريرة، فقلت: يا صاحب رسول الله إني رجل أقول من هذا الرجز شيئاً فهل ترى عليّ فيه حرجاً؟ فقال: أسمعني ما قلت: قال: فأنشدته:

طاف الخيالان فهاجا سقما

خيال تكنى وخيال تكتما

قامت تربك رهبة أن تصرما

ساقاً بخنداة وكعباً أدرما

فقال: قد كان رسول الله ﷺ ينشد مثل هذا فلا يرى بأساً.

وعمَّر العجاج طويلاً وعاش إلى أواخر القرن الأول من الهجرة، وقد روي أنه وفد على الوليد بن عبد الملك مع ابنه رؤبة وغيره من الشعراء الذين أرسلهم الحجاج بن يوسف ليلقوه حين ولي الخلافة وكانت ولاية الوليد الخلافة في سنة ٨٦هـ وتوفي سنة ٩٦هـ.

أما الأبيات التي سأل عن الحرج في قولها فهي من أرجوزة قوامها اثنين وأربعين بيتاً منها قوله:

وكفلاً وعثاً وكشحاً أهضما

وفخذاً لفاء تمت عِظما

ومأكمات يرتجحن ورما

فالحمد لله الذي قد أنعما



امرؤ القيس.. لقب وليس اسماً

قد يراهن بعض المثقفين على اسم الشاعر الذي لُقِّب بالملك الضليل ولقب بذي القروح ونعت بأمير الشعراء أو بحامل لوائهم - امرئ القيس - بينما اسمه الحقيقي (جندح) وجندح تعني الرملة الطيبة تنبت نباتاً حسناً.

والناسبون يقولون هو: جندح بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر، آكل المرار بن عمرو بن الحارث بن معاوية بن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة بن عفير بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن عمرو بن مسمع بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وامرؤ القيس لقبٌ لُقِّبَ به فغلب على اسمه وعرف به، ويظهر لي وإن لم يكن هناك إشارة واضحة تعلل سبب تلقيبه بامرئ القيس أنه قد لقب بذلك لشدة وقوة عزيمته وصرامته.

فامرؤ القيس كما يقولون: هو الرجل الشديد ذو القوة، هذا بالنسبة لاسمه أما حياته فكلها مليئة بالأحداث والأخبار الطريفة والمثيرة، ولا يمكن حصرها في مثل هذا الموضوع.

ولكن سأنقل طرفاً بسيطاً منها وهو أنه حكي أنه دبّ الفساد في قبائل نزار فاجتمع أشرافهم فرأوا أن يولوا أمرهم الحارث بن عمرو جد امرئ القيس فجاؤوا إليه وعاهدوه على السمع والطاعة، وكان له خمسة أولاد فأمرهم في قبائل العرب فكان حجر أبو امرئ القيس ملكاً على بني أسد وغطفان واستتب له الأمر وبقي حكمه فيهم ٦٠ سنة وولد له

رفع المسـ هم

أثناء ذلك فيمن ولد له امرئ القيس وكان أصغرهم، وكان كثير التردد على أخواله بني تغلب فتعلم الشعر من خاله امرئ القيس بن ربيعة الملقب بالمهلهل المشهور، وقد وصف جندح بالفروسية وذكاء الطبع وطلاقة اللسان واتقاد الذهن.

أما زمان ومكان وفاته فيحقق أهل السير والإخباريون بأنه مات في أنقرة بتركيا وذلك فيما بين سنة ٥٣٠ و٥٤٠ للميلاد.

وسوف أنقل شيئاً مما قرأته عن سبب وفاته في موضوع آخر إن شاء الله.

ويستحسن أن أختم هذه الترجمة التي نقلتها عن السيد حسن السندوبي الذي بذل في تأليف ديوان امرئ القيس جهداً يشكر عليه أن أقتطف بعضاً من تشبيهاته الجميلة التي منها قوله:

رمتني بسهم أصاب الفؤاد
غداة الرحيل فلم أنتصر

فأسبل دمعي كغضّ الجمان
أو الدر رقراقهُ المنحدر

وإذ هي تمشي كمشي النزيف
يصرعه بالكثيب البهر

برهرهة رودة رخصة
كخرعوبة البانة المنفطر

فتور القيام قطيع الكلام
تفتر عن ذي غروب خصر

كأن المدام وصوب الغمام
وريح الخزامى ونشر القطر

رفع المسهم

يـــعـــل بـــه يـــرد أنـــيـــابـــهـــا
إذا طـــرب الـــطـــائـــر الـــمـــســـتـــحـــر

فَـــبِـــتُّ أكـــابـــد لـــيـــل الـــتـــمـــام
والـــقـــلـــب مـــن خـــشـــيـــةٍ مُـــقـــشـــعـــر



رفع المسهم

الجمال المزيف ينصرف عنه النظر

كنت أظن أن الشاعر السعودي سالم بن علي بن سالم الكلباني لمّا قال:

سامحيني إذا أشحت بطرفي
عن شباب لديك يغوي الرشيدا

وتعاميت عن جمال بديع
كان يهدي لعيني التسهيدا

وتحصنت ضد كل اقتحام
منك مستحدثاً كفاحاً مجيداً

قد تنسك واستمسك بمبدأ إسلامي يؤكد على غض الطرف، وأنه لم يعد من الذين يدغدغ الهوى قلوبهم، ويوقظ ثورة العشق في نفوسهم متابعة النظر، وأنه ما صرف نظره إلّا عن تزهد وورع، كما كنت أظنه سيتبع هذه الأبيات ما يؤكد به أنه في طريقه إلى محرابه، وأنه يحرم على نفسه حتى النظرة الأولى التي هي مباحة له، لكنه أتى بما ليس في الحسبان إذ فسّر صدوده عن رؤية الحسان تفسيراً ينافي ظاهرةً قد مارسها معظم النساء ألا وهي ظاهرة التقنع بالجمال المزيف الذي يبرزه المكياج المتمثل في المساحيق الكيميائية ثم ما يلبث أن يزول ويعود كل شيء إلى طبيعته الحسن حسن والقبيح قبيح بل ربما أحال الحسن بكثرة استعماله إلى قبيح.

ويقرب الكلباني من الإشارة إلى أن النساء قتلن جمالهن الطبيعي بالتجمل بالأصباغ والمساحيق التي تسبب تجعدات ورخاوة في جلدة الوجه، يقول في سبب صرف نظره عن الحسان:

رفع المسبهم

فقد الحسن روحه حين أضحى

يتلقّى من غشهن المزيدا

كل شيء عهدت فيك طرياً

صار إما مثلجاً أو قديدا

ليس هذا الذي نريد فخلّي

عنك حسناً مزيفاً لن يفيدا

إن خير الجمال ما جاء عفواً

لم يُعَبدْ بمهنة بعبيدا

صبغة الله لا تزيدي عليها

عبث الخلق واحذري التقليدا

والقصيدة أطول من ذلك بكثير إذ تبلغ ثلاثة وعشرين بيتاً نشرتها له «المجلة العربية» في عددها ١٦٨ لشهر محرم سنة ١٤١٢ هجرية.



رفع المسهم

مدينة تاريخية

تهتم بعض الصحف السعودية بنشر بعض الدراسات عن بعض المدن التاريخية ففي مجلة «الفيصل» العدد ١٦٤ صفر عام ١٤١١ هجرية نشر موضوع محلي بالصور الفوتغرافية أعده ابريم عبد الرزاق، وابريم ميلود عن مدينة الوادي، أو أرض سوف.

جاء فيه أن تلك المدينة تقع في الجزائر وهي تبعد عن الجزائر العاصمة ٦٥٠ كم في اتجاه الجنوب الشرقي ويحدها من الشمال مدينتي بسكرة ـ وتبسة ـ، ومن الجنوب مدينة «غداس» بليبيا، ومن الجهة الغربية كل من مدينتي ـ تقرت، وورقله ـ ومن الشرق مدينة ـ تورز ـ بتونس، ومساحتها ٨٠٠٠٠ كم مربع وعدد سكانها ٣٨٠٠٠٠ نسمة حسب إحصائيات سنة ١٩٨٧م.

وقد تضاربت الأقوال حول أصل تسميتها مدينة الوادي حيث يعتقد القدماء بأن أرض سوف كانت في غابر الأزمان تسمى بـ «الظاهرة» حيث سميت بذلك لأنها أول قطعة ظهرت بعد أرض «نفطة» مدينة بتونس، حيث انحصر عنها ماء الطوفان كما أن أرض «نفزاوه» ظهر منها جانب من ذلك العهد وإلى الآن يسمى ب «الظاهرة»، ثم أصبحت تسمى أرض سوف لأنه قيل: إنها كانت محلاً لأهل الصوفية حيث كان كل عابد من أهل التصوف ينقطع للعبادة فيها، وقيل أيضاً: إن كلمة (سوف) مأخوذة من لفظة «أزوف» وهي كلمة بربرية معناها الوادي.

وبحكم اختلاف تداول الألسنة حرفت وصارت «سوف» ويعتقد كذلك أنه بهذه الأرض رجلاً عالماً أي صاحب حكمة يسمى بـ «ذا السوف» فسميت هذه المنطقة باسمه، والسوف لغة معناها العلم والحكمة.

وقيل: إنه حين أتى «الطرود» إحدى القبائل التي كانت وما زالت تسكن مدينة الوادي إلى هذه النواحي قالوا: لنسكن تلك السوف أي «الأحقاف والكثبان الرملية العالية» وهي مدينة عريقة ذات طابع عمراني عربي أصيل. وهي مدينة الألف قبة، وقد تغنى بجمالها الشعراء كشاعر الثورة الجزائرية (مفدي زكريا) الذي يقول في «إلياذة الجزائر»:

ويا وادي سوف العربي الأمين
ومعقل أبطالنا الثائرين

ومأوى المناجيد من أرضنا
وأرض عشيرتنا الأقربين

ودرب السلاح لأوراسنا
وقد ضاقت السبل بالسالكين

أينسى ابن شهرة أجرارنا
تلقف رايته باليمين

أننسى ثلاثة أيام نحس
و «سوستال» يندب في النائحين[1]

وأخضر يحصد حمر الحواصـ
ـل فيها ويقطع منها الوتين[2]

وضرغامها الهاشمي الشريف
يذيق بواز العذاب المهين

وكم كان سوف لضم الصفوف
وجمع الشتات الحريص الضمين

---

(١)و(٢) يقصد بأخضر: المجاهد محمد الأخضر الذي أباد جيش العدو الفرنسي بقيادة «سوستال» كان ذلك في أغسطس ١٩٥٥م.

رفع المسهم

رأي علماء الأدب في الرجز

ولما أصبح الرجز فناً من فنون الشعر وبحراً من بحوره اتجهت نحوه النظرات وكثرت فيه القراءات وتضاربت آراء النقاد حول مفهومه وواقعه.

وقال بعض من كبار علماء الأدب رأيه فيه، فالجاحظ قال عن الرجز في كتابه «البيان والتبيين»: وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكر ولا استعانة، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام وإلى رجز يوم الخصام أو حين يمتح على رأس بئر أو يحدو بعير، أو عند المقارعة أو المناقلة، أو عند صراع أو في حرب، فما هو إلّا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب وإلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني أرسالاً وتنثال عليه الألفاظ انثيالاً.

أما أبو العلاء المعرّي فقد تصور في فلسفته في رسالة الغفران أن بيوت شعراء الرجز في الجنة أقل مستوى عن قصور سائر الشعراء، حيث يقول عن رحلة بن قارح في الجنة: ويمر بأبيات ليس لها سموق أبيات الجنة فيسأل عنها فيقال: هذه جنة الرجز، فيقول: تبارك العزيز الوهاب، لقد صدق الحديث المروي: إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها، وإن الرجز لمن سفساف القريض، وقيل ليونس: من أشعر الناس؟ قال: العجاج، ورؤبة فقيل له: ولم؟ لم نَعْنِ الرجاز فقال: هم أشعر من أهل القصيد، إنما الشعر كلام، وأجوده أشعره.

والذين يحطون من قيمة الرجز يسمونه (حمار الشعر) لأنه في

زعمهم سهل الركوب، لكن الأصمعي وهو أحد علماء الأدب وأبرز الرواة يعكس هذا الكلام، حيث تفيد المصادر الأدبية أنه قد بلغ اهتمامه بالرجز درجة جعلته يلقي على تلاميذه دروساً في أراجيز العجاج وأملى عليهم شروحاً لها، فكان من تلك الدروس «ديوان العجاج» برواية الأصمعي وشرحه، الذي هو بين أيدينا الآن.

ومن رجز رؤبة بن العجاج هذه الأشطر التالية من أرجوزة طويلة له:

إذا القروم اصطخب اصطخابها
وأصلقت من حرد أنيابها
أسكت خوف ردّنا قبقابها
وإن تميم بذخت صعابها
أذل أعناق العدى جذابها
بالحصد أو مختنق سآبها
وكسرها الأعناق واعتصابها
عرساً وهرساً معكا جرابها



قصيدة الاستسقاء

وقصيدة الاستسقاء هي للضمدي، قاضي ضمد الذي ترجم له وحقق قصيدته تلك تحقيقاً شمل ذكر مناسبتها الدكتور عبد الله بن محمد بن حسين أبو داهش في بحث أدبي نشرته له جريدة «الرياض» في عددها ٨٣٨٠ الثلاثاء ذي القعدة سنة ١٤١١هـ، وقد جاء فيه أن الضمد هو محمد بن علي بن عمر بن يوسف الضمدي التهامي من آل عمر الأسرة المشهورة بضمد.

وأنه ولد عام ٨٨٣هـ وتوفي عام ٩٩٠هـ، على أن هناك قول بأنه توفي سنة ٩٨٨هـ، وهو يعد من شعراء تهامة.

وقد ذكر أبو داهش أسماء مشائخ الضمدي وتنقلاته لطلب العلم حتى حصل على إجازة من الإمام شرف الدين إبان رحلته إلى اليمن، ومن الحافظ أحمد بن حجر الهيثمي في عام ٩٦٦هـ ثم عاد إلى بلدته ضمد وانصرف إلى التدريس والفتيا، وبه أصبحت ضمد مركزاً مشهوراً بالمخلاف السليماني بتهامة.

أما قصيدته الاستسقائية فخرج الناس لصلاة الاستسقاء وبعد الصلاة قام القاضي محمد بن علي الضمدي وارتجل قصيدة على قافية اللام كلها دعاء واستغاثة وتلهف وترحم ولجوء إلى الله وسؤال وتذلل.

وقد سماها الدكتور أبو داهش «لامية الضمدي»، ويذكر الراوي أن الضمدي ما أكمل قصيدته حتى منّ الله سبحانه وتعالى بالمطر.

والقصيدة طويلة إذ تبلغ نحواً من سبعة وأربعين بيتاً كلها من الأسلوب على الصفة التي ذكرتها، أقتطف منها الأبيات التالية:

رفع عبد الرحمن الهميس

إن مسّنا الضر أو ضاقت بنا الحيل
فلن يخيب لنا في ربنا أمل

فلا ملاذ ولا ملجأ سواك ولا
إلّا إليك لحي عنك مرتحل

فاشمل عبادك بالخيرات إنهم
على الضرورة والشكوى قد اشتملوا

واسق البلاد بغيث مسبل غدق
مبارك مرجحن مزنه هطل

سح عميم ملث القطر ملتعق
لرعده في هوامي سحبه زجل

تكسى به الأرض ألواناً منمنمة
من النبات عليه الوشي والحلل

وتخصب الأرض في شام وفي يمن
به وتحيا سهول الأرض والجبل

يا رب عطفاً فإن المسلمين معاً
مما يقاسون في أكبادهم شعل



رفع
المسلم هما

الأخطل.. لقب لغياث بن غوث

ونسب الأخطل كما جاء في «الأغاني» هو غياث بن غوث بن الصلت بن الطارفة ويقال: ابن سيحان بن عمرو بن الفدوكس بن عمرو بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب وقيل: غياث بن غوث بن سلمة، ويكنى بأبي مالك، وهناك عدة روايات تشير إلى سبب تلقيبه بالأخطل منها أنه هجا رجلاً من قومه فقال له: يا غلام إنك لأخطل فغلبت عليه ومنها أن عتبة بن عمرو التغلبي حمل حمالة فأتى قومه يسأل فيها فجعل الأخطل يتكلم وهو يومئذ غلام فقال عتبة: من هذا الغلام الأخطل، فلقب به.

ومنها أن كعب بن جميل كان شاعر تغلب وكان لا يأتي منهم قوماً إلّا أكرموه وضربوا له قبة حتى أنه كان تمدّ له حبال بين وتدين فتملأ له غنماً فأتى في مالك بن جشم ففعلوا ذلك به، فجاء الأخطل وهو غلام فأخرج الغنم وطردها فسبّه عتبة وردّ الغنم إلى مواضعها فعاد وأخرجها وكعب ينظر إليه، فقال: إن غلامكم هذا لأخطل، والأخطل السفيه فغلب عليه.

ومنها أن القحذمي قال: وقع بين ابني جعيل وأمهما درء من كلام فأدخلوا الأخطل بينهم فقال الأخطل :

لعمرك إنني وابني جعيل
وأمهما لأستار لئيم

فقال ابن جعيل: يا غلام إن هذا لخطل من رأيك ولولا أن أمي سمية أمك لتركت أمك يحدو بها الركبان، فسمي الأخطل بذلك وكان اسم أمهما وأم الأخطل (ليلى).

رفع المسـهـم

والأخطل هو ثالث ثلاثة الذين حصلت بينهم معارك شعرية يضرب بها المثل وقد أخذت نقائضهم مكاناً مرموقاً في ساحة الأدب وشهرة لدى الرواة، وهم: جرير والفرزدق، والأخطل، وقد يعدُّ بعض الرواة الشاعر الراعي النميري في جملتهم.

ويروى أنه سئل جرير بعدما مات الأخطل أهو أشعر أم الأخطل؟ فقال في تواضع: أدركت الأخطل وله ناب واحد «كناية عن كبر السن» ولو أدركته وله ناب آخر لأكلني به، ولكني أعانتني عليه خصلتان: كبر سن، وخبث دين، يعني أن الأخطل نصراني ولا يستطيع أن يفاخر بالإسلام وآدابه.

ويروى أن سليمان بن عبد الملك سأل عمر بن عبد العزيز، أجرير أشعر أم الأخطل؟، فقال: إن الأخطل ضيق عليه كفره القول، وإن جريراً أوسع عليه إسلامه قوله.

ومنهج الأخطل في الشعر وصف الخمر والهجاء والمدح، فمن مدحه للوليد بن عبد الملك قوله:

لولا الوليد وأسباب تناولني
بهن يوم اجتماع الناس بالثلم

إذاً لكنت كمن أودى وودّأه
أهل القرابة بين اللحد والرجم

أهلي فداؤك يوم المجرمون بها
مقاسم المال أو مغض على ألم

يوم المقامات والأموال محضرة
حول امرئ غير ضجاج ولا برم

بالثني تضرب عنه الناس شرطته
كالليث تحت ظلال الغابة الضرم

رفع المسهم

إن ابن مروان أسقاني على ظمأ
بسجل لا عاتم ريا ولا خذم

لا يحرم السائل الدنيا إذا عرضت
ولا يعوذ منه المال بالقسم



رفع المسهم

الإنسان الأخير

و«الإنسان الأخير» هو عنوان لقصيدة طويلة قوامها أربعين بيتاً للشاعر والمفكر الإسلامي الشهير سيد قطب، وهو يعني بالأخير: الإنسان الذي عايشه وعاصره فكان أدرى به وبطبعه، وأعلم بخصائص منهجه وأسلوب حياته الذي تتحكم فيه الماديات تحكماً جعله بينه وبين سلفه بوناً شاسعاً في ممارسة الحياة وفرقاً واضحاً في طريقة تعامله وتعايشه مع ظروف حياته ومجتمعه:

صحا ذات يوم حين تصحو البواكر
وتستيقظ الدنيا وتجلو الدياجر

ولم تجد صحوته تلك بشيء ذي قيمة أدبية أو معنى من المعاني التي حققها سلفه:

ولكنه لم يلف بالكون نأمة
تنم على حي ولم يهف خاطر[1]

ففي نفسه ما يشبه الموت سكرة
ومن حوله موت نمته المقابر

ولمّا أدرك أن الأمر غير ما كان عليه سلفه، وأن الحياة التي يحياها لا تقوم إلّا على المادة عدل عن البحث عمن يُستأنس به، ويصادقه لأن اليأس قد غلب على نفسه:

---

(١) نأمة: النأمة الصوت الضعيف الخفي أياً كان.

وما همّ بالتنقيب عن أي صاحب
ففي نفسه يأس من النفس صادر

ركام وأشلاء وأطلال نعمة
وبؤس وشتى ما حوته الأداهر

ولم ير بداً من أن يطرق في عمق السكون ليستعيد شيئاً من الذكريات التي تحثه على عدم الركود والاستسلام للحيرة:

وأوغل في إطراقه ملؤها الأسى
فمرت عليه الذكريات العوابر

وبتلك الإطراقة رأى بصيص أمل يلوّح لمصاحبة ما جدّ فيه من أمل:

وعادت له الآمال إذ جدّ مطمع
يرجى وأذكاه الخيال المغامر

وعاوده حب الحياة لذاتها
وقد أجفلت تلك النوازي الكوافر[1]

ولما عاوده الأمل وأوجس تعاطفاً من الزمن دبت فيه روح الطمع وحب الذات والاختصاص:

وهاجت به الأطماع حب امتلاكها
له وحده والناس مَيْت ودائر[2]

تلك صورة الإنسان الذي حن به سيد قطب إنساناً آخر، وما ندري ما الذي سيكون عليه الإنسان بعد مرور مائة سنة من عصرنا هذا الله وحده أعلم بذلك.

---

(١) النوازي جمع نازية، والنازية في هذا الموضع الجدة والنشاط.
(٢) الداثر: هو ما قدم ودرس، وهو أيضاً من لا يعبأ بالزينة.

لغز وحلّه!!

واللغز الذي تضمنه ديوان ابن عنين واسمه شرف الدين أبو المحاسن محمد بن نصر المشهور بابن عنين، قد أنشأه أبو العلاء المعري واسمه أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري، ولد بمعرة النعمان سنة ٣٦٣هـ وتوفي بها سنة ٤٤٩هـ، في نعلين وقد أنشده عفيف الدين بن عدلان واسمه: عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان أنشده الموصلي النحوي المترجم ولد سنة ٥٨٣هـ وكان علامة في الأدب ومن أذكى بني آدم انفرد بالترجمة وحل الألغاز وله في ذلك تصانيف، توفي بالقاهرة سنة ٦٦٦هـ، نقلاً عن «وفيات الأعيان»، يقول أبو العلاء في لغزه الذي أنشد ابن عدلان:

لأختين صفراوين أصبحت واطئاً
وفي جمعك الأختين إثمك والعار

متى تنفرد إحداهما فهي دهرها
مقصرة عما تريد وتختار

كسا شعر وجهيهما وعليهما
فروع بدت يسرحن والخلق أطوار

فأجابه ابن عنين:

بقيت عفيف الدين ترجى وتتقى
ويأمن من صرف الزمان بك الجار

تسائل عن أختين وطؤهما معاً
حلال وعن أختين دارهما دار

رفع المسهم

واحداهما ملك اليمين وعتقها
صحيح وما في خلعها لامرئ عار

وفي ديوان ابن عنين باب مخصص للألغاز ولحلول الألغاز سواء كان منها ما هو موجه إليه أو ما سمعه من منشد ينشدها، ومن الألغاز التي أنشأها هذا اللغز في المشمش والسمسم:

نبتان هذا أصله سامق
قاس وذا من خائر قاصر

أيهما صحف معكوسه
دل بلا شك على الآخر



رفع المسلم

عبد الملك بن مروان
يعرض الإسلام على الأخطل فيأباه

وإذا كان للنقد موضع فيما سلف من أخبار الأمم فإن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان حريّ به إن صح أنه كان يقرب النصراني الأخطل، ويفضله على المسلمين جرير والفرزدق وإن ما رواه الأصبهاني من أن الأخطل قدم على عبد الملك فنزل على ابن سرحون كاتبه، فقال عبد الملك: على من نزلت؟ قال: على فلان، قال: قاتلك الله ما أعلمك بصالح المنازل، فما تريد أن ينزلك؟ قال: درمك من درمككم هذا ولحم وخمر من بيت رأس، فضحك عبد الملك ثم قال له: ويلك وعلى أي شيء اقتتلنا إلّا على هذا، ثم قال: ألا تسلم فنفرض لك في الفيء ونعطيك عشرة آلاف، قال: فكيف بالخمر، قال: وما تصنع بها وإن أولها لمر وإن آخرها لسكر، فقال: أما إذ قلت ذلك فإن فيما بين هاتين لمنزلة ما ملكك فيها إلّا كعلقة ماء من الفرات بالإصبع فضحك ثم قال: ألا تزور الحجاج فإنه كتب يستزيرك، فقال: أطائع أم كاره؟ قال: بل طائع، قال: ما كنت لأختار نواله على نوالك ولا قربه على قربك إنني إذاً لكما قال الشاعر:

كـمـبـتـاع لـركـبـه حـمـاراً
تـخـيـره عـن الـفـرس الـكـبـيـر

فيا عجباً إن صحت هذه الرواية كيف يفضل الخمر على الإسلام، ومن صور شغفه بالخمر ما روي عنه أنه دخل على بشر بن مروان وعنده الراعي، فقال له بشر: أنت أشعر أم هذا؟ قال: أنا أشعر منه

وأكرم، فقال للراعي: ما تقول؟ قال: أما أشعر مني فعسى وأما أكرم فإن كان في أمهاته من ولدت مثل الأمير فنعم، فلما خرج الأخطل قال له رجل: أتقول لخال الأمير: أنا أكرم منك قال: ويلك، إن أبا نسطوس وضع في رأسي كؤوساً ثلاثة فوالله ما أعقل معها، قال: فدخل الأخطل على عبد الملك بن مروان فاستنشده فقال: قد يبس حلقي فمر من يسقيني فقال: اسقوه ماء فقال: شراب الحمار وهو عندنا كثير قال: فاسقوه لبناً، قال: عن اللبن فطمت قال: فاسقوه عسلاً، قال: شراب المريض، قال: فتريد ماذا؟، قال: خمراً يا أمير المؤمنين، قال: أوعهدتني أسقي الخمر لا أُمَّ لك لولا حرمتك بنا لفعلت بك، فخرج فلقي فراشاً لعبد الملك فقال: ويلك أنشدت أمير المؤمنين وصحل صوتي فاسقني شربة خمر فسقاه، فقال: اعدله بآخر فسقاه آخر فقال: تركتهما يعتركان في بطني اسقني ثالثاً فسقاه فقال: تركتني أمشي على واحدة أعدل ميلي برابع، فسقاه رابعاً فدخل على عبد الملك فأنشده قصيدة مطلعها:

خف القطين فراحوا منك وابتكروا
وأزعجتهم نوى في صرفها غير

فقال عبد الملك: خذ بيده يا غلام فأخرجه وأحسن جائزته وقال: إن لكل قوم شاعر وإن شاعر بني أمية الأخطل، ومن القصيدة التي تقدم مطلعها قال مادحاً بني أمية:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم
وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

لا يستقل ذوو الأضغان حربهم
ولا يبين في عيدانهم خور

هم الذين يبارون الرياح إذا
قل الطعام على العافين أو قتروا

رفع المسهما

بني أمية نعماكم مجللة
تمت فلا منة فيها ولا كدر

بني أمية قد ناضلت دونكم
أبناء قوم هم آووا وهم نصروا

حتى استكانوا وهم منّي على مضض
والقول ينفذ ما لا تنفذ الإبر



رفع المسهم

تراث من تحت ركام السنين

إن التنقيب عن التراث الأدبي الذي أهمله التاريخ أو بالأصح، وبلغة العصر لم يجد مبرمجاً ـ بكسر الميم الثانية ـ يودعه حافظة التاريخ ليبقى مخزناً فيها إلى حين الرجوع إليه. لهو أمر يعد من مهمات الباحث الأدبي، والمملكة العربية السعودية تعد من أغنى الدول العربية بفرائد التراث الذي ما زال مطموراً تحت ركام السنين، مثلما تنطمر الكمأة داخل الأرض ولا يستخرجها إلّا نابش ذكي وفطن وذو دراية وفراسة وعلم بموطنها وأماكن نبتها.

أقول هذا ما إن قرأت في العدد ٦٥٨٤ وتاريخ ١٤١١/١٢/١٣هـ من جريدة «اليوم» موضوعاً مذيلاً بقصيدة حققها أحمد باقر الشواف الذي أشار إلى أنه عثر عليها وأنها للشاعر الحاج علي بن السيد محمد آل رمضان الخزاعي الأحسائي، وأن تاريخها يعود إلى ما قبل ١٢٦٥هـ لأن هذا التاريخ هو تاريخ وفاة الشاعر الخزاعي، والذي يهمني اقتطافه من البحث الذي بمثابة مقدمة للقصيدة هو القول بأن الحاج علي قال القصيدة المعثور عليها والتي كلها حزن وشوق وتلهف إلى بلدة الأحساء وهو في شيراز عندما ذهب إلى هناك لطلب الرزق.

وبعث بها إلى أصدقائه وأحبابه في الرفاعة الجنوبية بالهفوف بالأحساء وفيها رد على الذين كانوا يريدون منه أن يستبدل بلده بغيره ويبقى في شيراز بإيران، لكنه أبى ذلك ورفضه رفضاً قاطعاً، والحقيقة أن القصيدة مؤثرة للغاية إذ يتمنى فيها شربة ماء من بئر قريب من ميناء العقير يسمى «أبو زهمول» أو وقفة على (أم الذر) وهو موقع رملي قريب من العقير.

رفع المسهم

ولقد ذكرتني تلك القصيدة عندما قرأتها لأول وهلة بقصيدة «ابن زريق» ولا أدري ما الذي ربط هذه بتلك في ذهني.

وقصيدة الحاج علي ابن السيد محمد آل رمضان الخزاعي طويلة نسبياً إذ يبلغ المنشور منها ٢٢ بيتاً منها قوله:

وما لي وللوام لا درّ درّهم
قد استحسنوا باللوم سفك دمي عمداً

يريدون صرفي عن هواي سفاهة
وهيهات يأبى ذاك من طلب الرشدا

وقالوا أبو زهمول مر مذاقه
فقلت لهم والله أحسبه الشهدا

ألا ليت لي من مائه المرشدبة
يصادف حر القلب من طيبها بردا

ويا ليت لي وهي السعادة وقفة
على رمل (أم الذر) أبري بها الوجدا

ويا ليت شعري هل أبيت برملها
وأوقد حمضاً يفضح المسك والرندا

إذا عبقت بي نفحة من دخانه
شممت بها ما تحمل الريح من سعدا

ويختمها بقوله:

وإني لأرجو من إلهي بفضله
شفائي بوصل قبل أن أسلك اللحدا



مع ابن عنين في بعض تهكمه وهجائه

ومعظم الشعراء لا نجده إلّا ملتمساً لشاعريته مادة متنوعة الألوان ومختلفة الطعوم، ولهذا فإن موقف الناقد من أولئك الشعراء لا يخرج في تعليله لهذا السلوك عن مسارين، الأول: وهو الأكثر احتمالاً للواقع، هو أن يكون الشاعر معايشاً لأناس يتمادون في المزاح والمماحكة والسخرية، فيرصد مشاركة في أبيات مصطبغة بصبغة التهكم والهجاء الخفيف.

أما المسار الثاني: وهو الأقل احتمالاً للواقع، فهو التقدير بأن الشاعر يرى أن لا يخلف شعراً مطبوعاً بطابع واحد فيمل القارئ منه، وأن في تطعيمه بالفاكهة والتهكم ما يجعل له قبولاً لدى القارئ منه.

وأن في تطعيمه بالفاكهة والتهكم ما يجعل له قبولاً لدى القارئ فيعمد إلى إيجاد شيء من ذلك النوع من شعره.

أما صور التهكم المشهور بابن عُنين ففي ديوانه، إنه كان له ابن أخت يلثغ بالقاف ويخرجها همزة فعمل له هذه الأبيات يداعبه بها في كل كلمة منها قاف:

مـقـلـة قـرحـى وقـلـب شـبـق
ومـــآق ودقـــهـــا يـــســـتـــبـــق

واتـــيـــاق واحـــتـــراق واتـــقـــا
رقـــبـــاء وســـقـــام مـــوبـــق

يـــا لـــقـــومـــي ولـــقـــومـــي قـــوة
لـــوقـــيـــذ قـــتـــلـــتـــه الـــحـــدق

ارفقوا بالقلب قد أوثقتم
قيده والعشق قيد موثق

ووعده صديق له بأن يصطاد له غزالاً مطله فقال:

غزالك بالوعساء من أرض وجرة
يصيف ويشتو من وراء الخورنق

تناءت به من قانص الأنس داره
فكيف يرجيه مقيم بجلق

والهجاء في بعض صوره الخفيفة يقرب من التهكم لولا ذكر الاختصاصات والدواعي التي دعت إليه، لكن ابن عنين قسا على الصفي نصر الله بن القابض المتوفى سنة ٥٨٧هـ والذي استوزره صلاح الدين الأيوبي لما رأى منه شجاعة وثقة وتُقىً عندما كان خادماً له، يقول فيه ابن عنين:

ما إن مدحتك أرتجي لك نائلاً
فحرمتني فهجوت باستحقاق

لكنني عاينت عرضك أسوداً
متمزقاً فقدّحت في حراق



القنبلة الذرية في يد مدعي العقل

نحن نسمع من رجال الفكر والسياسة في أمريكا وأوروبا وغيرها من البلدان المتقدمة صناعياً قولهم: الجاهل ليس كالعاقل بالنسبة لامتلاك السلاح، فالجاهل إذا امتلك سلاحاً فاتكاً استخدمه.

أما العاقل فهو يجعله تقية له من العدو فلا يستخدمه إلّا في أقصى الحالات وأصعب الظروف التي لم تجد فيها الحرب بالأسلحة العادية.

وهم بذلك يشيرون إلى العرب في كثير من مثل هذه التصريحات، والعرب حينما يتركون الرد على هذه الاتهامات فإنما هم يحاولون كما هي عادتهم دفن الأحقاد وتناسي ما قاسوه من ويلات على أيد أولئك المتبجحين بأنهم العقلاء وما تجرعوه من مرارة احتلال بلادهم بقوة الحديد والنار.

وإن كان العرب يتناسون هولاكو وغيره من الذين قتلوا عشرات الآلاف من العرب صبراً واجتزوا رؤوسهم وبوّبوا رؤوس النساء والأطفال والشيوخ والرجال فجعلوا من كل نوع هرماً يلقون عليه نظرة مصحوبة بضحكة استهتارية.

لكن الشعب الياباني لا يزال يذكر السادس من آب أغسطس ١٩٤٥م يوم ألقت أمريكا القنبلتين النوويتين على (هيروشيما) و(نجازاكي) اللتين على أثرهما استسلمت اليابان في الرابع عشر من الشهر نفسه.

رفع المستهمل

والجدير ذكره أنه ما زالت آثار تلك القنبلتين التدميرية باقية حتى عام ١٩٩٠م.

ولا ندري بعد ذلك من الجاهل الذي يسيء استخدام أسلحة الدمار أهم العرب والمسلمون الذي لم يمتلكوا بعد الأسلحة الفتاكة أم الذين تسرعوا في معرفة مدى ما تحققه أسلحة الدمار في اليابان من نتائج.

ولو أن صناع أسلحة الدمار الشامل تتبعوا الحروب التي خاضها العرب معهم لأدركوا أن العرب حينما يفتحون بلداً لا يقطعون شجراً ولا يقتلون شيخاً ولا طفلاً ولا امرأة ولا مستسلماً.

وذكرى تدمير هيروشيما ونجازاكي ما زالت تتردد في أذهان الناس وقد سطرت فيها أقوال وقصائد كلها تنحي باللائمة على أمريكا. ومن القصائد التي قيلت بمناسبة إلقاء القنبلتين الذريتين المذكورتين قصيدة للشاعر حليم دموس عنوانها «الذرة الداهشية» وعدد أبياتها ٥٤ بيتاً، منها قوله:

وقنبلة ذرية ذرّ قرنها
على جبل في مطلع الشمس شاهق

أغارت على اليابان تطوي أديمها
كطي سجل من بقايا المهارق

شرارة أرض لم يرى الدهر مثلها
وطلسم جو طار فوق البواشق

فأفنت دياراً وهي في حجم بيضة
بها روع الغربي قلب المشارق

فيا لاكتشاف أبطل السحر سره
وبات حديث القوم من كل ناطق

رفع المسافر

ومنها قوله:

وإن لم تكن بين الشعوب أخوة
فسوف ترى الأشلاء ملء الخنادق

فتجرفنا حرب ضروس جديدة
تدير المنايا في صفوف الفيالق

وتنتشر الذرات فوق كتائب
وتفتك في هاماتهم والمفارق



(كلا إن الإنسان ليطغى)

من الناس من إذا أنعم الله عليه شكر الله وحمده، وحاول أن ترى نعم الله ظاهرة عليه في ملبسه ومشربه وأكله ومركبه.

ومنهم من إذا أنعم الله عليه كفر بنعمة الله وراح في بذخ واستعلاء على الناس، وكأنما هو حر ابن حر وسائر الناس أبناء إماء، لا ينظر إليهم إلا بطرف عينه، وبنظرة فيها شيء من السخرية بهم والاستحقار بهم.

وكأنه لم يقرأ أو يسمع قوله تعالى في سورة العلق: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ [العلق: ٦ ـ ٨].

وهذا الذي يطغى إذا استغنى يقف أمام سائر الناس في أبهى حلله وقفة القائل لهم: هل منكم من يستطيع ارتداء مثل حللي في لهجة استعلائية وكبرياء يمقته الله.

ونحن في عصرنا هذا نرى بعضهم يتعالون على الناس بما رزقهم الله من مادة فيرون أنهم أحق بالسير في وسط الطريق بسياراتهم الفخمة ومركباتهم الفارهة، وكأنما هم يقولون: هذا المسار من الطريق لنا وحدنا، ويقفون في بعض المواقف الممنوع الوقوف بها وكأنما هم يقولون: المنع من الوقوف فيها لا يشملنا.

وحيث قد بعضت في هذه الظاهرة الاستعلائية فإن هناك بعضاً ممَّن منَّ الله عليهم بوافر نعمته نراهم، قد أعطوا النعمة حقها.

وقدَّروها حق قدرها، فلا استعلاء ولا كبرياء، ولا ادعاء فوارق

رفع
المسِّهمَّ

بينهم وبين سائر الناس مما أوجب لهم من الناس الدعاء بمزيد الفضل، وجزيل النعمة.

ولقد صور كثير من الشعراء حالة الذين أنعم الله عليهم فاستعلوا على الناس وأظهروا الكبرياء والغطرسة، فمن أولئك الشعراء الشاعر الفلسطيني صالح عبد الله الجيتاوي الذي قال في مستهل أرجوزة طويلة له:

يا راكب (المرسدس) الستمئه
تروح في مشمخرة ودمدمه
تجيء في فرقعة وزمزمه
تصول في الشوارع المزدحمه
تنقض مثل فاتك في ملحمه
حل لك المواقف المحرمه
أأنت ولد حرة مطهمه
والناس أبناء سويداء أمه



رفع المسهم

أيهما أكثر عدداً البؤساء أم السعداء؟

والبؤساء في الناس كثيرون بل هم كثيرون جداً، وما نقرؤه من بعض التراجم لهم ما هو إلّا النزر اليسير من عدد البؤساء الذين لم يكن لهم شأن يصل بهم إلى درجة اهتمام الأخير من المؤرِّخين والكتّاب بدراسة حياتهم وترجمة سيرهم الذاتية.

وإنْ أنا حاولت تقدير نسبة البؤساء فما أنا ببعيد من ذلك البهلول الذي داعبه أحد الولاة وطلب إليه أن يعد مجانين البلد، فكان جوابه أنه لا يستطيع أن يعد المجانين ولكنه باستطاعته عد العقلاء.

ونحن إذا أخذنا بأبسط درجة يوصف بها الإنسان بأنّه بائس ثم تدرجنا في الإحصاء إلى أشد درجات البؤس فإنّه من غير المستبعد أن نحصل على عدد من البائسين يربو على عدد السعداء، وإذا ما اعتبرنا كل شاكٍ من الدهر بائساً فإنّ الذين لم يشكو من الدهر قلة.

ونحن إذا ما درسنا حياة بعض البؤساء نجد أن منهم أناساً كثيرين لم يعايشوا البؤس من صغرهم وإنما صاحبهم في مرحلة حياتهم، فابن عفيف الدين التلمساني، واسمه سليمان بن محمد بن عبد الله الذي يعد من البؤساء لم يكن بائساً في أول حياته، وإنما البؤس والشقاء رافقاه في آخر مراحل عمره.

جاء في ترجمة لحياته أنه شاعر عصره وفريد دهره وأنه كان حسن العشرة كريم الأخلاق ذو وجاهة واعتبار يجالس الأمراء ويباحث العلماء واشتهر بين أهل دمشق بنظم الشعر واعتبروه شاعراً من نوابغ شعراء الشام.

رفع المسـهم

وقيل: إن سبب بؤسه أنه اتهم في آخر أيامه بالخمر والفسق وشيء من الدعارة فهجره عارفوه، وتخلى عنه والده فعاش ما بقي من عمره بائساً يائساً غير مرضي عنه، ومات غماً سنة ٦٨٨هـ وله ديوان شعر نفيس من محاسنه قصيدة منها قوله:

لا تخف ما فعلت بك الأشواق
واشرح هواك فكلنا عشاق

فعسى يعينك من شكوت له الهوى
في حمله فالعاشقون رفاق

قد كان يخفى الحب لولا دمعك ال
جاري ولولا قلبك الخفاق

لا تجزعن فلست أول مغرم
فتكت به الوجنات والأحداق

واصبر على هجر الحبيب فربما
عاد الوصال وللهوى أخلاق

كم ليلة أسهرت أحداقي بها
ملقى وللأفكار بي إحداق

يا رب قد بعد الذين أحبهم
عني وقد ألف الرفاق فراق

وأسود حظي عندهم لما سرى
فيه بنار صبابتي إحراق



رفع المسهم

مهلهل لقب لُقب به عدي بن ربيعة

واختلف أبو عبيدة مع ابن السكيت في اسم مهلهل، فأبو عبيد يقول: إن اسمه عدي وابن السكيت يقول: اسمه امرؤ القيس، وهو ابن ربيعة بن الحرث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب.

وإنما لقب مهلهلاً لطيب شعره ورقته وكان أحد من غنى من العرب في شعره، وقيل: إنه أول من قصد القصائد، وقال الغزل، فقيل: قد هلهل الشعر أي أرقَّه وهو أول من كذب في شعره، وهو خال امرئ القيس بن حجر الكندي، وكان فيه خنث ولين، كثير المحادثة للنساء فكان كليب يسميه زير النساء.

ومهلهل هو أخو كليب الذي قتله حساس وجساس وكليب هما بطلا قصة حرب البسوس وبمقتلهما بلغت تلك الحرب بين قبيلتي بكر وتغلب أشدها واستقطبت رجالاً كانوا في منأى عنها كالحرث بن عبادة وغيره.

ولقد سبق الحديث عن هذه الحرب في موضوعين من الجزء السادس الأول تحت عنوان «على أن ليس عدلاً من كليب» والثاني تحت عنوان «قربا مربط النعامة منّي».

أما المهلهل فقد كان له دور بارز بعد مقتل جساس وكليب بدأه بقتل بجير ابن أخ عبادة بن الحرث الذي جاء إلى قبيلة تغلب للمصالحة بين القبيلتين ومن بعده همام لكنه أسر في معركة يوم (قضة) أسره عبادة بن الحرث ثم عفا عنه في حكاية سبقت الإشارة إليها في موضوع «قربا مربط النعامة مني» السالف ذكره وموقعه.

رفع المسابهما

والذي يقرأ أحداث هذه الحرب التي دامت أو نافت على أربعين سنة بين قبيلتي بكر وتغلب يجد أنها أفرزت مواقف بطولية وأدباً تاريخياً تخللته أشعار حماسية وهجائية وانتقادية من شعراء كلا القبيلتين.

وما دام أن الحديث في هذا الموضوع كان عن المهلهل فإنه يحسن بنا أن نختمه بأبيات لمهلهل وهي قوله متفجعاً على أخيه كليب:

أزجر العين أن تبكي الطولا
إن في الصدر من كليب غليلا

إن في الصدر حاجة لن تقضى
ما دعا في الغصون داع هديلا

كيف أنساك يا كليب ولما
أقضي حزناً ينوبني وغليلا

أيها القلب أنجز اليوم نحبا
من بني الحصن إذ غدوا أو ذحولا

كيف يبكي الطلول من هو رهن
بطعان الأنام جيلاً فجيلا

أنبضوا محبس القسى وأبرقـ
ـنا كما توعد الفحول الفحولا

وصبرنا تحت البوارق حتى
ركدت فيهم السيوف طويلا

لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا
وأخو الحرب من أطاق النزولا



السهروردي، في البائسين

ويجد البؤس المتمخض عن الفقر مرتعاً خصباً في نفوس العلماء والشعراء والفلاسفة والمفكرين، ووقفيته على الكثير من أولئك ترجع إلى أنهم انشغلوا عن طلب المال بطلب العلم فصاروا فقراء بائسين.

والسهروردي أحد البؤساء الذين أشار إليهم محمود كامل فريد في كتابه «بؤساء في عصر الإسلام» وقد ترجم له بقوله: هو أبو حفص عبد الله البكري الملقب ـ شهاب الدين السهروردي ـ نسبة إلى البلدة سهرورد التي ولد بها سنة ٥٣٩هـ ويعرف بالشهاب.

قيل عنه: إنه أوحد زمانه في الفلسفة والحكم البالغة، وأنه مفرط الذكاء حسن العبارة متبحر في العلم والأدب، وله تصانيف كثيرة منها «الهياكل والتلويحات والرقم القدسي في تفسير القرآن واللمحات في المنطق» ولسوء حظه رمي بالزندقة عند السلطان صلاح الدين الأيوبي فخاف أن يهدر دمه فهرب إلى الشام.

ولما دخل حلب، اجتمع بالملك الظاهر غازي فأعجبه كلامه، ومال إليه فكتب أهل حلب إلى والده السلطان صلاح الدين بما معناه أن أدرك ولدك وإلّا أتلفه الشهاب السهروردي، فكتب السلطان صلاح الدين إلى الظاهر بالابتعاد عن شهاب الدين وأمره بطرده من حلب فطرده، ثم أمر بقتله فهرب.

وقيل: إن شهاب الدين السهروردي كان على قوة رسوخه في العلم زريء الخلقة دنس الثياب.

وقد توفي السهروردي فقيراً بائساً سنة ٦٣٢هـ، ومن محاسن شعره في التصوف قصيدته الحائية التي منها قوله:

أبــداً تــحــن إلــيــكــم الأرواح
ووصــاكــم ريــحــانــهــا والــراح

وقــلــوب أهــل ودادكــم تــشــتــاقــكــم
وإلــى لــذيــذ لــقــائــكــم تــرتــاح

وارحــمــتــا لــلــعــاشــقــيــن تــكــلــفــوا
ســتــر الــمــحــبــة والــهــوى فــضــاح

بــالــســر إن بــاحــوا تــبــاح دمــاؤهــم
وكــذا دمــاء الــبــائــحــيــن تــبــاح

وإذا هــم كــتــمــوا تــحــدث عــنــهــم
عــنــد الــوشــاة الــمــدمــع الــســفــاح

وبــدت شــواهــد لــلــســقــام عــلــيــهــم
فــيــهــا لــمــشــكــل أمــرهــم إيــضــاح

خفض الجناح لكم وليس عليكم
للصب في خفض الجناح جناح

فــإلــى لــقــاكــم نــفــســه مــرتــاحــة
وإلــى رضــاكــم طــرفــه طــمــاح



تعريفٌ بالبؤس والبؤساء

والبؤس يرتبط بحلقات متصلة ببعضها اتّصالاً وثيقاً، فهو مرتبط بالحظ السيئ، والوساوس مرتبطة به، وهو مرتبط بالكآبة والوهم مرتبط به، وهو متصل بالشقاء والتعاسة مرتبطة به، وهو ملتحم بسوء الحال والفقر متصل به، وهو مصاحب لليأس والقنوط ملتصق به.

ولقد عرف بعضهم البؤساء في الدنيا بقوله: البؤساء قوم وضعتهم الدنيا في أخشن مواضعها وداهمتهم الأيام بالمصائب فاستهانوا بنكباتها، وجفاهم الحظ فرضخوا لأحكام القدر، وصادقهم فحفظوا له واجب الصداقة، ولم ينقضوا له عهداً، وسئمت منهم الأيام فكانوا عليها عالة.

البؤساء: قوم خلع عليهم الدهر حزنه وجر عليهم فضل بلائه فأوقفوا بعض حنين قلوبهم إلى غير ما تحن إليه من صبابة المحاسن والجمال، وهاموا في وهاد الدنيا وأتوا بأعمال من الأشجان لا تدخل تحت حصر، فتراهم مع ما هم عليه من بواعث الحزن والنكد لا ترتاح نفوسهم الأبية إلّا لعمل الخير، وتراهم وهم في أشد حالات المحنة يعطفون على البؤساء أمثالهم، ويميلون من تلقاء أنفسهم إلى ما جفاهم الحظ، وسحقهم الهم.

البؤساء: قوم خطت الطبيعة على جباههم سطور الشقاء ومشى الدهر خلفهم يومئ للمصائب نحوهم ببنانه فتبعتهم ملبية أمره، وتنقض عليهم منفذة أحكامه.

البؤساء: طائفة رمتهم سهام القدر، فباتوا للبلاء عرضاً، وأصبحوا في هذا الكون حيارى لا يهدون إلى منار السعادة، ولم يبلغ بهم سفين

رفع المستهم

الحياة شاطئ السلامة، أما الشعراء البؤساء فيسلون أنفسهم بالشعر، يقول معن بن أدى المزني:

واعلم أني لم تصبني مصيبة
من الدهر إلّا قد أصابت فتى قبلي

وفقراء البؤساء ينشدون مثل هذه الأبيات:

إذا كانت الأفعال يوماً كأهلها
كمالاً فحسن الخلق أبهى وأكمل

وإن كانت الأرزاق قسماً مقدراً
فقله جهد المرء في الكسب أجمل

وإن كانت الدنيا تعد نفيسة
فدار ثواب الله أعلى وأنبل

وإن كانت الأبدان للموت أنشئت
فقتل امرئ بالسيف في الله أفضل

وإن كانت الأموال للترك جمعها
فما بال متروك به المرء يبخل

يروى أنه كان للخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب عروض الشعر وأحد الفقراء البائسين راتب على سليمان بن حبيب بن المهلب بن صفرة الأزدى والي فارس والأهواز، وأنه استدعى الخليل بلهجة شديدة فكتب الخليل رد جوابه شعراً منه قوله:

أبلغ سليمان أني عنه في دعة
وفي غنى غير أني لست ذا حال

سخاً بنفسي أني لا أرى أحداً
يموت هزلاً ولا يبقى على حال

رفع المسبهم

المتلمس.. اسمه جرير بن عبد المسيح

والمتلمس لقب غلب على اسم جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن دوفن بن حرب بن وهب بن حلي بن أحمس بن ضبيعة بن نزار وسبب تلقيبه بالمتلمس يرجع إلى قوله:

فهذا أوان العرض جن ذبابه
زنابيره والأزرق المتلمس

والمتلمس خال الشاعر طرفة بن العبد، وقد جعله ابن سلام في الطبقة السابعة من شعراء الجاهلية، ويشير ابن قتيبة إلى أن أشعر المقلين في الجاهلية ثلاثة: المتلمس والمسيب بن علس وحصين بن الحمام المري.

ويقال: إن طرفة كان قد هجا عمرو بن هند، فلما قدم هو والمتلمس عليه، كتب لهما إلى عامله على البحرين وكان عامله فيما يزعمون ربيعة بن الحرث العبدي، وقال لهما: انطلقا فاقبضا جوائزكما فخرجا ولما هبطا النجف، قال المتلمس: يا طرفة إنك غلام حديث السن، والملك من عرفت حقده وغدره وكلانا قد هجاه فلست آمناً أن يكون قد أمر بشر فهلم فلننظر في كتبنا هذه فإن يكن قد أمرنا بخير مضينا فيه وإن تكن الأخرى لم نهلك أنفسنا فأبى طرفة أن يفك خاتم الملك وعدل المتلمس إلى غلام من غلمان الحيرة عبادي فأعطاه الصحيفة فقرأها فقال: ثكلت المتلمس أمه فانتزع الصحيفة من الغلام واكتفى بذلك من قوله، ثم قال لطرفة: إن الذي في صحيفتك مثل الذي في صحيفتي، قال طرفة: إن كان اجترأ عليك فلم يكن ليجترئ علي

رفع المسهم

ولا ليغرني ولا ليقدم علي فلما غلبه صار المتلمس إلى الشام وقال:

من مبلغ الشعراء عن أخويهم
نبأ فتصدقهم بذاك الأنفس

أودى الذي علق الصحيفة منهما
ونجا حذار حياته المتلمس

ألقى الصحيفة لا أبا لك إنه
يخشى عليك من الحباء النقرس

ألقى صحيفته ونجت كوره
وجناء مجمرة المناسم عرمس

عيرانه طبخ الهواجر لحمها
فكأن نقبتها أديم أملس

أجد إذا ضمرت تعزز لحمها
وإذا تشد بنسعها لا تنبس

وتكاد من جزع يطير فؤادها
إن صاح مكاء الضحى متنكس

وفي رواية أن طرفة كان يتمشى متباهياً بين يدي عمرو بن هند الذي تسميه العرب مضرط الحجارة فنظر إليه نظرة كادت تقتلعه من الأرض، قال المتلمس: فقلت لطرفة: إني لأخاف عليك من نظرته إليك هذه مع ما قلت. قال: كلا، فكتب كتاباً إلى المكعبر كتب ولم نره، وختم ولم نره لي كتاب وله كتاب، وكان المكعبر عامله على عمان والبحرين فخرجنا حتى إذا هبطنا بذي الركاب من النجف إذا أنا بشيخ على يساري يتبرز ومعه كسرة يأكلها وهو يقصع القمل، فقلت: تالله ما رأيت شيخاً أحمق وأضعف وأقل عقلاً منك، قال: وما تنكر؟ قلت: تتبرز وتأكل وتقصع القمل! قال: أدخل طيباً وأخرج خبيثاً وأقتل عدواً

رفع المسيهما

وأحمق مني الذي يحمل حتفه بيمينه لا يدري ما فيه، قال: فنبهني وكأنما كنت نائماً فإذا غلام من أهل الحيرة، فقلت: يا غلام تقرأ، قال: نعم، قلت: اقرأ فإذا فيه: من عمرو بن هند إلى المكعبر إذا جاءك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً، فألقيت الصحيفة في النهر، رواه الأصبهاني في الأغاني.



رفع
المسهما

العيون سحر وبحر

وكم كتبت عن العيون وما قيل فيها من موضوعات هي متفرقة في أجزاء هذا الكتاب «الأدب المثمن» ولا أعلم كم سأكتب عنها إما مكرراً لوصفها وجمالها وسر ألحاظها التي يشوق تكرار ذكرها.

وإما معبراً عن ارتدادات طرفها الذي يمثل لغة تهيم بها في وديان العشق بين أعين العاشقين، أو واصفاً ما ترسله من الغضب نحو العين التي تقابلها بنظرات شزر وعداء، أو واصفاً لاستدلالها بها على شرود الذهن.

ومعاودة الحديث عن العيون إن كان يعني شيئاً فهو يعني أن الكلام عن العيون لا يمل ولا يصل إلى نهاية كيف لا، وهي أداة تعبر عن الفرح بدموع معطرة لا تحرق جفناً ولا تجرح خداً، وهي في نفس الوقت تعبر بدموع مرة يفسدها النبأ السيئ المفاجئ أو الألم والضر المخامر.

والذي يرصد الأقوال التي قيلت في العين يجد من بينها خطابات موجهة للعين مباشرة مثل ما يخاطب القلب واللسان، بل ربما كانت نسبة مخاطبتها تقترب من نسبة مخاطبة القلب إذا صرفنا النظر عما قيل فيها من الغزل.

وشعراء الغزل يرون في العين ما لا يراه غيرهم، بل إنهم ليجعلونها مصدر سحر وبحر فتلاطم تغرق فيه سفن العشاق، يقول أحد الشعراء الذين تحدثوا عن سحر العيون وهو الشاعر شوقي محمود أبو ناجي من قصيدة نشرتها له «المجلة العربية» في عددها ١٦٦ ذي القعدة ١٤١١هـ:

سلي السحر في عينيك كيف يشدني
إلى عالم تهفو إليه الخواطر

إلى عالم هام العبير بساحه
ورقرقه عف من الحب طاهر

سلي السحر في عينيك والموج فيهما
عتي وصوت الحب ناهٍ وآمر

أأنجو إذا أبحرت؟ أم بات للهوى
شراع إذا ما عربد الموج خائر؟

وهل لتهاويم الخيالات وقفة
تُموْسِق فيها ما تحس المشاعر

سلي السحر في عينيك: من أين أبتدي
ليعزف لحي مستهام وطائر

لعل أناشيدي من الشعر تزدهي
لديك وتشدو في هواك القيائر

أشارت بلحظ نثر السحر حوله:
من الآن أضحى في رعاياي شاعر



هذا الموضوع هو تمام الألف

تمثلت ببيت من الشعر يناقض خطأ ارتكبه صاحب لي، فتعالى عليَّ وحاول أن يظهر لي مقدرته على الفتل والنقض كما يقولون فتمثل ببيت من الشعر يقصد به تبرير موقفه من الخطأ الذي وقع فيه.

فعرضت عليه إطرابه بما يريد من الشواهد والشوارد الدالة على وقوعه في الخطأ، فقال: أظنك تحفظ أبياتاً كثيرة من هذا النوع الذي أسمعتني، قلت له: بل أنا صياد الشوارد والقصائد، بل والشواهد التي تمثل عيون القصائد وأواسط قلائد الأشعار، وقلمي ينطف بدم جلها وسمينها، وكم ملأت من ذكورها وإناثها مخلاتي وأفرغتها في عياب يصعب عليك عدها، وفيها ما يوافق معظم خلال الناس من حيث اللون والطبع والبساطة والخشونة والهدوء والعنف والحماسة والحماقة والحكمة والاتزان وغير ذلك مما طبع عليه الناس، ولهذا فاعلم أنه لا يكلفني الاستشهاد على أي حالة اجتماعية بشيء يكون موافقاً سلباً أو إيجاباً من تلك الشوارد المقصورة في ساحتي والمقيدة في رقبتي، فانظر إن شئت إلى ما دونته في السفر الأول والثاني من كتابي «بين بيتين» وانظر إن شئت إلى كتابي «الأدب المرتب» المكون من ثلاثة أجزاء.

كما أن لك في كتابي هذا الذي يمثل هذا الموضوع فيه تمام الألف عبرة واعتباراً إن أتت أدركت أنه سبق هذا الموضوع ٩٩٩ موضوعاً لكل موضوع شاهد من الشعر لا يقل ولا يزيد عن ثمانية أبيات، ولهذا سميته «الأدب المثمن» وأجدها مناسبة أطربك فيها بثمانية أبيات وفقاً لشرط تأليفي لهذا الكتاب.

رفع المستهمل

يقول معروف الرصافي في حثه الشعب العراقي على مناهضة الاستعمار وعدم الاستكانة له:

أمـــا والله لـــو كـــنـــا قـــروداً

لـمـا رضـيـت بـحـالـتـنـا الـقـرود

ويقول أبو العلاء المعري فيمن يركن إلى الدنيا كيف يتحول من آمرٍ ناهي إلى مأمورٍ منهي:

يـكـون أخـو الـدنـيـا ذلـيـلاً مـوطـا

وإن قـيـل فـي الـدهـر الأمـيـر الـمؤيـد

ولا بـد مـن خـطـب يـصـيـب فـؤاده

بسهـم فـيـضحـى الصائد المتصيد

ويقول الشاعر محمد الفراتي في طالب البقاء في الدنيا:

يـود الـمـرء فـي الـدنـيـا خـلـوداً

وهـل فـي هـذه الـدنـيـا خـلـود

ويـهـوى أن يـعـيـش بـهـا سـعـيـداً

وفـصـل الـقـول لـيـس بـهـا سـعـيـد

أبـاغـي الـعـدل لا تـطـلـب مـجـالاً

فـمـا لـلـعـدل فـي الـدنـيـا وجـود

ويقول الطغرائي في مجاملة الأصدقاء:

جـامـل أخـاك إذا اسـتـربـت بـوده

وانـظـر بـه عـقـب الـزمـان الـعـائـد

فـإن اسـتـمـر بـه الـفـسـاد فـخـلـه

فـالـعـضـو يـقـطـع لـلـفـسـاد الـزائـد

رفع المسهم

المستهم فهرست
غفر الله له ولوالديه

الفهرس

الموضوع	قافية الشاهد	رقم الصفحة
* تنويه		٥
الراعي لقب لعبيد بن حصين النمري	الحاء	٧
الدهر في الشعر	الدال	٩
الشعر العربي يواكب التطور الصناعي	العين بوصل الهاء	١١
الزواج بالإكراه	الميم	١٣
تحاور في العمى	الراء	١٥
صريع الغواني هو محمد بن عبد الواحد	الألف	١٧
مما حصر في السبعة من الأقوال	اللام	١٩
التاريخ يلزم نفسه بتسجيل الحكايات ذات الأبيات	الباء	٢٢
ذكريات الصف الأول الابتدائي	القاف	٢٤
السبورة السوداء	الراء	٢٦
اللغة العربية جمال وجلال ومنطق	الراء	٢٨
ابن الدمينة هو عبد الله بن عبيد الله	الدال	٣٠
الإماء الشواعر	الراء	٣٢
نبذة عن أبي جلدة	السين	٣٤
عيون من عيون الشعر عن العيون	اللام	٣٦
الإنسان يكتسب من طبيعة أرضه بعض صفاتها	الهمزة	٣٨
المثقب لقب لعائذ بن محصن وليس اسماً	النون	٤٠
بيت المثقب	النون	٤٢
القصة المثيرة للأشهب بن رميلة	الراء يوصل الهاء	٤٤
مفاهمة مع طبيب عيون	النون	٤٧
الحياة في نظر الطفل	السين	٤٩
ديك الجن هو عبد السلام بن رغبان	الدال	٥١

رفع المستهم
غفر الله له ولوالديه

الموضوع	قافية الشاهد	الصفحة
تبادل الشوق بالشعر	الدال	٥٤
الإمام الشافعي لم يقل على قافية الحاء إلا سبعة أبيات	الحاء	٥٦
الرجز وأشهر الرجاز	النون	٥٨
الدمع لغة ومعنى	القاف	٦٠
ابن المقفع هو ابن داذاويه	اللام	٦٢
النصارى جعلوا الله ثالث ثلاثة وإنجيل عيسى مائة إنجيلاً	الهمزة	٦٥
الوقوف إلى جانب الحق حق	الباء	٦٧
من هو أكيل السبع؟ هل هو عتبة أم عتيبة؟	العين	٧٠
تأثير القرآن وأهله في حياة من ليسو بأهله	الياء يوصل الهاء	٧٢
الغريض اسمه عبد الملك	الراء	٧٥
عمر الإنسان أشبه ما يكون بفصول السنة	الدال	٧٧
أثناء العودة من الشلة	الميم بوصل الهاء	٧٩
نوادر الأطباء وطرائف المرضى	الحاء	٨١
رسالة إلى أبي العلاء المعري	مزدوجة	٨٣
الفرزدق هو همام بن غالب	الباء بوصل الهاء	٨٥
التسلح بالإيمان أقوى من التسلح بالعتاد	الراء	٨٧
العجاج بن رؤبة وأسرته	التاء	٨٩
حريملاء في قصيدة	التاء	٩١
في بحر الدهر أدلي بدلوي	الباء	٩٣
الخنساء هي تماضر	السين	٩٥
ما أنت تصنأ	النون	٩٧
التاجر والتجارة	الميم	٩٩
الرجل بلا امرأة مشلول، والمرأة بلا رجل ضياع	السين	١٠١
مساهمة في حل مشكلة	السين	١٠٣
العجاج هو عبد الله بن رؤبة	الجيم	١٠٥
الوهم هو الداء القاتل	الدال	١٠٧
منهج العجاج في الحياة	الراء	١٠٩
يا أبا محمد حدثنا عن كتابك عيون الأخبار	العين	١١١
ابن قتيبة يعرف بكتابه عيون الأخبار	اللام	١١٤

رفع المسهم

الموضوع	قافية الشاهد	الصفحة
كشاجم لقب لَقّب به محمود بن الحسين نفسه	**التاء**	١١٧
قوس بلا ثمن	**الباء**	١١٩
البدوي ببراءته يقع في مصيدة أهل السوء	**الحاء**	١٢١
السرور والكآبة والنفس الملومة واللوامة	**اللام**	١٢٣
المخدرات جناية على الأجنة	**النون**	١٢٥
الممزق ليس اسماً وإنما هو لقب	**القاف**	١٢٧
لذعات في أبيات	**القاف**	١٢٩
سيد قطب يسأل عازفة البيانو	**النون بوصل الهاء**	١٣١
قراءة في كتيب	**النون**	١٣٣
مساوئ البؤس وشخصية بائسة	**اللام**	١٣٥
الجاحظ هو عمرو بن بحر	**الراء**	١٣٧
وفي البؤس ملح ونوادر	**اللام**	١٣٩
أبو نواس يقبل عذر الهيثم بعد فوات الأوان	**الباء**	١٤١
تقريض لديوان ابنة الإسلام	**النون**	١٤٣
الشعراء يخرقون قاعدة النجاة	**اللام**	١٤٥
الثعالبي لقب وليس اسماً لأبي منصور	**العين**	١٤٨
الراتب وسوء التدبير	**الشين**	١٥٠
الإنسان يؤثر في الطبيعة بفعله وفكره	**الباء**	١٥٢
الغواية ثمر من ثمرات هو النفس والشيطان	**الميم**	١٥٤
شعراء لاموا دهرهم	**اللام**	١٥٦
ما ينسب إلى زبيدة وما هي الأولى في اتخاذه	**الراء**	١٥٨
زبيدة هي أمة العزيز	**السين**	١٦٠
جانب من أدب زبيدة	**الدال**	١٦٢
شيء من أخبار زبيدة	**الراء**	١٦٤
رمز ثم توضيح وتصريح	**اللام بوصل الهاء**	١٦٦
ابن عنين يرى الجمال في ضيق المقل	**اللام**	١٦٩
الفحل لقب لعلقمة بن عبدة التميمي	**الباء**	١٧١
القبرة أو القنبرة هو الباعث على حرب البسوس	**الراء**	١٧٣
لقد أحسن ابن الكوفي صنعاً في ذكره للآثار	**الباء بوصل الهاء**	١٧٥

رفع عبد الرحمن النجدي
المسلم

الموضوع	قافية الشاهد	الصفحة
نوادر الأطباء وقول في طبيب	اللام	١٧٧
قصيدة ذات توطئة	الراء	١٧٩
المقنع الكندي هو محمد بن عميرة	الميم بوصل الهاء	١٨١
ما هو الوقت المناسب لارتكاب الخطيئة	الهمزة	١٨٣
تصريح صحفي عن مؤتمر الحيوانات	الراء	١٨٥
القبر والمقبر والقابر	الراء	١٨٨
أي مثقف هذا الذي يغيّر العاصي بالمعاصي	الراء	١٩٠
المرقش لقب لعمرو بن سعد	الميم	١٩٢
من دعابات ولذعات ابن عنين	النون	١٩٤
استلال الأبيات من القصائد ماذا نسميه؟	الراء	١٩٦
كيف نكتشف المواهب والطموحات لدى الأحداث	الباء	١٩٩
العيون تسافر إلى الماضي بحثاً عن إجابة للحاضر	الميم	٢٠١
سلم الخاسر سلم بن عمرو مولى بني تيم	الدال	٢٠٣
الحب يوجب مشاركة المحبوب في أساه	الكاف	٢٠٥
وفاء زوجة	الراء	٢٠٧
رؤيا ابن عنين لفاطمة الزهراء	النون	٢٠٩
ابن عنين يحقق رغبة فخر الدين	السين	٢١١
أبو نواس هو الحسن بن هانئ	الحاء	٢١٣
ابن منظور يحقق نسب أبي نواس	النون	٢١٥
سبب قول جرير: فغض الطرف	الباء	٢١٧
المصادر لم تعتن بالمزني	الكاف	٢١٩
الرفاعي ينفض الغبار عن خارجة	الراء	٢٢١
الأحوص لقب غلب على اسم عبد الله بن محمد	الميم	٢٢٣
الأحوص وحكايته المثيرة مع أم جعفر	الباء	٢٢٥
فلسفة الحياة على نظام المرور	الراء	٢٢٧
فأما الذين وأما الذين	النون	٢٢٩
التجارة مصدر نمو ومركز قوة	الفاء	٢٣١
زرياب هو علي بن نافع	النون	٢٣٣
البرغوث يعشق عض الحسان	الباء	٢٣٦

رفع عبد الرحمن الهميم

الموضوع	قافية الشاهد	الصفحة
الغناء في زماننا	النون	٢٣٨
مغنون لا يطربون إلّا أنفسهم	القاف	٢٤٠
صمَّم على الانتحار فرثى نفسه	اللام بوصل الهاء	٢٤٢
أبو الشيص هو لقب لمحمد بن عبد الله وليس اسماً له	النون	٢٤٤
هل هذه القصة المثيرة هي نهاية حياة أبي الشيص؟	الميم	٢٤٧
عقوق ولذعات مؤلمات	الباء	٢٤٩
رسالة شعرية من العشماوي إلى مرال الأفغانية	الميم	٢٥١
العجاج فحل الأراجيز	الميم	٢٥٣
امرؤ القيس لقب وليس اسماً	الراء	٢٥٥
الجمال المزيف ينصرف عنه النظر	الدال	٢٥٨
مدينة تاريخية	النون	٢٦٠
رأي علماء الأدب في الرجز	الباء بوصل الهاء	٢٦٢
قصيد الاستسقاء	اللام	٢٦٤
الأخطل لقب لغياث بن غوث	الميم	٢٦٦
الإنسان الأخير	الراء	٢٦٩
لغز وحله	الراء	٢٧١
عبد الملك بن مروان يعرض الإسلام على الأخطل فيأباه	الراء	٢٧٣
تراث من تحت ركام السنين	الدال	٢٧٦
مع ابن عنين في بعض تهكمه وهجائه	القاف	٢٧٨
القنبلة الذرية في يد مدعي العقل	القاف	٢٨٠
﴿كلا إن الإنسان ليطغى﴾	الميم بوصل الهاء	٢٨٣
أيهما أكثر عدداً البؤساء أم السعداء	القاف	٢٨٥
مهلهل لقب لُقّب به عدي بن ربيعة	اللام	٢٨٧
السهروردي في البائسين	الحاء	٢٨٩
تعريف بالبؤس والبؤساء	اللام	٢٩٢
المتلمس اسمه جرير بن عبد المسيح	السين	٢٩٣
العيون سحر وبحر	الراء	٢٩٦
هذا الموضوع تمام الألف	الدال	٢٩٨
* الفهرس		٣٠٠

رفع عبد الرحمن الهميسا